التصوير النَّبوى

للقيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف

الدكتور على على صبح

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

الجزء الأول

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث
٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف - ت: ٥١٢٠٨٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله : ﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ﴾ والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ ، بعثه ربه بالحق هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، أرسله رحمة للعالمين ، فكان ﷺ دعوة خليل الله إبراهيم عليه السلام : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلواْ عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ .. ﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شئ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ .. ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين ﴾ اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وجاهد فى سبيل الله حق جهاده ، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار والتابعين لهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه .

وبعد ...

فإن أفضل الحديث كتاب الله عز وجل ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة فى النار ، فقد تفضل الله عز وجل عليه ، وعلى أمته خير أمة أخرجت للناس بالذكر الحكيم : ﴿ وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ .. ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت

آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ﴾ .. ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ وتفضل عليه أيضاً بالهدى النبوى والحديث الشريف فخصه الله عز وجل من بين الأنبياء والمرسلين بخصائص كثيرة من بينها جوامع وبلاغة القول ، قال ﷺ « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش » فكان حديثه هدًى ونوراً : ﴿ لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ .. ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ .. ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ .. ﴿ وإنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ .. ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ .. ﴿ وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ .. ﴿ والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى .. ﴾ .

فهذان المصدران العظيمان القرآن الكريم والحديث الشريف هما : التشريع الإسلامى فهما دستور هذه الأمة شرح الله تعالى بالقرآن صدر نبيه

ﷺ ورفع ذكره وثبت به فؤاده ، فإذا بيّن القرآن وتحدث عنه ، فإنه يبين قيمه الخلقية والتشريعية في بيان أخاذ ، وتصوير نبوى شريف ، وذلك في أحاديثه النبوية والقدسية الشريفة ، فما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ، قال ﷺ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى » اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين الذين نهجوا نهجه وسلكوا طريقه فكانوا منارة للعالمين وهدى للسالكين رضى الله عنهم ، أدعو الله عز وجل أن ينفع بهذا الكتاب : « التصوير النبوى للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف »[1] وأن يكون شفيعا لنا ولوالدينا وأهلينا يوم الدين إنه سميع قريب مجيب إنه نعم المولى ونعم النصير .

في شوال ١٤٢٢ هـ الموافق يناير ٢٠٠٢م

على على صبح

---

١ - هذه الأحاديث الشريفة كانت حلقات قد أذيعت في إذاعة القرآن الكريم بالقاهرة في برنامج يومى « بلاغة الرسول ﷺ » الذى يقدمه الأستاذ الدكتور / عبد الله الخولى - نفع الله تعالى به وبأمثاله الكرام .

الفصل الأول

الإســلام والإيمــان

الأعمــال بالنيــات

أخرج الشيخان البخارى ومسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

منزلة النية ومكانتها السامية من الأعمال :

منزلة النية من الأعمال والأقوال كمنزلة الروح والرأس من الجسد ، فلا قيمة للأقوال والأعمال ولا ثواب عليها إلا إذا اقترنت بالنية ، لتكونَ ابتغاء مرضاة الله عز وجل ، كالشأن فى الجسد يكون جثة هامدة ، لا وزن له ولا حياة إلا بملازمة الروح له ، فالروح هو حياة الجسد وحيويته وإنسانيته ، وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تؤكد على أن النية ابتغاء وجه الله عز وجل هى الأساس فى قبول الأعمال والإثابة عليهما ، قال تعالى : ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ .. ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ .. ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ .. ﴿ وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴾ ، ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين

القيمة ﴾ وغيرها : ﴿ ومثل الذين ينفقون ابتغاء مرضات الله ﴾ .. ﴿ وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ﴾ لذلك كان هذا الحديث من جوامع الكلم ، قال الإمامان الشافعي وابن حنبل هذا الحديث ثلث الإسلام ، ينتظم أركانًا ثلاثة، عمل الجنان وهو القلب ، وقول اللسان ، وفعل الجوارح .

التصوير الأدبى فى الحديث لمكانة النية من الأقوال والأفعال فى تعبير بلاغى ، يفوق بلاغة العرب ، حتى صار هذا الحديث الشريف من جوامع الكلم ، يجمع ثلث شريعة الإسلام فى ألفاظ قليلة ، ومن الصور البليغة قوله : « إنما الأعمال بالنيات » أسلوب قصر يقصر قبول الأقوال والأعمال والإثابة عنها ونفع صاحبها على النية وحدها ؛ فهى أساس القبول وحده ؛ فلا ينجو صاحبُها إلا بها ، كما يتضمن أسلوب القصر دعم الحكم بالحجة والدليل لتأكيده ونفى ما سواه ، لأن المراد : لا تقبل الأعمال إلا بالنية ، كما يتضمن أسلوب القصر هنا التعريض بكل من لا يعمل عملا لغير وجه الله ، فهو غير مقبول ، ومن بينهم مهاجر أم قيس الذى هاجر إلى المدينة للزواج منها كما نص الحديث على ذلك فمن كانت هجرته إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه .

ومن الصور الأدبية البليغة أيضا قوله : وإنما لكل امرئ ما نوى فهو أسلوب قصر تضمن المعانى البليغة السابقة ، إلا أنه زاد عليها بلاغة وقوة ، جاءت من التكرار بصورة أخرى لتؤكد المعانى السابقة ، وفى التكرار تأكيد وتقوية لما يهدف إليه الحديث الشريف ، وفيه أيضا ذلك التناسُق الموسيقى والإيقاعُ المتوازن فى التصوير مما يثير الانتباه ، ويوقظ الحس والوجدان ، ويحرك المشاعر ، فتتفتح لقبوله منافذ الإدراك المختلفة فى النفس ، فتستقر فيها ، وتزداد تصديقا وإيمانا بقيمها السامية .

ومن الصور البليغة أيضا التعبير « بما الموصولة » في قوله « ما نوى » لإفادة العموم والشمول لكل ما ينويه الإنسان من الخير أو الشر ، قولا أو فعلا أو عملا أو تقريرا وغير ذلك فالإنسان محاسب على كل ما يصدر عنه صغيرا كان أو كبيرا ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ﴾ .

ومن الصور الأدبية البليغة أيضا ، ما يفيد الإيضاح بعد الإبهام، ليزداد المراد من القيم السامية في الحديث الشريف تأكيدا ، وحثا على اتباعه وحرصا على تنفيذه ، وجاء الإبهام في قوله : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » ثم وضح الحديث الشريف هذا الإبهام والإجمال بالتفصيل في قوله : « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » والمراد بالهجرة ليس الانتقال من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة فحسب ، بل تشمل الهجرة من المعاصي والفواحش والمفاسد إلى الطاعات والطيبات والصالحات ، وفي ذلك يرتقي التصوير البلاغي فيجعل من يهجر المعاصي إلى الطاعات ، مثل من هاجر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة في الثواب والأجر سواء بسواء ، لأن هذا هو الجهاد الأكبر الذى أشار إليه الرسول ﷺ بعد أن رجع من غزوة في سبيل الله ، فقال : هو جهاد النفس بالهجرة من المعاصي إلى الطاعات .

ومن الصورة الأدبية البليغة تكرار لفظ الجلالة ولفظ الرسول وإظهارهما ، وكان يغنى عنها الضمير الذى يعود على ما سبق ، لتعظيم الهجرة وتعظيم المهاجر إليه وهو الله ورسوله في قوله فهجرته إلى الله

ورسوله ، بينما لم يكرر الاسم الظاهر فى الهجرة إلى الدنيا أو المرأة ولم يظهرهما ، بل اكتفى بالضمير العائد عليها فى قوله : فهجرته إلى ما هاجر إليه ، للتحقير والتهوين من شأن هذه الهجرة ، لأنها فى غير ابتغاء وجه الله عز وجل وفى غير مرضاته ، وكذلك مع الدنيا ، لذلك قال الله تعالى : ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن الثواب ﴾ وقال النبى ﷺ : « ما تركت من بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » .

القيم التشريعية والأخلاقية فى الحديث الشريف :

١ - لا ثواب فى القول والعمل إلا بالنية والإخلاص فيها ، أما الغافل والناسى والمخطئ لا يحاسب على النية ، كما أن الأفعال العادية لا تحتاج إلى نية كالجلوس والقيام والمشى فى ذاته إلا إذا اقترن بما أمر الله تعالى به أو نهى عنه .

٢ - ما يتصل بالقلب والعاطفة والمشاعر لا يحتاج إلى نية كالخشية والخوف والتوبة والتصديق والمحبة وما أشبه ذلك .

٣ - معرفة الحكم وشروط الصحة فى العبادة قبل التطبيق والعمل ، لأن صحة العبادة تترتب على النية ، فإذا انقطعت النية أثناء العبادة بطلت .

٤ - سجود التلاوة يحتاج إلى نية عند الجمهور لأنه عبادة .

٥ - يدخل فى مفهوم الهجرة التاريخية الهجرة من المعاصى والمحرمات إلى الطاعات وأعمال الخيرات والسعى على المعيشة ليعف النفس عن السؤال ، وتقوى على فعل الطاعات .

٦ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

حــلاوة الإيمــان

أخرج البخارى عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه من سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » .

التصوير البلاغى المستمد من وحى المعانى الوضعية للأسلوب فى هذا الحديث الشريف فى صور أدبية متنوعة منها : كلمة «ثلاث» جاءت منكرة ، تنوعت فيها مصادر الجمال ، فتجد فيها الإبهام ، والمراد به إثارة انتباه السامع ، وتشويقه للبيان الكاشف فى قوله بعد ذلك : « أن يكون الله ورسوله أحب إليه من سواهما » .. إلخ ، فتتمكن فى النفس وتستقر فى الأعماق ، ليظل رصيدا شعوريا وزاداً روحيا ، يقاوم تقلبات الزمن وصراعات الحياة ، وتجد فيها أيضا معانى التعظيم والإكبار ، أى فهى ثلاثة عظيمة الشأن ، وقوية فى صدق الإيمان وسعادة النفس ، وتجد فيها كذلك معانى العموم والشمول ، فهى ثلاث فى العدد ، لكن شاملة النفع ، تعم جميع أنواع البر والطاعة لله عز وجل ، ولرسوله ﷺ ، وكلمة « حلاوة الإيمان » تفيد التذوق الحسى والمعنوى ، فأما الحلاوة الحسية فحقيقة واقعة فى القلب السليم من أمراض الغفلة والهوى ؛ فيتذوق طعم الإيمان ويتنعم به ، كما يتذوق اللسان حلاوة العسل ولذة الحلاوة ، وكما يتلذذ القلب بالطاعات ، ويستعذب المشقات ، ويُؤْثر ذلك على أغراض الدنيا ومتاعها الحسى الفانى ، وأما الحلاوة المعنوية تكون فى الاقتناع والرضى بشريعة الله ؛ فيحب الطاعة وينفر من المعصية ، فلا يجد فى النفس حرجا مما قضى الله ، ولا يبحث عن علاج لمشكلاته فى غير ما جاء به التشريع الإلهى ،

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ .

وتجد أسلوب القصر والتأكيد فى قوله : « لا يحبه إلا الله » ليفيد قصر حب المرء على أن يكون لوجه الله وابتغاء مرضاته ، فيلتزم فيه طاعته ، ويكف عن معصيته ، منزها عن المقاصد المادية والأغراض الدنيوية ، قال يحيى بن معاذ رضى الله عنه : « لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء » ، بل يقتصر حب المرء على أن يكون لله ولرسوله على سبيل التأكيد ، فلا يتعداه إلى غير ذلك بحال ، وكذلك وحى الكلمات فى « أَحَبَّ » بأفعل التفضيل، واختيار كلمة يَكْرَهُ ويُقْذَفُ، والظرفية بحرف الجر « فى » وغيرها .

التصوير الفنى فى بلاغة الأسلوب البيانى المستمد من ألوان الخيال البديعة ، تتخذ صوراً أدبية حية ومؤثرة فى القلب والعقل والوجدان ، وذلك فى صورة « حلاوة الإيمان » ، تقوم على الاستعارة بالكناية ، حين شُبِّه الإيمان بالحلاوة الحسية للعسل وغيره ، بجامع ميل القلب وتمتعه باللذة والحب والرضا ، معبرا بالحلاوة كناية عن العسل والثمرة الطيبة من شجرة طيبة ، قال تعالى : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها .. ﴾ .

وعبر بحرف الجر « فى » بدلا من « إلى » فى قوله : « يعود فى الكفر ويقذف فى النار » ؛ لأن الشأن فى الفعلان هنا « يعود » و « يُقْذَف » يتعديان بحرف الجر « إلى » ، لا « بفى » الظرفية التى جاءت هنا على سبيل الاستعارة ، للدلالة على الاستقرار فى أعماق النار ، حين يتمكن الظرف من المظروف ؛ ليكون ذلك أعظم تنفيراً منهما ، وأشد ترهيبا من عواقبهما الوخيمة .

أما الصورة البيانية فى تشبيه كراهية العودة إلى الكفر بكراهية القذف فى النار ، فهى تصور بشاعة الكفر وفظاعته ، لأن الكفر أمر قد لا يهتم به الكافر لغفلته عن ضرره واستغراقه فى لهوه، فالكفر ليس محسوسا ولا مجسداً تجسيدا عينيا يحذر منه العبد ، ويخافه إلا إذا انغمس فى عقاب محسوس ، يعانيه فى الدنيا كما يعانى لهيب النار ، التى تحرقه ويتفحم بها جسده ، وأنها فى الآخرة ستكون أشد عذابا وأنكى ، لأن صفة المشبه به وهو كراهية النار أبلغ وأقوى فى الحس من المشبه ، وهو كراهية الكفر ، ليدرك العبد فظاعة الكفر والنار ، وبشاعة الضلال والعذاب فيهما ، نعوذ بالله الرحمن الرحيم من شرهما معا .

القيم التشريعية والخلقية فى الحديث الشريف :

١ - تربية المسلم على العزة والترفع والسمو ، فإذا أحب لا يحب إلا ابتغاء مرضاة الله ورسوله ، وإذا كره لا يكره إلا لله ورسوله ، فتكون محبة الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ فى الطاعة أمراً ونهيا مقدمة على ما عداهما خالصة لوجهه الكريم لا من أجل نعمة عليه أو متاع الحياة الدنيا .

٢ - أن تكون محبة المؤمن للمؤمن خالصة فى الله ولله تعالى لا لغرض أو مصلحة أو عرض من متاع الدنيا ، وطمعا فى جاه أو سلطان ، أو منصب أو مال .

٣ - أن يتحلى المؤمن بمكارم الأخلاق وكريم الشيم مترفعا على الرذائل والمكاره .

٤ - الإيمان الصادق يملأ القلب بالنعيم واللذة فيمقت الكفر ، ويفزع منه كما يخشى العذاب الأليم ولهيب النار المحرقة .

٥ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

كمـال الإيمـان

أخـرج الـبـخـارى عن أبى هـريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قـال : «الإيمـان بضع وستـون شعبـة والحيـاء شعبـة من الإيمان » زاد مسلم : «فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » .

بلاغة التعبير بالإيمان دون غيره :

أمـا أسـرار روعـة التصـوير الأدبى والفنى فى إيثـار بلاغـة التعبيـر بالإيمان ، دون غيـره من مراحل الإسلام فتعـود إلى : أن الإيمان هو مـرحلة الكمـال والصدق والإخلاص فى العمل ، ابتغاء مرضاة الله عز وجل ، لا يشوبها الرياء أو التظاهر أو النفاق فى مرحلة الإسلام حينا ، لأن المسلم قد يصلى ويصوم ويزكى فى الظاهر ، وليس لوجه الله عز وجل بعكس المؤمن ؛ لأن الإيمان يزيد حتى يصل إلى أسمى درجاته وهو الإحسـان ، « وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » كما جاء فى حديث جبريل ، حين سأل عن مراحله مُرتَّبة حسب تمامها وكمالها ، فالإسلام أولا ثم الإيمان ثم الإحسان ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ .

وعبـر عن الإيمان أيضـا بأداة التعريف « ال » ، لبلاغة الدلالة على مكملات الإيمان أى الإيمان الكامل ، لأن أداة التعريف تفيد استغراق قيم الإيمان ، وتشمل جميع مكملاته كما نقول : الرجل أى الذى اكتملت صفات رجولته وقيمها ، وكمال الإيمان يجمع بين مكملاته من الإقرار والتصديق والعمل والإخلاص ؛ لذلك فسره الحديث بأن الإيمان بضع وستون شعبة ، وجاءت زيادة مسلم فى روايته لتوضح مكملاته أكثر فى قوله : « أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » ؛ فقد

حصرها كثير من العلماء ومنهم أبو حيان التوحيدى ؛ فجعلوا هذه الشعب تتفرع إلى ثلاثة : **أولا :** أعمال القلب وهى المعتقدات والنيات فى أربع وعشرين خصلة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ، وما يتصل بالقبر ، وبيوم القيامة والتوبة والخوف والرجاء وهكذا ، **ثانيا :** أعمال اللسان فى سبع خصال : التلفظ بالشهادة ، وتلاوة القرآن ، والعلم ، والدعاء ، والذكر .. إلخ ، **ثالثا :** أعمال البدن فى ثمان وثلاثين خصلة : كالتطهر والصلاة والصيام .. إلخ ، ومجموعها تسع وستون خصلة كما قال القاضى عياض .

بلاغة التعبير عن كمال الإيمان بقوله بضع وستون شعبة :

ترجع روعة التصوير البلاغى فى هذه الفقرة إلى أسرار فنية وجمالية منها : اختيار كلمة بضع دون غيرها مثل نيف ، لدلالة بضعٍ على العدد من ثلاثة إلى تسعة ، بينما نيفٌ من واحد إلى ثلاثة غالبا ، وبإضافة التسع إلى الستين يكون المجموع تسعا وستين أى سبعين قيمة إسلامية ، هى التى تكمل الإيمان لأن كمال الأعداد سبعة ، ومضاعفاتها سبعون وسبعمائة وسبعة آلاف وهكذا فالسبعة هى نهاية العدد وكماله ، وما بعده مكرر ومعطوف ومضاف إليه ، لذلك كانت الأراضين سبعا والسموات والأسبوع سبعاً ، وكمال الاستغفار سبعين وهكذا ، ومن هنا جاءت رواية أخرى لمسلم « بضع وسبعون شعبة » للدلالة على الغاية ونهاية الكثرة .

ومنها التعبير بالبضع للدلالة على شرف قيم الإسلام وعزتها ونفاستها ؛ لأن البضع هو أعز شئ يحافظ عليه الإنسان وأشرفه وأنفسه ؛ فهو موطن الشرف والعزة والنفاسة ، وهى من معانى البضعِ فى اللغة العربية ومنها التعبير البلاغى بقوله « شعبة » ، فجاءت الصورة الأدبية على

سبيل التشبيه والتصوير الحسى ؛ ليكون أقوى تأثيرا وأسرع نفاذاً إلى القلب والنفس ، فقد شُبه الإيمان ومكملاته بالشجرة الضخمة وشعبها ؛ التى تحمل كل شعبة فروعاً وأوراقاً وأزهاراً وثماراً ، فشبه الإيمان بأصل الشجرة جذوعا وسيقانا ، وشبه مكملات الإيمان بالسبعين شعبة ، وما تحمل كل شعبة ، وجاء هذا التشبيه التمثيلى البليغ على سبيل الاستعارة بالكناية ؛ فحذف المشبه به وهو الشجرة وطوى ذكرها ، وأثبت شعبها وفروعها وغيرها من مستلزمات الشجرة على سبيل المجاز والتخييل ؛ لأن التصوير بالمحسات من الواقع بالشجرة أبلغ تأثيرا فى النفس من تصوير الإيمان بالمعانى الذهنية المجردة .

بلاغة التعبير بقوله « والحياء شعبة من الإيمان » :

ذكر الحديث الشريف الحياء وخصه بالذكر دون غيره من السبعين ، لأن الحياء يشمل جميع شعب الإيمان الثلاث ، وما يتفرع عنها وهى أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن ؛ لأن معنى الحياء هو الخلق السامى الذى يبعث على اجتناب القبيح ، ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق ، لذلك ورد فى حديث آخر « الحياء خير كله » لأن الحياء من الله : « ألا يراك حيث نهاك » لأن الله يراقبك ويراك وهو المراد من الحديث الشريف : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، وأخرج الترمذى قول رسول الله ﷺ : «واستحيوا من الله حق الحياء» قالوا إنا نستحى والحمد لله فقال : ليس ذلك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ، أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى ؛ فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » قال الطيبى أفرد الحياء بالذكر بعد دخوله فى الشعب ، كأنه يقول هذه شعبة واحدة من شعبة ، فهل تُحْصَى شعبُه كلها

هيهات هيهات ، أى كثيرة لا تحصى وتؤكد ذلك رواية مسلم : « أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق .

القيم التشريعية والخلقية فى الحديث الشريف:

١ - كمال الإيمان الذى ينجى صاحبه ويسعده يقوم على اتباع ما أمر الله تعالى به ، واجتناب ما نهى الله عز وجل عنه .

٢ - شعب الإيمان كثيرة ومتنوعة ما بين شعب عليا ووسطى ودنيا ، فعلى المؤمن أن يحرص عليها .

٣ - الحياء أعظم شعب الإيمان ، « فلا إيمان لمن لا حياء له » ، والإيمان والحياء مقترنان » .

٤ - الإيمان ينقص ويزيد ، حتى يصل إلى قمته ، وهو الإحسان وهو العروة الوثقى .

٥ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

الإيمان الكامل

أخرج الترمذى عن أبى هريرة رضىٰ الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « من يأخذ عنى هذه الكلمات ؛ فيعملُ بهن أو يُعْلِمُ من يعمل بهن ؟ فقال أبو هريرة قلت : أنا يا رسول الله فأخذ بيده فعدَّ خمساً فقال :

اتّقِ المحارم تكنْ أعبدَ الناس .

وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس .

وأحسنْ إلى جارك تكنْ مؤمنا .

وأحبَّ للناس ما تحبُّ لنفسك تكنْ مسلما .

ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » .

التصوير الأدبى فى بلاغة التوازن بين الشرط والجزاء على سبيل اللزوم والجزم كما تستلزم المقدمةُ النتيجة على سبيل الإلزام والتحقيق ، وخاصة إذا صدرت عن النبى ﷺ الصادق الأمين : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى ﴾ وذلك فى استخدام أسلوب الشرط والجزاء فى الصور الأدبية الخمسة البليغة ، التى وردت فى الحديث الشريف على سبيل الجزم والتحقيق ، وأعانت على ذلك روافد بلاغية أخرى وهى ورود فعل الشرط بصيغة الأمر مثل : اتق وارض .. إلخ ومعناها أيضا الجزم والتحقيق ، ودلالة جواب الشرط على الأمر وإن جاء على صيغة الفعل المضارع ، مثل تكن أعبد الناس ، وتكن أغنى الناس » وهكذا ، وكذلك انتقاء أفعال غزيرة القيم السامية ، لا يقوى عليها غيرها مما يقوم مقامها ، مثل كلمة « اتق » فهى تتضمن قيما سامية شريفة كثيرة ، لا تدخل تحت الحصر ولا تغنى عنها فى ذلك كلمة : ابتعد أو تجنب ، وكذلك اختيار كلمة « وارْضَ » فالرضى هو الغاية السامية من التقوى ، وكذلك كلمة «أحْسِنْ» والإحسان قمة الإيمان قال تعالى : « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » ، وكذلك كلمة «أَحِبَّ» والنهى عن كثرة الضحك ؛ لأن الإسراف فيه يميت القلب ، فالإسلام يحث على التفاؤل والترويح عن النفس بالابتسامة والضحك ساعة بعد ساعة لكى لا تمل النفس ، فإذا ملّت كلت وسئمت وتشاءمت ، ولا طيرة ولا تشاؤم فى الإسلام .

التصوير الأدبى فى بلاغة الإيقاع القوى ، والموسيقى المتدفقة الهادرة ، مما يتلاءم مع القيم السامية التى تحث عليها شريعة الإسلام فى هذا الحديث الشريف ؛ فتأمل الإيقاع الصوتى فى الحروف والكلمات ، فهو إيقاع قوى

جازم يُلْزِمُ المؤمن بالقيم، وهو واثق من عظيم الثواب وأفضل الجزاء ، وذلك في الإيقاع الصوتي النابع من صيغ الأمر الكثيرة في » اتق وارض وأحسن وأحبَّ » وصيغة النهي في « ولا تكثر من الضحك « ولا تكثر من الضحك» وكذلك الإيقاع الصوتي الجازم القوي الصادر من ترتب جملة الجواب والجزاء على الشرط في توازن واتزان مثل : اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وهكذا في الصور البلاغية الخمسة ، فكأنَّ الإنسان يضع بيده شيئا هنا بينما يضع بيده الأخرى شيئا هناك ، في اتساق وتوازن واتزان ، تلك هي الإيقاعات القوية التي تثير العقل والعاطفة ، وتحرك الانتباه والمشاعر والأحاسيس .

ثم تأمل الإيقاع الصوتي والتدفق الموسيقي في صيغ أفعل التفضيل ، وذلك في هذه التقاسيم : « أعبد الناس » و «أغنى الناس» ثم ما يوحي به التقسيم الموسيقي في قوله « تكن مؤمنا » من التدفق في الإيقاع والجزم والقطع ، مع أنه ورد في صيغة الفعل المضارع الذي يتراوح معناه بين الحال والاستقبال ثم تأمل الموسيقي المتراخية الممتدة والإيقاع الهادي العميق في تصوير الحب وموت القلب النابعان من كثرة حروف اللين والتضعيف في الشدات وأيضا « كلمة مسلما » لتسلم النفس من العقد والعلل النفسية مما يتناسب مع قيم الحب التي تتسم بطبيعة العمق ودوام الصدق والإخلاص والسلامة ، ومما يتلاءم أيضا مع إحياء القلب وبعثه بعد جموده وموته من كثرة الضحك وتراخي عضلاته وامتدادها من التواصل فيه .

القيم التشريعية والخلقية في الحديث الشريف :

١ - أن يتحول العلم إلى منهج وسلوك في الحياة ؛ فيعمل الإنسان بما علم ، حتى يعود عليه وعلى المسلمين بالسعادة : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ .

٢ - اتقاء المحارم واجتناب المحرمات هو أفضل العبادات ؛ لأنه يمكن صاحبه من اتباع الأوامر ؛ فيجمع بين ما أمر الله به وما نهى عنه ؛ فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

٣ - أفضل الناس وأغناهم من يعف نفسه ، ويرضى بما قسم الله عز وجل له ويقنع بعطاء الله فى كل شئ ؛ فلا يظلم ربك أحدا .

٤ - إذا كان مؤمنا حقا فعليه أن يحسن الجوار ، ويعامل جيرانه بالحسنى وهم كما فى قوله تعالى : ﴿ والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب ﴾ .

٥ - امتلاء القلب بالمحبة للناس بمثل ما تحبه لنفسك ، حتى يشيع الأمن والتعاون والرخاء والترابط والوحدة ، فتكون الأمة قوية عزيزة ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ .

٦ - روحوا عن أنفسكم ساعة فساعة ، حتى لا تكل النفس فتمل ، ولا تكثروا من الضحك وتتمادوا فيه ؛ فإن ذلك يميت القلب ، فلا يحيا ولا يتجدد نشاطه إلا بالقليل ترويحا عن النفس ؛ فيقوى ويتجدد نشاطه من حين إلى آخر .

٧ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

النخلة كالمسلم

أخرج البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مثل المسلم ، فحدثونى ما هى ؟ فوقع الناس فى شجر البوادى ، قال عبد الله ووقع فى نفسى أنها النخلة فاستحييت ، ثم قالوا حدثنا ما هى يا رسول الله ، قال : هى النخلة» .

بلاغة التصوير الأدبى فى ضرب المثل : جاء الحديث الشريف على سبيل ضرب المثل من الواقِع الذى يعيش فيه الإنسان ؛ فقد جمع فى المثلِ بينَ النخلةِ وما يتعلق بها من الثمار والجريد والليفِ ، والساقِ ودوامِ الخضرةِ طوال العام ، والإيواء إلى ظلها وقاية من الحر وحلاوة الثمر ، وتستريح الأذنُ إلى حفيف السعفِ والجريد وغيرها مما هو مألوفٌ ، وبين المسلم وما يصدر عنه من الطاعات وعمل الخير ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكلاهما يُشبِه الآخر فى دوام الانتفاع وعمومه .

لكن الشأن فى ضرب الأمثال أن يكون المشبهُ به هو المحس فى الواقع كالشجرة هنا ، ويكون المشبهُ هو المسلم ، حتى تتجسمَ المعانى المجردةُ فى صورة محسوسةٍ تدرك بجميع الحواس ، وهى شجرةُ النخيل ، فهى هنا تقديرا فى موقع المشبه هنا ؛ لأنها أقربُ إلى الفهم من المعانى المجردة فى المسلم وهو المشبه .

لكن روعة البلاغة فى الحديث الشريف أنْ جاء التشبيهُ التمثيلى مقلوباً ، فكان المشبهُ هو النخلةُ المحسوسةُ ، والمشبهُ به هو المسلمُ ، للدلالة على أن المسلم أبلغُ فى صفاته المعنوية والخلقية من النخلة المحسوسة للتصريح بأن المسلم أعزُّ عند الله وعند الناس ، وأن النخلة مع أنها شبيهةٌ به فى جميع منافعها إلا أن منافع المسلم أكثر منها ؛ لاستكثاره من الخير والعمل الصالح والتمسك بالفضائل ، والتحلى بمكارم الأخلاق والتخلى عن القبيح والصفات الذميمة ، علاوة على تميزه عن الخلائق بالعقل والتكليف .

بلاغة التصوير الأدبى فى العرض القصصى بأسلوب الحوار : حينما عرض النبى ﷺ على الصحابة رضى الله عنهم سؤالا عن شجرةٍ لا يسقط

ورقها ، وذكر لهم بعض خصائصها التى تلتقى فيها صفات المسلم ، لكى يحرك العقل والمشاعر ، وينمى الذكاء فى النفس ، ويتنافس المتلقى مع غيره فى المهارات العقلية ، لتعميق التجارب الإنسانية فى الحياة . والكشف عن أعماق الخبرة والحنكة فى فهم أسرار الواقع ، مما دعا كل المستمعين إلى الخبرة والحنكة فى فهم أسرار الواقع ، مما دعا كل المستمعين أن يتسابقوا فى عرض خبراتهم فى الحياة ، وإظهار ذكائهم وقدراتهم العقلية والفكرية ، فانطلق كل واحد يفسرُّها حسب خبرته وتجاربه الفكرية والعلمية والواقعية فى الحياة ، ويذكر نوعا من الأشجار الكثيرة التى انتشرت فى البوادى ، وتنوعت أشكالها وأنواعها فى الصحراء والوديان وعلى الجبال ، لكن هذه الإجابات المتنوعة ابتعدت عن المطلوب . ولم تتفق مع صفات الشجرة المطلوبة ، التى رمز إليها الرسول ﷺ ببعض صفائها ، حتى يحرك الأذهان وينمى الذكاء ويعمق التفكير ، وابتعدوا جميعا عن النخلة ورسول الله يتلقى الإجابات بصدر واسع وقلب مفتوح ، ما عدا الراوى عبد الله بن عمر الذى خطر فى باله وهداه تفكيره وذكاؤه وعمقُ تجربته هنا إلى أنها النخلةُ ، فكاد أن ينطق ويعلن عما دار فى عقله وخلده ، ليسمع رسول الله ﷺ الإجابة الصحيحة ، لكن حياءه منعه من أن يعلن ذلك ، وحوله كبار الصحابة رضى الله عنهم ، ومنهم شيخ الإسلام أبو بكر الصديق ، وأعدل أهل الأرض بعد رسول الله الكريم والده عمر بن الخطاب وغيرهما رضى الله عنهم هيبة منهم وتوقيرا لهم ، وخاصة وفى كل مرة يطرح هذا السؤال بصفات أخرى ، ويتلقى الإجابة غير الصحيحة ، ثم يزيدهم بعض الصفات لها ، حتى تكون أكثر وضوحا كما ورد فى رواية : «إنها لا ينقطع ثمرها ولا يُعدم نيله ولا يبطل قطعها ، وفى رواية ثانية : لا يسقط لها أبلمة أى خوصة كما لا يسقط لمسلم دعوة ، وفى رواية رابعة :

« إن من الشجر ما بركته كبركة المسلم » فعجزوا ، حتى قالوا ؛ حدثنا عنها يا رسول الله ، فقال مجيبا عن السؤال بعد هذا الحوار القصصىّ الشيق ، الذى اشتركت فيه الشخصيات القصصية المختلفة ، قال ﷺ إنها النخلة ، لأنها كالمسلم ينتفع بجميع أجزائها المتنوعة كالثمرة والجريدة والليف والخوص والعرجون حتى النوى فى علف الدواب ، والظلال ، لأن المسلم كله خير ، كما ورد فى الحديث الشريف : « المؤمنُ القوىُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير » .

القيم التشريعية والخلقية فى الحديث الشريف :

١ - الترغيب فى اختبار الذكاء والتفكير ، وتحريك العقل بالألغاز لظهور الشخصية وإبداء الرأى .

٢ - تقريب المعانى إلى العقل بالتصوير وضرب الأمثال .

٣ - الترغيب فى الحياء ، وتوقير الكبير ، ومجالسة الكبار وأهل العلم والمنازل السامية .

٤ - النخلة أفضل أنواع الشجر لقلة تكاليفها ، وعموم منافعها ، وطيب ثمرتها .

٥ - المسلم متعدد المنافع كثير الفضائل ، لا يقتصر خيره على نفسه ، وإنما يتعداه إلى غيره من المسلمين ، وإلى كل ما خلق الله عز وجل .

٦ - بالإضافة إلى ما ذكرته فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

بين المسلم والمهاجر

أخرج البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه .

بلاغة التصوير الأدبى فى قوله « المسلم من سلم المسلمون » عبر الحديث الشريف بالمسلم وهو دون المؤمن فى الظاهر ، لأن بلاغة المقام ومقتضى الحال يُؤْثِر التعبير بالمسلم ؛ لأنه جاء مقيدا بما بعده وهو : من سلم المسلمون ، فالذى لا يتعرض لأذى ، بل للمحبة وتمنى الخير ، يكون مسلما كاملا : أى مؤمنا محسنا فى إيمانه ، وهذه قمة البلاغة ، لأن التعبير بالمؤمن لا يحتاج إلى قوله « من سلم المسلمون » لعدة أمور :

أولا : حتى لا يوصف الحديث بالحشو والزيادة ورسول الله أبلغ العرب ، **ثانيا :** لأن بلاغة الحديث الشريف تقتضى التصريح بهذا القيد ؛ لأنه أبلغ من الإضمار لما فيه من التصريح بالسلامة ، **ثالثا :** ليدخل فى المسلمين كل الناس : المسلم والمؤمن والمحسن من باب أولى ، وكذلك يدخل فيه غير المسلم ؛ لأن من استأمنه جماعة المسلمين على أرضهم ، أخذ حكم المسلمين من الأمن والسلامة ؛ لذلك كان حرف « من » فى موقعه من الحديث ، قد بلغ الغاية فى بلاغة التصوير الأدبى عن هؤلاء جميعا ، لما يفيده من العموم والشمول ، فهو يشمل المؤمن والمسلم وغير المسلم فى ديار المسلمين، وتلك هى بلاغة المصطفى ﷺ ، التى تصور سماحة الإسلام وعدالته ، ولا يخفى علينا أن التعبير بالمسلم يشمل الذكر والأنثى والصغير والكبير .

بلاغة التصوير الأدبى فى قوله «من لسانه ويده» : أجمع علماء البلاغة على أن هذا الحديث من جوامع الكلم ، التى اختص بها من بين الأنبياء جميعا ، لأن اقتصاره على اللسان واليد ؛ فى التصوير الأدبى لكل ما يقع من الإنسان ؛ قولا أو فعلا بلغ القمة فى بلاغة الإيجاز ، فاللسان هو الذى يعبر عما فى النفس ، وهو أبلغ من التصوير بالقول ، الذى لا يشمل خروج

اللسان من الفم استهزاء ؛ فليس قولا ، ولأن الإنسان يحاسب على ما يصدر عن اللسان ، ولا يعاقب على نيه الشر والأذى قبل ترجمتها باللسان ، لذلك كان اللسانُ ملاك الأمور كلِّها كما قال النبى ﷺ وهو يعلم معاذ رضى الله عنه : « هل أدلك على ملاك الأمر كله ، قال معاذ بلى يا رسول الله قال : أمسك عليك هذا وأشار إلى لسانه فقال معاذ : وهل نحن يا رسول الله مؤاخذون بما نتكلم ، فقال : وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم » .

وقدّم اللسان على اليد ، لأن الأذى باللسان ، يشمل من فى الماضى والموجود فى الحاضر ، والحادث فى المستقبل بعد ذلك ؛ بخلاف اليد فالإيذاء بها خاص بالموجودين ، اللهم إلا إذا كان عن طريق الكتابة فقط .

وبلاغة الرسول ﷺ فى اقتصاره الإيذاء على اليد فقط ، دون بقية الجوارح التى يحصل الأذى بها ، لأن معظم الأفعال إنما يتحصل باليد فى الغالب ، إذ بها يكون البطش والقطع والوصل والأخذ والمنع ، لذلك قيل لكل عمل ، وإن كان بغير اليد « هذا مما عملته أو جنته أيديهم » وبلاغة التعبير باليد ، يُدْخِلُ اليد المعنوية كالاستيلاء على حق الغير بغير الحق ؛ لذلك كانت اليد تطلق على كل فعل ينسب إليها ، قال الله تعالى : يد الله فوق أيديهم » .

بلاغة التصوير الأدبى فى قوله : « والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه »

وفى هذه الفقرة تعددت ألوان البلاغة ، فأصبح الحديث الشريف كالروضة ، ضمت ألوانا وأنواعا مختلفة ، تناغمت فيها الأنواع وتناسقت بينها الأشكال والألوان ، ويظهر هذا التناسقُ بين الأنواع المختلفة ، والتآلفُ بين الألوان المتنوعة ، فيما أطلق عليه علماء البلاغة الجناس والطباق والمقابلة ،

فأما الجناسُ فقد كان فى اتحاد الألفاظ مع اختلاف المعانى ، فكان بين لفظى المسلم وسَلِم ، ولفظى : المهاجر وهجر ، التى أشاعت ألوانا من التناسق بين أنغام الحروف ونسقها الإيقاعى ، مما يثير الانتباه ، ويحرك العواطف والمشاعر ، وأما الطباق فتجده بين المسلم والمهاجر ، وبين سلم وهجر ونهى ، وبين لسانه ويده ، والتضادُّ بين معانى كل لفظين ، يعطى تنويعا وتلوينا وتعميقا للمعانى ، حتى تتمكن من النفس أيما تمكن ، وأما التقابل فكان بين هذين الفقرتين ، بين : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » و« المهاجر من هجر ما نهى الله عنه » فالتقابل هنا بين الإيجاب والسلب وبين الأمر والنهى ، يدل على أن الحديث الشريف جمع بين الأوامر والنواهى جميعها ؛ لذلك كان من جوامع الكلم .

انظر إلى بلاغة التصوير الفنى بالمهاجر ، وهى تدل على المشاركة على العكس من كلمة الهاجر وهو المراد فى الأصل ، للدلالة على أن الإنسان دائما فى صراع بين الخير والشر ، وبين النفس الأمارة بالسوء والنفس الطيبة ، وكذلك بلاغة التصوير البلاغى باسم الموصول فى « من هجر » ، لأن الإنسانية تقتضى عموم ذلك بين الإنسان مسلما كان أم غير مسلم ، وكذلك ما تفيده بلاغة العموم فى قوله : « ما نهى الله عنه » ؛ لأنه لا فرق بين المنهى عنه حقيرا كان أو عظيما لقوله تعالى : ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ .

القيم التشريعية والخلقية فى الحديث الشريف :

١ - أراد الرسول ﷺ أن يطمئن من لم يهاجر من المسلمين بعد انقطاع الهجرة ؛ بأن هجرة المعاصى تعد هجرة ؛ فالمهاجر من هجر المعاصى .

٢ - كمال الإسلام لا يتحقق إلا بالأصول والفروع ، وكل ما به كمال الإيمان .

٣ - الإيمان يزيد بالطاعات وعمل الخيرات ، وينقص بالتقصير فيها .

٤ - الإسلام دين السلام والسماحة ؛ فهو يحث على كف الأذى عن الناس جميعا ونشر المحبة بينهم .

٥ - جمع الحديث الشريف بين المحافظة على حقوق الله تعالى وحقوق عباده .

٦ - بالإضافة إلى ما ذكر فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

بين المؤمن والفاجر

أخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع من حيث أتتها الريح كفأتها ، فإذا اعتدلت تكفَّأ بالبلاء ، والفاجر كالأَرْزَةِ صمَّاءَ معتدلة ، حتى يقصمها الله إذا شاء » .

بلاغة التصوير الأدبى فى ضرب الأمثال : من أبلغ الأساليب فى هذا الحديث الشريف أن النبى ﷺ عرضه على سبيل ضرب الأمثال ، فقال : «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع » لأن بلاغة المثل ترجع إلى مقومات تسمو إلى أقوى الصور البلاغية وهى :

١ - أن المثل يستمد عناصره من الواقع المحسوس كالزرع والريح والأَرزة الصماء ، فلا تدركُ بالعقل وحده ، بل تشترك معه الحواس المختلفة ، كالرؤية بالعين الباصرة ، فترى سيقان الزرع وفروعه وأوراقه وأزهاره وثماره وحركته وألوانه ، وتدركه بالسماع ؛ فتسمع الأذن حفيف أوراق الزروع واصطكاك الريح بالأزرة الصماء وقصمها ، وتدركه باللمس أيضا لتشعر بالنعومة أو الخشونة ، وبالشم لروائحه وبالتذوق لمطعوماته وغير ذلك مما يدرك بالحواس الكثيرة مع العقل . ٢ - أن المثل يعتمد فى بلاغته

على الإيجاز لألفاظ لا تتجاوز المشبه والمشبه به ، لكنها ثريةٌ بالمعانى والمشاعر والقيم الكثيرة ، التى تختلف فى تفسيرها من شخص إلى آخر ، ومن وقت لآخر . ٣ - أن المثل يحول الفكرة إلى حكمة ، يتمثل بها الناس فى كل الأحوال والمقامات المختلفة ، فَيُضْربُ به على حاله بلا تغيير مهما اختلفت مضاربُه ، فأصبح هذا المثل فى الحديث الشريف حكمة ، يتمثل بها الحكماء فى أقوالهم ، قال تعالى : ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾ .

البلاغة فى تصوير المؤمن بالخامة من الزرع : روعة التصوير الأدبى فى بلاغة الحديث الشريف ، تظهر حين صور النبى ﷺ المؤمن فى صورة الخامة من الزرع ، أى الطرىَّ اللينَ الذى لا يتقصف ، بل تستجيب للريح وتتماثل معه ذهابا وإيابا ، فإذا اشتدت عليها كَفَأتها حتى تمر العاصفة ، ثم تعود إلى ما كانت عليها من الاعتدال ، وانظر إلى بلاغة لفظ الريح لا الرياح ، لأن الريح لا تكون إلا فى التمحيص والفتنة والعذاب ، قال تعالى : ﴿ فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ﴾ بينما الرياح تكون طيبات مبشرات بالخير ، قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ .

والبراعة فى هذا التشبيه التمثيلى البليغ ، حين شُبَّهَ بالخامة رِضى المؤمن بقضاء الله وقدره ، ليتقبله بصدر رحب وقلب مفتوح ، فلا يكفرُ ولا يسخطُ ولا يغضبُ ولا يتمرد ، بل يتلقى ذلك صابرا محتسبا راضيا ، فيزداد إيمانا على إيمانه ، وتسمو منزلته عند ربه ، قال تعالى : ﴿ وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ مثله فى هذا مثل الزرع الطرى

اللين، الذى يتمايل مع الريح ذهابا وإيابا ، حتى إذا مضت عاد إلى اعتداله، وكيف لا يرضى المؤمن ، وهو عبده وعلى أرضه وتحت سمائه ، قال الله تعالى فى الحديث القدسى الشريف : « فمن لم يرض بقضائى فليخرج من تحت سمائى وليتخذ ربًا سواى » وقال تعالى : ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ .

البلاغة فى تصوير الفاجر بالأرزة الصماء : وروعة التصوير الأدبى فى بلاغة هذا الحديث الشريف ، حين صور النبى ﷺ الفاجر بصورة شجرة الأرزة الصُّلبة الصماء ، فالريح لا تقصمها ولا تحركها كالفاجر ، لا يبتليه الله تعالى بالفتنة والتمحيص ، بل يظل بمنجاة عن الابتلاء والاختبار ؛ ليمهله الله عز وجل حتى إذا أخذه ، أخذه أخذ عزيز مقتدر ؛ فيقصمه بشدة مثل شجرة الأرزة ، تظل صامدة أمام عواصف الريح ، حتى تأتيها عاصفة فتقصمُها مرة واحدة ، لأن الله تعالى يملى للفاجر من التيسير فى الدنيا ، ليزداد عسرا وشدة فى استخراج روحه وهلاكه فى الآخرة ، وتظهر البلاغة حينما اختفى لفظ الريح مع الفاجر ، لأنه لا يستحق أن يتعرض للابتلاء والتمحيص من الله تعالى ، على العكس من عبده المؤمن ، قال تعالى : ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خيرٌ لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوْا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ﴾ .

القيم التشريعية والخلقية فى الحديث الشريف :

١ - المؤمن سهل لين ، وليس معاندا قاسى القلب ، فهو رقيق المشاعر يتعاطف مع غيره ويتعاون معه ، ولا يضر أحدا .

٢ - يستقبل المؤمن المقتدر حينما يتعرض لقدر الله تعالى وقضائه بالصبر والرضى، والاحتساب عند الله عز وجل بلا جزع أو سخط أو غضب أو اعتراض، لأنه يؤمن بالقدر خيره وشره .

٣ - والفاجر عنيف معاند قاسى القلب ، لا يلين ولا يتعاطف مع الآخرين ، وكلما تعرض للشدة ازداد عنفا وعنادا .

٤ - أن الله تعالى يملى للفاجر ويمهله ، حتى إذا طغى وتجبر أخذه أخذ عزيز مقتدر ، وعذبه عذابا شديدا يوم تشخص فيه الأبصار .

٥ - بالإضافة إلى ما ذكر فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

من أخطر صور النفاق : ذلاقة اللسان وحلاوة الحديث

رُوِىَ عن رسول الله ﷺ قال : « إنى لا أخاف على أمتى مؤمنا ولا مشركا ، أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه ، وأما المشرك فُيُقْمِعُه الله بشركه ، ولكنى أخاف عليكم كلَّ منافق الجَنانِ ، عالم اللسان ، يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون » تعددت روايته .

فى هذا الحديث الشريف تصوير أدبى بليغ للنماذج البشرية فى ثلاث صور بليغة : فأما الصورة الأولى : فلا يخاف منها النبى ﷺ على أمته من بعده وهى التعبير البلاغى عن المؤمن فقال : فأما المؤمن فيمنعه إيمانه ، ليكون له حارسا أمينا وصادقا على اللسان والقلب ، فى النية والقول والعمل ، فلا يقول ما لا يفعل ، ولا يظهر ما لا يخفى ، ولا يتلون بألوان مختلفة ، بل يخلص القلب واللسان والعمل لله وحده ، فيعبر عنه بصدق وأمانة وإخلاص ، لا يأتى هؤلاء بوجه، ولا هؤلاء بوجه ، قال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ ، وأما الصورة الثانية : التى لا

يخاف النبى ﷺ على أمته منها ، فهى التعبير البلاغى عن المشرك فقال : «وأما المشرك فُيُقْمِعُه اللهُ بشركه » لأن الله تعالى يتولى أمره ؛ فيحاربه وينصر المسلمين عليه ، ويخزيه فلا يستطيع أن يخدع المؤمن ، لأن المؤمن يكون دائما على حذر منه ، فلا يتمكن منه أبدا فى جميع الأحوال ، لذلك قيل عليك أن تخشى العدو مرة والصديق ألف مرة ،. وأما الصورة الثالثة التى يخاف النبى ﷺ على أمته منها : فهى التعبير البلاغى عن منافق القلب عالم اللسان ، يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون ؛ فهو عذب اللسان ، ناصع الفكرة ، قوى الحجة ، يقلب الحقائق ، ويلفقُ الباطل ، ويجعله فى صورة الحق ، ويُزوِّر المسلمات ، ويخلع عليها لباسا غير لباسها الحقيقى ، فى أسلوب هادئ ، يضفى على صاحبه ثوب الوقار والحكمة ، فى حديث عذب ولسان رطب ، يعبر عن تجربة حياة ، يفتلها من خبرة محنك بالدواهى والأحابيل ، وذلك فى أسلوب عصرى ، ممزوج بما يتفتح له العقل ، وتقبل عليه النفس من مغريات الحياة ، ومقتضيات الإنسان فى مجتمعه الجديد ، فهو يملك زمام الحيل ، يرد بها كل اتهام ، يسخر لها شباك الدُّهاة ، ليصطاد بها صيده ، ثم يصل به الزيف والضلال إلى أن يجعل الله تعالى شاهدا على قوله ، فيقول المنافق فى ختام حديثه : الله يعلم أنى صادق فيما أقول ، أو أن الله شاهد على ما أقول ، وغيرها من عبارات الافتراء والتلفيق ، ولقد عبر الحديث الشريف عن التصوير القرآنى لهذا النموذج البشرى الخطير ، يقول سبحانه وتعالى : « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام » فإذا حقق مراده أفسد فى الأرض بإيقاع العداوة بين الناس ، فتنعدم الثقة ، وتنتشر البغضاء ، فيحاول تدمير المجتمع ، قال تعالى : ﴿ وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد ، وإذا قيل له اتق

الله أخذته العزة بالإثم ، فحسبه جهنم ولبئس المهاد ﴾ ؛ لذلك ورد فى حديث آخر رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها يصور خصومته : « أبغض الرجال إلى الله تعالى الألدُّ الخصم » وعن أبى الدرداء فيما رواه ابن حنبل ، قال النبى ﷺ كفى بك إثما ألا تزال مماريا ، وكفى له ظلما ألا تزال مخاصما ، وكفى بك كذبا ألا تزال محدثا إلا حديثا فى ذات الله عز وجل » ، وأحيانا فى المجتمع الذى تصدع بظاهرة النفاق ، يلمع هذا النموذج البشرى الخطير ، فتتسلط عليه الأضواء زيادة فى التعمية ، ويتصدى لدعوة الإصلاح والتقويم ، ويتصدر المجالس والاجتماعات ، يدير الحوار الخادع ، لا يبتغى من وراء ذلك إلا الشهرة وذيوع الصيت ، ليصل إلى أغراضه من أقرب طريق ، وفى أسرع وقت ، وهؤلاء صورهم القرآن فى أصح صورة ، ليفضح أمرهم فتبور تجارتهم ، قال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ، وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ، الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون ﴾ .

فى هذه الأحاديث الشريفة التى عبرت عن المنافق الخطير كما ورد فى القرآن الكريم ، فحددت صفاته وأبرزت معالمه ، لكنه مع ذلك لا يخفى على المؤمن ؛ فيستعين على فضح أمره ببصيرته النافذة وذكائه وفطنته ، كما قال الرسول ﷺ « المؤمن كيس فطن » فيفطن إلى تزييفه وتلفيقه

فيقرعه الحجة بالحجة ، ويأخذ بيديه إلى الحق والحقيقة من أقرب طريق ، قال تعالى : ﴿ أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ﴾ .

القيم التشريعية والخلقية فى الحديث الشريف :

١ - تحذير النبى ﷺ لأمته من المنافقين ، فهم أخطر النماذج البشرية من الفاسقين والمشركين وأعداء الإسلام لذلك توعدهم الله عز وجل بأشد أنواع العذاب : ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ﴾ .

٢ - لا يخشى على المسلم من المؤمنين لأن المؤمن لا يؤذى أحدا ، ولأن إيمانه يمنعه من ذلك ، فهو أمين يتقى الله ويخشاه ، ويخاف عذابه «لا إيمان لمن لا أمانة له» ، «لا يؤمن أحد حتى يأمن جاره بوائقه» .

٣ - كما أنه ﷺ لا يخشى على المسلمين من المشركين بالله عز وجل ؛ لأن الله سبحانه وتعالى تكفل بخزيهم وقمعهم ؛ إنما يمهلهم ليأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، ولن يفلتوا من عذابه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

٤ - حدد النبى ﷺ صفات المنافقين حتى يحذرهم المسلمون ، ووضح علامات النفاق ليفطنوا إليها ، فيحذروهم ، من هذه العلامات أن المنافق يظهر ما لا يخفيه ، فتختلف أقواله وأفعاله عما يسره فى قلبه ، متخذا فى ذلك بيانا خلابا فى بلاغة القول ، وفنون الأحاديث وأساليب الخداع والدهاء ؛ فيخدعهم بما يعرفون ؛ لكنه يفعل ما ينكرون .

٥ - بالإضافة إلى ما ذكر فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

الفصل الثانى

الوضوء والصلاة

الوضوء يمحو الخطايا

أخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول: « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ، ما تقول ذلك يُبقى من درنه ؟ قالوا : لا يُبقى من درنه شيئا ؟ قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا » .

التصوير البلاغى المستمد من المعانى الوضعية فى اللغة العربية لهذا الحديث الشريف : تنوعت مصادره الجمالية ، فالصورة الأولى : أوحت بها همزة الاستفهام « أرأيتم » ؛ فقد أفادت معان كثيرة فوق المعنى الوضعى لها فى اللغة ، وهى الإجابة عن هذا السؤال منها : إثارة انتباه السامع لأهمية موضوع الصلاة والاستعداد لها بالطهارة والغسل ، فهى عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين ، لأنها تربية بدنية وروحية وأخلاقية واجتماعية ، ومنها : إفادة التقرير والثبوت ، فليس المرادُ بالاستفهام الإجابة عن السؤال فحسب ، بل المراد أيضا أن هذه التربية البدنية ، والقيم الخلقية والاجتماعية ، أمر ثابت ومقرر ، لمن أدى الصلاة بعد الاغتسال والوضوء خمس مرات فى اليوم والليلة ، ومنها : أن الاستفهام بالهمزة وهى حرف مفرد يفيد التحقيق والحق والحقيقة ، فلا مجال هنا للتردد والظن ، مما تضمنه بنية « هل » من احتمال هذه الظنون ، بمعنى أن من اغتسل خمسا للصلوات المفروضة فجزاء فاعلها محو الذنوب حقا وحتما لا مرد فيه ، لأنه وعد الله ، والله لا يخلف الميعاد ، وكذلك الأمر فى الاستفهام الثانى فى قوله : « ما تقول ذلك يُبقى من درنه ؟ » . والصورة

الثانية : فى تخصيص الفعل المضارع دون الماضى والأمر ، فى قوله « يغتسل ، ويبقى ، ولا يبقى ، ويمحو » للدلالة على تكرار الغسل وتجدده واستمراره ، وما أجمل العموم فى لفظ « يغسل » غير المقيد ، وبلاغته العميقة فى تنوع الغسل ، ليشمل جميع البدن أو معظمه ، أو الاقتصار على أعضاء الوضوء فقط ، وللدلالة على طهارة تجدد الأوساخ الحسية فى البدن والثوب ، والمعنوية من الطهارة النفسية والقلبية ، فهو متجدد مع المرات الخمس ، وللدلالة على استمرار محو الذنوب فى يمحو بها الخطايا فى العمر كله ، لتجدد الغسل والصلاة المفروضة كل يوم ،وكذلك الحال فى الصور البلاغية المستمدة من وحى اللغة فى « أرأيتم - ونهراً - وكل يوم - ومن درنه - والصلوات الخمس - وبها الخطايا » .

التصوير الفنى فى بلاغة الأسلوب البيانى المستمد من ألوان الخيال ، ينخذ منها صوراً حسية مؤثرة فى النفس والقلب والعقل والوجدان . سواء أكانت صوراً جزئية أو كلية ، فأما الصور الجزئية فمنها : المجازُ المرسلُ فى « يغتسل فيه » ، فليس المرادُ أن يغتسل فى امتداد النهر كلِّه ، يَسْبَحُ فيه من أوله إلى آخره ، بل المراد فى جزء منه ، لتوحى الكلية فى النهر بشمول الجسد وكمال الطهارة ، ومنها : الاستعارة المكنية فى كل من « يبقى من درنه ، ولا يبقى .. » فهى تفيد بأن النهر له تأثير فاعل كالإنسان ؛ لتنظيف الجسد وتطهيره ، فيشتمل على البدن خمس مرات ، حتى لا يبقى من درنه شئ ، ومنها : صورة الاستعارة التصريحية فى « يمحو بها الخطايا » لأن الخطايا أمر معنوى والمحو لا يكون إلا للحسى ، فجاءت فى صورة محسوسة للتأكيد على غفرانها كلها ، سواء الصغائر منها أو الكبائر على الأرجح عند العلماء ، ومنها : صورة التشبيه التمثيلى فقد شُبِّه الاغتسال خمس مرات ؛ لإزالة الأوساخ الحسية والنفسية بأداء الصلوات الخمس ،

يمحو بها الذنوب ، للتأكيد على تشريع الغسل والصلوات معا ، فهما مرتبطان بطاعة الله ومرضاته . وأما الصورة الكلية البديعة فقد وردت فى أقصوصة طريفة ومثيرة ، نسج فيها الخيال أحداثا حسية ومشاهد حية ، لتحريك العاطفة وإثارة العقل وتنشيط الوجدان واشتياق القلب ، فجاءت فى صورة حكاية جرت فى العادة ، وقامت مشاهدها المتنوعة فيما بين منزل مقام على نهر واسع ومتجدد ، بجوار منازل أخرى ، يغتسل المقيمون فيها كل يوم خمس مرات ، فى كل مرة يزيل الأوساخ من البدن والثوب ، ثم يتبعها بالصلوات الخمس ، ويدور الحوار بين شخصيات القصة ، الراوى الذى سمع من الرسول ﷺ والمتحدث والسائل والمجيب ، والمستمعون وهم كثيرون ، يفكرون فى السؤال ويحاولون الإجابة ، كل ذلك فى أحداث محسوسة ، ومشاهد حية ومتحركة فى قصة قصيرة بليغة .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - الحث على أداء الصلوات فى أوقاتها ، والحرص عليها فى مواقيتها الموزعة على اليوم ، يجعل القلب دائما موصولا بذكر الله وشكره معظم اليوم أو نصفه ، تجدد نشاطه الروحى ، والإيمانى .

٢ - أثر الوضوء والصلاة معا فى طهارة المسلم ورشاقته ونظافته معنويا ونفسيا من الشواغل والذنوب ، وحسيا وجسديا من الأوساخ والجراثيم والأمراض ؛ ليظل المسلم قويا نشيطا .

٣ - منزلة الصلاة بين غيرها من أركان الإسلام ؛ فهى عماد الدين ، تنهى عن الفحشاء والمنكر : ﴿ اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾

وفى الحديث الشريف : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له » .

٤ - مشروعية ضرب الأمثال لتقريب المعانى والقيم إلى العقول والقلوب وتحريك العواطف .

٥ - بالإضافة إلى ما ذكر فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

الغـر المحجـلون

أخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أمتى يُدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل » .

بلاغة التصوير الأدبى : فى التعبير عن تميّز الأمة الإسلامية من بين الأمم يوم القيامة على غيرها ، قال تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم ﴾ ، فامتازت شريعتها بالسماحة والتوسط والاعتدال : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ ، وهذا الفضل والتميز يرجع إلى روعة التصوير الأدبى من الحديث الشريف فى قوله : « إنّ أمتى يُدْعَوْن يوم القيامة » ، فيقوم على صور بليغة متنوعة :

١ - صورة التأكيد « بإنّ » فهى لا تقبل الجدل والحوار ، فلا راد لحكم الله تعالى ، ولا مجال لمنكر أو معترض ، لأنه حكم وتقرير إلهى محمدى .

٢ - الصورة الفتية الصادرة من قوله : « أمتى » ؛ فهى تدل على أمة محمد ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وأفضل الخلق أجمعين وقائد الغر المحجلين ، وهى الأمة الإسلامية إلى قيام الساعة .

وكذل تدل إضافة ضميره ﷺ إلى أمته على اعتزازه بها ، وحبه لها وحرصه عليها قال تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ .

٣ - الصورة الأدبية البليغة فى قوله « يدعون » ؛ فهى تدل على أسرار جمالية كثيرة ، وهى أن أمتنا أمة الدعوة للتوحيد والإسلام والسلام ؛ وكذلك هى أمة معروفة مشهورة بين الأمم بصفاتها المتميزة الكثيرة ، لأنهم يدعون بمعنى يعرفون بذلك ، وكذلك عموم الفاعل فى بناء الفعل للمجهول فى « يدعون » ، يدل على أن شهرتها ليست بين الأمم فحسب ، بل شهرتها عامة تشمل الجن والإنس والملائكة، وكل ما يعلمه الله ولا يعلمه أحد سواه .

بلاغة التصوير الفنى فى قوله : «غرا محجلين من آثار الوضوء» فقد تنوعت فى هذه العبارة الأسرار البلاغية اللطيفة منها :

١ - تشبيه النور الإلهى الذى يشمل الوجه والكفين والقدمين والجسد كله بالبياض الناصع فى غرة الفرس الأسود وتحجيله ، وذلك فى صورة مستمدة من الواقع الذى يعيشه المسلم ، ويتعامل معه صباحاً ومساءً ؛ ليكون ذلك أكثر تأثيرا فى النفس وأعظم وضوحا ؛ فهى محسة من الواقع .

٢ - وفى هذه العبارة أيضا توحى بصورة أخرى جاءت على سبيل الكناية ، لتدل على أن الغرة والتحجيل فى جبهة الفرس وقدمه ليست هى المرادة ، بل المراد المعنى الكنائى البعيد وهو النور الإلهى الشامل الذى ينتشر فى المحشر من الأمة المحمدية كلها ، مما يثير الأمم كلها ، وتتعجب من قوته وشدته ، فيدفعهم ذلك للسؤال عنه ، نتيجة لإسباغ

الوضوء والإحسان فى صلاته ، فهم لا يقتصرون على الأعضاء ونورهم يسعى بين أيديهم : قال تعالى : ﴿ يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ وقال أيضا : ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ﴾ .

بلاغة التصوير الأدبى فى التعبير بقوله : « فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل » ، والأسرار البلاغية الجميلة فى هذه الصورة الفنية ، تدل على إذكاء روح المنافسة والتسابق فى إحسان الوضوء ، والحرص عليه وعلى الصلاة عمود الدين ، والإتقان فى ذلك حتى يسبق كل واحد الآخر ، فى أن المنافسة والتسابق على الاستطاعة حسب وفرة المال والماء والوقت والجهد ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ ، وهذا ما يوحى به التوازن والتعليق بين أسلوبى الشرط والجزاء ، بمعنى أنه إذا توفر الشرط وهو : « فمن استطاع منكم أن يطيل غرته » وجب تحقيق الجزاء على سبيل الأمر والوجوب ، وهو ما يدل عليه أسلوب الجزاء من الأمر فى قوله : « فليفعل » .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - فضل أمة محمد ﷺ على غيرها من الأمم فهى ﴿ خير أمة أخرجت للناس ﴾ .. ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ .

٢ - تتميز أمة محمد ﷺ يوم القيامة كذلك بميزة أخرى تعرف بها بين الخلق كافة ، وهى نور الغرة والتعجيل ، وذلك من آثار الحرص على الوضوء والصلاة والمنافسة فيهما .

٣ - يستحب إسباغ الوضوء بالزيادة فى غسل العضوين الواجب والمفروض، لأن ما يتم الواجب إلا به فهو واجب .

٤ - جواز مدح المسلم حين يعود عليه المدح بالخير ، ويدفعه إلى الإقبال على العمل الصالح إلا إذا خشيت الفتنة والاغترار بنفسه .

٥ - تبشير أمة محمد ﷺ بمرضاة الله عز وجل ، وأنها أكثر الأمم عددا ؛ فقلما تجد مسلما لم يتوضأ للصلاة .

٦ - بالإضافة إلى ما ذكر فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

بعثتم ميسرين لا معسرين

أخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « قام أعرابى فى المسجد فبال ، فتناوله الناس فقال لهم النبى ﷺ دعوه وهريقوا على بوله سَجْلاً من ماء أو ذَنوبا من ماء ، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين » .

بلاغة التصوير الأدبى فى قوله ﷺ : « قام أعرابى فى المسجد فبال ، فتناوله الناس » ترجع إلى أسرار جمالية متنوعة : فالتعبير بقوله « قام أعرابى » فيه دلالة على أن الأعرابى كان قد أدى الصلاة فى المسجد قبل البول ، فلما ألحّت عليه الحاجة ، اضطر أن يبول فى المسجد « والضرورات تبيح المحظورات ، فلم يقصد ذلك ابتداء ، ويؤكد ذلك ما جاء فى رواية أخرى : « أن أعرابيا دخل المسجد ورأى رسول الله ﷺ مع أصحابه فصلى ركعتين ثم قال : اللهم ارحمنى ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً ؛ فقال النبى لقد تحجرت واسعا فلم يلبث أن بال فى ناحية المسجد .. » . وفيه دلالة أيضا على أن هناك فرقا بين « الأعرابى » الذى يسكن فى البادية فطبيعته الجفوة ، وبين العربى التى تحضر بأعراف المدنية ، لذلك فلا غرابة من صنيع هذا الأعرابى ، الذى لم يهيئ نفسه للصلاة والمكث فى المسجد .

وفى ذكـر المسـجـد بالألف واللام دلالة على أن هذا الحكم خاص بالمسجد المعد لذلك بالبناء ، ولا يطلق على الخلاء بدون بناء لتعرضه للشمس والماء والهواء ؛ لأن المسجد له حرمته وتعظيمه ، وفى التعبير الفنى بالفاء فى قوله : « فتناوله الناس » التى وضعت للترتيب والتعقيب ؛ دلالة على المسارعة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، كما فى الحديث الشريف : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده .. إلخ » .

وتجد روعة التصوير البلاغى أيضا حين قال النبى ﷺ « دعوه وهريقوا على بوله سَجْلا من ماء أو ذنوبا من ماء » من خلال صور فنية متنوعة :

١ - جمال التصوير الفنى بالفاء فى صورة : « فقال لهم النبى ﷺ دعوه .. إلخ » يدل على شفافيته وسرعة بديهته فى رد إنكارهم ؛ وتوجيههم إلى الأسلوب الأمثل فى الدعوة إلى سماحة الإسلام فى رفق ورعاية للضرورات البشرية .

٢ - وجاءت الصورة الفنية البليغة الثانية : « وهريقوا عليه سَجْلا من ماء » لتؤكد سماحة الإسلام فى الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، فأمر المعترضين عليه أن يقوموا هم لا الأعرابى بأن يصبوا ماء على مكان البول ؛ فهذا يكفى لطهارة المكان وترضية الأعرابى ، وفيه دلالة أيضا على أن الأرض التى لا تصل إليها الشمس لا تطهر إلا بالماء ، لأن صب الماء عليها يبعد النجاسة عن سطحها ، وفى قوله : « على بوله » دلالة على صب الماء من أعلى دون أن يقلب التراب ولا يأتى على كل جوانبه من أسفل .

روعة التصوير الأدبى فى قوله : « فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين » تعتمد على أسرار بلاغية رائعة فى صور فنية جميلة : منها

التصوير الفنى لسماحة الإسلام ويسره بأسلوب القصر والتوكيد فى قوله : « إنما بعثتم ميسرين ، وذلك فى صورتين أدبيتين : الأولى التصوير الفنى المؤكد بإنما ، والثانية : التوكيد بقصر التيسير والسماحة على أمة محمد ﷺ ؛ فالمعنى أن التيسير مقصور على أمتكم أنتم وحدكم لا على غيركم ، وذلك فى قوله : إنما بعثتم ميسرين » ، وفى هذا أيضا توجيه للأمة كلها ؛ ليبلغوا عنه فى حضوره وفى غيابه ، كما جاء فى حديث آخر : يسروا ولا تعسروا » وفى قوله : « هلك المتنطعون » أى المتشددون .

وكذلك بلاغة التعبير فى صورة النفى بعد الإثبات : « ولم تبعثوا معسرين » بعد قوله : « إنما بعثتم ميسرين » ، وفى هذا التصوير الفنى تأكيد على القيم الأخلاقية والتشريعية السابقة فى سماحة الإسلام ويسره ، لذلك كرر أسلوب النفى بعد الإثبات ، لإثبات هذه القيم بالحجة والدليل ، حتى يقتنع المتلقى بنفى العسر وهو النقيض لإثبات اليسر فى الإسلام ، على سبيل المبالغة بتصوير اليسر بصور متعددة كالرفق بالجاهل ، وتقديم أخف الضررين ، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة قال تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ وقال أيضا : ﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾ .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - الأرض النجسة يطهرها الماء عند الفقهاء ، وقد تطهر الأرض بالشمس والهواء عند بعضهم ، أما فى المسجد أو المنزل فلابد من الماء لعدم التعرض للشمس بالإضافة ، إلى حرمة المسجد وقداسته فيلزم فيه الماء .

٢ - الغسالة طاهرة لأنها تبعد النجاسة عن سطح الأرض .

٣ - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، مع الرفق بالجاهل فى ذلك حتى يتعلم .

٤ - التحرز عن النجاسة ، وأنها تزول عند زوال المانع ؛ فإذا زالت بالماء أصبح مكانها طاهرا .

٥ - تقديم أخف الضررين، فقد يضر الإنسان احتباس الماء إذا تأخر، مما يدل على سماحة الإسلام ويسره ؛ وحرصه على سلامة الإنسان ؛ بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى فى الحديث الشريف .

التيمـــم

أخرج البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ، نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجُعلتْ لى الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة » .

بلاغة *التعبير النبوى الشريف* « بخمس » ترجع إلى أن هذه الصيغة لها دلالات كثيرة ، أولا : أن التنكير فى « خمسا » يدل على التعظيم أى فهذه « خمس » عظيمة لا تكون إلا لعظيم ، وليس هناك فى البشر أعظم من محمد ﷺ رسوله العظيم ، وثانيا : أن التنكير هنا أيضا يدل على العموم والشمول ، فيدخلُ فى الخمس غيرها مما اختص الله به نبيَّنا محمداً ﷺ ، مما ورد فى أحاديث أخرى ، سواء دخل بعضها فى مفهوم كل واحدة من الخمس مثل : أعطيت مفاتيح الأرض ، وجعلت أمتى خير الأمم ؛ فإنهما يدخلان فى مفهوم الثانية فى هذا الحديث ، وهى : جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا » وهكذا ، أو دخل فى مفهوم العموم بصفة عامة ، لأن ذكر

الخمس لا يتعارض مع ما ذكر فى أحاديث أخرى ، لأن الأحاديث تكمل بعضها بعضا ، ولكل موقف ما يتلائم معه ، والبلاغة تقتضى عدم جمعها فى حديث واحد ، حتى لا يقع النسيان بين العدد الكثير ، ثالثا : أن هذه الخمسة غير مقصودة ومحددة بذاتها ، فهى لا تنفى ما ورد فى أحاديث أخرى ، ولا تتعارض معها ، فقد وردت عشرة ، وقيل غير ذلك إلى ستين ، لأن الرسول ﷺ « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » فكلما أوحى إليه بشئ ذكره فى حديث وهكذا ، وفى حديث أبى هريرة زاد خصلتين : « وأعطيت جوامع الكلم وختم بى النبيون » وفى حديث آخر «جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وأعطيت هذه الآيات من سورة البقرة عن كنز تحت العرش ، وعند أحمد « أعطيت مفاتيح الأرض ، وسميت أحمد ، وجعلت أمتى خير الأمم » وعند البزاز «غفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر ، وأعطيت الكوثر ، وإن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فما دونه ، وكان شيطانى كافرا فأعاننى الله تعالى عليه فأسلم » وغيرها .

بلاغة التصوير الأدبى فى قوله : « وجعلت لى الأرض مسجدا طهورا » تعود إلى صور بلاغية متنوعة ، منها : إيثار بناء الأفعال للمجهول لا للمعلوم فى كل الأفعال ، مثل « جُعلَت » ، أُعطِيتُ ، لم يُعطَهن - نصرت - أُحلت - ولم تُحل ، ويُبعَث وبُعثت .. إلخ » فلم يأت لفظ الجلالة « الله » صريحا ، بل كان مضمرا ، وقام مقامه نائب الفاعل ، فقال وجعلت لى الأرض » ولم يقل : « وجعل الله لى الأرض » ؛ لأن المقام هنا مقام الفخر والعُجب بهذه الخصوصيات ، التى اختص بها دون غيره ، وحياء الرسول ﷺ وأدبه وخلقه يمنعه ، من أن يقع منه الفخر ؛ مع ذكر لفظ الجلالة صريحا وفى كل مرة ، لذلك أكد نفى الفخر عنه صراحة فى حديث آخر «لا أقولهن فخرا » لابن عباس رضى الله عنهما ، ومنها - أسلوب القصر

والتأكيد فى تقديم الجار والمجرور فى قوله : « وجعلت لى الأرض » والأصل وجعلت الأرض لى، لإفادة قصر ذلك على النبى وحده ، فقد جعلت له الأرض خاصة من بين البشر ، وأسلوب القصر يؤكد هذه الخصوصيات ، ومنها : إفادة التخصيص بعد التعميم فى قوله : « مسجداً وطهوراً ، فالتعبير «بالمسجد» نكرة يفيد شمول الأرض كلها بلا قيد ولا شرط ، وهذا هو العموم ، والتعبير «بالطهور» يفيد التقييد والتخصيص ، فليس كل تراب الأرض صالحا للتيمم، بل التراب الطاهر ، وليس كل موقع فى الأرض صالحا للصلاة ، بل الأرض الطاهرة التى يغلب على الظن بأنها طاهرة ، إذن فالتخصيص هنا يقتضى تحقيق شروط وأركان الطهارة وصحة الصلاة .

التصوير الأدبى فى بلاغة الأسلوب النبوى الشريف فى قوله : « فأيُّمَا رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل » يعود إلى صور فنية بليغة منها : أسلوب الشرط والجزاء البليغ ، الذى يقوم على التناسق الموسيقى المتوازن بين جملة الشرط ، وهى : « أدركته الصلاة » ، وبين جملة الجواب والجزاء فى « فليصل » ، وهذا النسق الموسيقى يشد الانتباه ، ويثير المشاعر والوجدان ؛ بالإضافة إلى ما يفيد من ترتب الجزاء على فعل الشرط ، فيستحق المصلى الطائع سقوط الفريضة ومضاعفة الأجر عليها ، وعبر بالرجل دون المرأة ، لأنه مسئول عنها وقيّم عليها ، يعلمها ما تعلّم ؛ فالزوج راع وهو مسئول عن رعيته ، وكذلك بلاغة التعبير بإضافة الأمة إليه ﷺ تشريفا وتعظيما لها «أمتى» فهى خير أمة أخرجت للناس ، والإضافة أيضا تقتضى طاعة الله ورسوله فيما أمر ونهى ، حتى ينالوا هذا الشرف العظيم ، وبلاغة الأسلوب فى قوله : « أدركته الصلاة » فى نسبة الإدراك إلى الصلاة ، ولم يقل أدرك المسلم الصلاة » لإفادة أن الصلاة وسائر التشريعات هى تلاحق المسلم الغفلان عن سعادته بين حين وآخر ، وتسارع

بتوجيهه إلى إدراك الصلاة قبل فوات الأوان وحينئذ لا ينفع الندم ، وهو ما يدل على عظمة التشريع الإسلامى وسماحته . وغاياته السامية من السعادة فى الدنيا والآخرة ، ذلك هو الفوز الكبير .

التصوير الأدبى الجميل فى بلاغة الأسلوب ، الذى يدل على عموم الفاعل فى صيغة الفعل المبنى للمجهول فى قوله : « نصرت بالرعب ، وجعلت لى الأرض وأحلت لى الغنائم ، وأعطيت الشفاعة ، وبعثت إلى الناس عامة » ليشمل الفاعل الحقيقى الخالق . وهو الله عز وجل ، وهو المنعم بهذه الميزات على نبيه محمد ﷺ ؛ فهو وحده المختص بها ، وكذلك يشمل سبب الاستحقاق لها ، وهو النبى ﷺ بما قدم من عمل وفضل لا يقوى عليه أحد غيره ، وما بذله من جهد وتحمل لا ينهض به أحد سواه ، مع رحمته بأمته وحبه لهم ، فلم يدع على أعدائه كالأنبياء السابقين بالتدمير العام ، لأن لكل نبى دعوة على قومه الضالين ، وغيرها من الفضائل التى تجعله سببا لما اختص به من هذه المميزات والنعم ، قال تعالى : ﴿ ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾ وقال أيضا : ﴿ ومن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴾ وقال أيضا : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ .

التصوير الفنى فى بلاغة التعبير وروعته فى قوله : « نصرب بالرعب» فلم يقل نصرت بالسيف والسلاح ولا بالقتل والعنف والتنكيل ، كما يدعى ذلك أعداء الإسلام بأن الإسلام انتشر بحد السيف والقتال ، وإنما سبب الأسباب فى نشره والانتصار على أعدائه يرجع إلى ضعف نفوسهم ؛ وفساد عقيدتهم وسوء سلوكهم وأخلاقهم ، فتمتلئ قلوبهم بالرعب والخوف من المؤمنين ، أهل الحق والعدل والخير ، وغيرها من الصفات ، التى

تجعلهم أقوياء أعزة ، لا يخشون أحداً إلا الله ، فيصاب العدو بالضعف والجبن والرعب ، لا عند ملاقاة المسلمين في ساحة القتال فحسب ، بل قبل ذلك بزمن بعيد ، ومسافات طويلة يقطعها المسلمون سيرا في شهر ، لكي يتمكن الأعداء من مراجعة أنفسهم ، ويعودوا إلى رشدهم ، فيعلنوا إسلامهم ، ويتمسكوا بتعاليم الإسلام ، ويرجعوا عن الظلم والعدوان ، حتى لا يتعرضوا للجهاد لرفع الظلم والعدوان والفساد ، فما أعظم سماحة الإسلام في الأمن والسلام ؟

التصوير الأدبي الرائع في بلاغة التعبير عن السماحة واليسر في قوله : « وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا » ، فهو يدل على كمال الشريعة الإسلامية ، التي تلاءمت مع نضج العقل البشري واكتماله ، وفي قوله : «بعثت إلى الناس عامة » كذلك ترى الروعة والجمال في الصورة الفنية الأولى ؛ لأنها كناية عن السماحة واليسر في تعاليم الإسلام ، فلم تقتصر الطهارة للعبادة على الماء فحسب ؛ بل تصح بالتيمم بضرب الأرض بكفين، يمس بها وجهه وذراعيه ، فيرتفع عنه الحدث الأصغر والأكبر ، ويصير طاهرا عند الله وعند الناس ، وكذلك الصلاة لا تقتصر على المساجد المبنية فحسب ، كالشأن في غيرها فلا تصح الصلاة إلا فيها ، بل سماحة الإسلام ويسره تجعل الصلاة مقبولة في جميع بقاع الأرض ، كما في قوله : «فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل» .

وكذلك تجد الروعة في الصورة الفنية في قوله : « وبعثت إلى الناس كافة » فهي كناية عن صلاحية الشريعة الإسلامية لجميع الناس، ولكل الأجيال والأزمان إلى قيام الساعة ، لأن الإسلام اتفق مع طبيعة العقل البشري بعد نضوجه واكتماله ، فقد بلغت النفس البشرية مبلغ الكمال في الوعي والعاطفة والوجدان ، وتطابقت تعاليمُها مع مقتضيات حياته ،

واتسعت لعقله ووجدانه ، فلا تحتاج إلى تغيير من وقت لآخر ، كالشأن فى القوانين الوضعية ، ولا تختص بجنس بشرى دون آخر . كالشأن فى رسالات المرسلين السابقين لأقوالهم ، بل هى صالحة لكل الأجناس ، وفى كل العصور إلى يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - رد فرية انتشار الإسلام بالسيف والقتل بأن الله ألقى الرعب والخوف فى نفوس أعدائه ، وبما توج به نبيه محمدا ﷺ بالهيبة والنصر .

٢ - عموم رسالة الإسلام للإنس والجن فى مختلف البيئات والأزمان .

٣ - ثبوت الشفاعة العظمى لسيدنا محمد ﷺ .

٤ - فضل سيدنا محمد ﷺ على جميع الأنبياء والرسل وفضل أمته على غيرها من الأمم .

٥ - صحة التيمم بتراب الأرض ، التى تصح الصلاة عليها كالمساجد سواء بسواء ، مما يدل على سماحة الإسلام ويسر تعاليمه .

٦ - التمتع بالغنائم وصحة تملكها ، فقد أحلها الله سبحانه للأمة الإسلامية بعد أن كانت محرمة عند الأمم السابقة .

٧ - جواز التحدث بنعم الله عز وجل على عباده اعترافا بفضله لا رياء وفخراً أو تطاولا : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ .

٨ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

المؤمن لا ينجس

أخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ لقيه فى بعض طرق المدينة وهو جنب قال : فانخنستُ منه فذهبت فاغتسلت ، ثم

جئت فقال : أين كنت يا أبا هريرة قال : كنت جنبا فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة ، فقال : سبحان الله إن المؤمن لا ينجس » .

التصوير الأدبى في بلاغة التعبير عن توقير الصحابة رضى الله عنهم لرسول الله ﷺ مهابة له وحياء منه ، كما ورد في الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ لقيه في بعض طرق المدينة وهو جنب قال : فانخسنت منه فذهبت فاغتسلت ثم جئت » فقد دل هذا التصوير الأدبى البليغ على قيم أخلاقية وتشريعية سامية ، منها حرص النبي ﷺ على أمته واهتمامه بهم ، حتى وهو في الطريق ، مما أثار انتباه أبي هريرة ؛ فاختفى عنه حياء منه أن يلقاه وهو جنب ، ومنها تلك الصورة الفنية التي تدل على المسارعة إلى الطهارة من الجنابة ؛ من خلال الفاءات الثلاثة التي وضعت للترتيب والتعقيب السريع في قوله : «فانخسنت منه فذهبت فاغتسلت» ، ثم القيم الخلقية والصحية في التريث بعد الاغتسال ، حتى لا يتعرض المتطهر للأذى ، من خلال التصوير الفني « بثم جئت » ، التي وضعت للتأني والتراخي ، ثم تصوير شيمة الحياء عند الصحابة لحرصهم على تلقي الأحكام ، وهم في أجمل وأكمل حال مهابة له وتوقيراً ، وحرصهم أيضا على معرفة أحكام الشريعة فيما يقع لهم من أحوال ، مما جعل أبا هريرة يعود بسرعة ليتلقى الحكم الشرعي ، بعد ما أثار اختفاؤه انتباه النبي ﷺ .

التصوير الفني في بلاغة التعبير عن السؤال لمعرفة دوافع اختفاء أبي هريرة في قوله : « أين كنت يا أبا هريرة فقال : كنت جنبا فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة » فكانت الصورة الأدبية الأولى تعبر عن إنكار النبي ﷺ لاختفاء أبي هريرة ، وليس السؤال عن صنيعه : في قوله : أين كنت ؟ وفيها أيضا دلالة على أدب الرسول ؛ لأنه لم يسأله عن سبب الاختفاء وإنما سأله عن مكانه ، وتدل الصورة الفنية الثانية عن توفير النبي

لأصحابه ؛ ومحبته لهم ، حينما ناداه بكنيته « يا أبا هريرة » ، وتدل الصورة الفنية الثالثة فى « كرهت أن أجالسك » ، على الاهتمام والحضور القلبى والعقلى ، وعلى المشاركة الإيجابية فى ذلك ، لدلالة صيغة المشاركة والمفاعلة على التجاوب بين الحاضرين بكل طاقاتهم الفكرية والعاطفية والنفسية والعملية ، وهذا يدل على صدق إيمانهم ، وإيثار نبيهم بالمحبة لقوله تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ ، ولقوله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ وفى الحديث الشريف : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده » .

التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير عن التعجب من اختفاء أبى هريرة وجهله بالحكم الشرعى فى قوله : « سبحان الله إن المؤمن لا ينجس » ، وذلك فى الصورة الأدبية الأولى : « سبحان الله » ؛ فهى تدل على التعجب من حال أبى هريرة كيف يخفى عليه هذا الأمر ، فطهارة المؤمن ينبغى أن تكون معروفة بالبداهة ؛ فلا تخفى على أحد ، وكذلك تدل الصورة الفنية الثانية فى « سبحان الله » على التنزيه والاستعظام لله عز وجل ، والتقديس له سبحانه وتعالى عما يصفون ، ثم الصورة الفنية الثالثة « إن المؤمن لا ينجس » التى تدل على أن طهارة المؤمن حيا أو ميتا أمر معروف ومقرر لا يجهله أحد ، ولا يقبل الجدل أو الإنكار ، لذلك جاء بمؤكدات ، فعبر «بإنما» للتوكيد ، وبإسمية الجملة التى تدل على الثبات والدوام ، الذى لا يقبل التغيير ولا التحويل ، ثم بتسليط النفى على الخبر الذى تتم به الفائدة ، ليكون كالدليل على الحكم المدعوم بالدليل القاطع فقال : « لا ينجس » لإفادة عموم الحكم بعدم النجاسة ، لأن المؤمن فى ذاته لا ينجس حيا ولا ميتا ، أما إذا أصابته نجاسة من خارج جسده فعليه أن يتطهر منها

بالماء ، وأما قوله تعالى : ﴿ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ فالمراد نجاسة العقيدة بالكفر ، قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - توقير الصحابة رضى الله عنهم للرسول ﷺ ؛ فلا يلتقون معه إلا وهم على أكمل وجه ، وأجمل صورة فى عفة وطهارة وتوقير .

٢ - يستحب الإسراع برفع الجنابة بالغسل ولا مانع من جواز تأخير الغسل وقضاء بعض الحاجات قبل رفعها بلا حرج فى ذلك .

٣ - حياء النبى ﷺ وحسن أدبه ، وجمال قوله ، وبلاغة حديثه فى تأليف قلوب المؤمنين ، وإشاعة المودة بينهم ، وللإهتمام بهم .

٤ - جواز تنبيه الإنسان لأموره بطريق غير مباشر دفعا للحرج وتجملا وأدبا .

٥ - مفتاح العلم المسألة فيستحب السؤال عن أمر ، ليعرف حكمه الشرعى والحقيقى ، واستحباب مجالسة العلماء على طهر ونظافة وعفة ورشاقة .

٦ - ذكر الله تعالى وتسبيحه عند الدهشة ، والتعجب تنزيها لله تعالى وتعظيما .

٧ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

الجمعة عيد المسلمين

أخرج البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : أشهد على رسول الله ﷺ أنه قال : « الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم ، وأن يستن ، وأن يمس طيبا إن وجد » .

التصوير الأدبى لبلاغة الأسلوب النبوى الشريف فى الاحتفاء بعيد المسلمين الأسبوعى يوم الجمعة المبارك ؛ يعود إلى تنوع الصور البلاغية الجميلة ، منها دلالة أداة التعريف ، وهى « ال » فى « الغسل » على الشمول والاستغراق ؛ فيشمل تعميم الجسد كله بالماء الطاهر ؛ وإزالة ما عليه من أوساخ حسية كالتراب والعرق والبول والغائط وغيرها من النجاسات ، وما فى الجسد من حدث معنوى كالجنابة أو الحيض أو النفاس وغيرها ، وغسل ما على الجسد ، من ملابس تشربت العرق والتراب والأوساخ ؛ ليكون الثوب طاهرا نظيفا كالجسد تماما ، لأنه ليس بمعقول أن يطهر الجسد ثم يعود إلى ثيابه المتسخة فيضطر أن يغتسل مرة أخرى ، وهذا المعنى يتناقض مع الغرض من الحديث الشريف فى الطهارة والنظافة ؛ فى الاحتفاء بعيد المسلمين الأسبوعى ومنها التنصيص على يوم الجمعة بالذات ؛ لأن اليوم يتكرر مع بقية أيام الأسبوع ؛ فيهمل المكرر ليتميز غيره ؛ للدلالة على أن الغسل لابد أن يكون لصلاة الجمعة ، تبدأ من الفجر ؛ فلا قيمة خلقية وتشريعية لها بعد صلاة الجمعة ؛ ولا قبل الفجر ؛ للمفارقة بلوازم الصلاة من السواك والطيب ، ومنها قوله « واجب » أى كالواجب تماما فى الكيفية وكرم الأخلاق ، ورعاية للذوق السامى والنظافة ، وكمال الزينة وحفاظا على الصحة ومقاومة المرض ، وليس واجبا فى الحكم ، بل سنة مؤكدة عند جمهور العلماء ؛ لقوله ﷺ فيما رواه أبو داود والترمذى وغيرهما « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ، ومن اغتسل فالغسل أفضل » ، ومنها قوله : « على كل محتلم » ، فيشمل البالغ العاقل رجلا كان أو امرأة ، ليخرج الصبى ، فلا يتأكد فى حقه لما رواه ابن حبان : « من أتى الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل » .

بلاغة الأسلوب النبوى الشريف فى التصوير الأدبى الرائع للاحتفاء

بالعيد الأسبوعى بكمال الزينة ؛ وتمام مظاهر الجمال والحسن ابتهاجا بالعيد ، وذلك فى صور فنية بليغة ، منها إيثار الفعل المضارع فى قوله يستن» و « يمس » للدلالة على تكرار الاستنان بالسواك كثيرا فى اليوم وتجديده ، واستمراره ، وتكرار مس الطيب والمسك كثيرا فى اليوم ، وتجديده واستمراره ، وخاصة فى يوم الجمعة عيد المسلمين ، لدلالة صيغة المضارع فى الوضع اللغوى على التجدد والحدوث والاستمرار ، ومنها دلالة معنى الفعل « يستن » على تدليك الأسنان بالسواك أو غيره ؛ لأن الأسنان مشتقة من سنّ واستنّ والاستنان وغيرها ؛ فلا يلزم السواك فى جميع الأحوال ، ويصح غير السواك من الفرشاة مقترنا بالمعجون ، على العكس من السواك دون اعتماده على شئ ، وما أشبه ذلك ؛ لأن الفعل يدل على موضع الاستنان وليس السواك ، وأما حديث السواك : « لولا أن أشق عليكم لأمرتكم بالسواك عند كل صلاة » ؛ لأنه لم يوجد آنذاك إلا هو . والأمر مختلف بعد ذلك ؛ فقد تنوعت أشكاله حسب التقدم الحضارى ، الذى لا يتعارض مع حضارة الإسلام المتجددة ، وإن كان السواك أفضل لاحتوائه على مواد تقتل البكتريا ، ومنها الصورة البلاغية فى التعبير عن التطيب بالرائحة الزكية فى معنى الفعل « يمس » من الطيب أو المسك وما شابه ذلك من كل طيب كزيوت الورود والياسمين والفل وغيرها ، والاقتصار على المس دون الدهان ولا السيلان ؛ ولا الإغراق والشمول ولا الإسراف فيه ، فإن ذلك يضر بالجلد ، وربما تنشأ عنه أنواع من الحساسية ، وغيرها من الأمراض الجلدية كما نبه إلى الطيب الحديث الشريف ، لذلك يكفى مجردُ المس الرقيق واللطيف الخفيف ، وتلك هى بلاغة النبى ﷺ وجوامعُ كلمه التى تصور الإلهامات الربانية ، يتميز بها من بين البشر جميعا « إن وُجد » أى الطيب دفعا للحرج ، لأنه لا يتيسر لكل الناس ؛ بينما السواك ميسور ومتاع للجميع ، حتى بالإصبع الخشنة ، إن لم يجد .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - صلاة الجمعة غير واجبة على الصبى غير البالغ .

٢ - غسل صلاة الجمعة بصفة عامة سنة مؤكدة ، وواجب على الجنب وكل محتلم .

٣ - يستحب فى العيد الأسبوعى للمسلمين لبس الجديد أو النظيف الطاهر ، واستعمال الطيب والسواك .

٤ - يكفى من الطيب المس لا الإسراف والسيلان ، حتى لا يضر الجلد .

٥ - المتابعة فى الاستنان بالسواك أو غيره ، ومس الطيب إن تيسر ذلك .

٦ - الاحتفاء بيوم الجمعة لتجديد الطاقة فى الجسم والنفس ؛ لأنه عيد للمسلمين .

٧ - كذلك الأمر فيما لو حضرت النساء صلاة الجمعة فعليهن من الغسل الواجب والمسنون .

٨ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

من بنى مسجدا

أخرج البخارى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عند قول الناس فيه حين بنى مسجد رسول الله ﷺ قال : إنكم أكثرتم ، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله ، بنى الله له مثله فى الجنة» .

التصوير الفنى فى بلاغة الأسلوب النبوى الشريف فى قوله : «من بنى مسجداً» حين تقوّل الناسُ على الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، معترضين على تجديد المسجد النبوىّ وتوسيعه ؛ فرد عليهم إنكارهم

واعتراضهم بالنص الصريح مدعوما بالدليل الواضح حين قال : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من بنى مسجدا الخ .. الحديث » وهذا يتفق مع قوله تعالى : ﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون ، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ أجمع العلماء على أن عمارة المساجد تكون بالبناء والتجديد والتوسعة والزيادة والتجميل والتعليم والذكر ، بدليل الواو قبل الصلاة فى الآية ؛ فإنها تقتضى المغايرة أى أن العمارة غير الصلاة ، التى هى سبب تعمير بيوت الله تعالى .

وبلاغة التعبير بـ« مَنْ » تشمل كلَّ قادرٍ على المشاركة فى البناء رجلا أو امرأة صغيرا أو كبيرا ، بنفسه وجهده أو بماله وأدواته ، أو بقوله وحث الآخرين ، كما يقتضى بناء المسجد كله أو بعضه ، مهما قل حجمه ، كما جاء فى رواية ابن خزيمة عن جابر:« ولو كمفحص قطاة » بأن كانت الزيادة بمقدار مفحصها التى تضع بيضها فيه ، وهذا ما يفيده التنكير فى قوله : «مسجداً» على أى هيئة من الهيئات السابقة .

التصوير الأدبى **فى بلاغة الأسلوب فى قوله : « يبتغى به وجه الله »** ، فصيغة الفعل يبتغى لها دلالتان ، الأولى دلالة الوضع اللغوى، ومعناها الحب النابع من القلب لا من اللسان ولا من الجوارح ، والثانية : دلالة المضارعة فى الفعل على استمرار الحب وتجدده مع الأيام والعمر ، وهذا ما يدل عليه المضارع ، وفى تعلق الفعل - بمعنى الحب القلبى - إلى متعلقاته «يبتغى به وجه الله » قمة البلاغة النبوية، فى الدلالة على الإخلاص والصدق، لأنه الحبُّ القلبى الخالص لا لحاجة مادية ولا لغرض دنيوى أو

انفعال وقتى ، بل يعتمد على قيم سامية فهو شكرٌ لله تعالى على نعمائه ، وطاعة وعبادة وتقديس لذاته مصداقا لقوله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ .

التصوير الفنى فى بلاغة الحديث الشريف فى قوله : « بنى الله له مثله فى الجنة » ، فقد اعتمد التعبير على النسق الإيقاعى الجميل ، والتوازن الموسيقى الجذاب ، مما يهز العاطفة ، ويثير الوجدان ، لأنه يصدر عن أنغام تصدر عن طرح المقدمات فى قوله : « من بنى مسجدا » ، وهو أسلوب الشرط ، الذى يؤدى إلى استلزام الحكم ، وحتمية النتيجة ، والقرار ، فى أسلوب الجواب والجزاء ، فى قوله «بنى الله له مثله فى الجنة» ، وهذه صورة فنية تجمع بين العاطفة والفكرة ، وتتلاحم فيها الخواطر بالوجدان ، ليكون الحكم فيها ملزما وقاطعا ، وهو تبشير من يعمر مساجد الله تعالى بالجنة أولا ، ومضاعفة الأجر فيها ثانيا ، وبلاغة التعبير بالمثل فى الآخرة ، لا يقتصر على نظير ما بُنى فى الدنيا فقط ، فإن دلالة المثل الوضعية فى اللغة ، تتجاوز ذلك بكثير ، لأن المثل فى الحديث الشريف له معانٍ منها : المعنى اللغوى وهو النظير ، وقد يتكرر ، ولا يقتصر على مرة واحدة ، ومنها : المعنى البلاغى ، وهو إضافة « مثل » النكرة إلى ضمير الهاء ، بمعنى العموم والشمول ، ليدل على تعدد المثل ، فلا يقتصر على مدة واحدة ، ومنها : المعنى الاصطلاحى فى الشريعة الإسلامية ، وهو مضاعفة الطاعة والعمل الصالح إلى أكثر من عشرة أمثال كما فى قوله تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - فضل بناء المساجد وتعميرها وتوسعتها والتجديد فيها .

٢ - المساجد بيوت الله فى الأرض فهى أولى بالبناء والتعمير والتجديد .

٣ - حث المسلمين على تعمير المساجد وبنائها ؛ فله مثلها فى الجنة ، ويضاعف الله تعالى لمن يشاء أضعافا مضاعفة .

٤ - أن يكون التعمير والبناء ابتغاء مرضاة الله عز وجل لا رياء وتظاهراً .

٥ - السير على سنن الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح والتابعين، قال تعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين ابتغوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعدلهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ .

٦ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

الصلاة أحب الأعمال إلى الله تعالى

أخرج البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سألت النبى ﷺ أى الأعمال أحب إلى الله ؟ قال الصلاة على وقتها ، قال : ثم أى قال بر الوالدين قال : ثم أى ، قال : الجهاد فى سبيل الله ، قال حدثنى بهن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزادنى » .

التصوير الأدبى فى بلاغة الأسلوب النبوى الشريف فى أحب الأعمال إلى الله عز وجل فى قوله : « الصلاة على وقتها » ؛ فجاء التعبير عن الصلاة بالألف واللام لإفادة أن هذه الصلاة هى المعهودة فى الشريعة الإسلامية ، بأركانها وشروطها وكيفيتها وهيئتها ، وليست كأى صلاة ، ولا بمعناها اللغوى فقط وهو الدعاء ، وإنما هى بمفهوها فى الاصطلاح الشرعى ، وكذلك يفيد التعريف « بأل » أيضا معنى الاستغراق فى عدد فرائضها الخمس فى أوقاتها المشروعة ؛ فى الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، وسننها المتنوعة حسب كل فريضة .

ثم بلاغة التصوير الفنى فى قوله : « على وقتها » للدلالة على معان سامية وقيم أخلاقية منها : ما تفيده من العلو والرفعة بعد الدخول فى الصلاة ، يرتقى فيها المصلى إلى الحضرة الربانية ، ليخاطب الله عز وجل مباشرة ، وأسمى ما يتمناه أن يكون كذلك ، ومنها : طاعة الله عز وجل بأدائه الفرائض وهو أحب الأعمال إلى الله سبحانه ، كما فى الحديث القدسى الشريف « ما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه .. إلخ » ، ومنها خلق الالتزام والنظام والنظافة والطهارة والوحدة والمتابعة والتقدير ، وغيرها من القيم الإسلامية ، ومنها أنه قدم الصلاة على ما بعدها ، لأنها عماد الدين ، فعبادة الله تعالى ومحبته مقدمة على طاعة الوالدين كما فى قوله تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾ .

التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير عن أحب الأعمال فى الإجابة على السؤال الثانى بقوله : « بر الوادين » ؛ فالقيمُ الأخلاقية هنا متنوعة ، تشمل الطاعة فى غير معصية ، قال تعالى : ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى ﴾ ، وهذا يقتضى الإيمان الكامل ، معتمداً على مقوماته التشريعية ، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، قال تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ ، وكذلك يقتضى البر بذل المال عن محبة وإخلاص لا رياء ولا لغرض دنيوى ، بل لذوى القربى وأولاهم الوالدين وللمستحقين ، وبذل النفس لتقويمها على الطاعة والعبادة والصبر كما فى بقية آية البر السابقة فى قوله تعالى : ﴿ وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ .

التصوير الأدبي في التعبير عن إجابة السؤال الثالث عن أحب الأعمال إلى الله تعالى في قوله : « الجهاد في سبيل الله » ، وبلاغة التعبير بالجهاد تدل على قيم أخلاقية سامية ، وهي جهاد النفس في مقاومة هواها وشيطانها ، وعلى الكسب الحلال لتقوى على طاعة الله ، وتترفع عن الحرام وذل السؤال ، وتصون العرض ، وهذا الجهاد أفضل من بذل النفس في ساحة القتال ، لأنه هو الجهاد الأكبر كما ورد في الأثر الصحيح ، وقصة الرجل الذى رده النبي ﷺ عن صفوف المقاتلين في إحدى غزواته قائلا له : هل لك من والدين كبيرين قال نعم قال : إذن ففيهما فجاهد .

وكذلك بلاغة التصوير الفني في قوله « في سبيل الله » ، فهي تشمل قيماً أخلاقية كثيرة ، لا تقصر الجهاد على ساحة القتال فحسب ، بل تشمل كل عمل خالص لوجه الله تعالى ؛ فبذل الجهد والسعي في تحصيل المال المشروع وإنفاقه في وجوهه المشروعة ، وعلى صاحبه ومن يعولهم وعلى المحتاجين ، وفي مصارف الخير كالتعليم والإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمشروعات التي تعود على المسلمين والإسلام بالقوة والعزة والتقدم والرقي ، كل ذلك في سبيل الله .

وبلاغة الترتيب من هذه الأعمال الثلاثة جعلت أعمال الجهاد في سبيل الله السابقة في المرتبة الثالثة بعد الإيمان بالله وعبادته ، وبعد بر الوالدين ، لأن المرتبة الثالثة باطلة لا تنفع صاحبها بدونهما معا ، قال تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسب الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ﴾ .

القيم الخلقية والتشريعية في هذا الحديث الشريف :

١ - حرص الصحابة رضى الله عنهم على التزود بالعلم وبالسؤال ، وهو مفتاحه ، وعلينا أن نقتدى بهم في ذلك مع الاقتصاد في الأسئلة خوفا من الملل .

٢ - تأدب الصحابة رضى الله عنهم فى مخاطبة النبى ﷺ مما يدل على محبتهم له مما يجعلنا نقتدى بهم ذلك .

٣ - الحث على أداء الصلاة فى أفضل أوقاتها لأنها عماد الدين .

٤ - تعظيم الإحسان إلى الوالدين والبر بهما وطاعتهما فى غير معصية الله تعالى .

٥ - تعظيم الجهاد بأنواعه المختلفة والترغيب فيه ؛ لأنه من أحب الأعمال إليه .

٦ - تفاوت الأجر عند الله تعالى للأعمال الصالحة حسب منزلتها عند الله عز وجل .

٧ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

وجبت شفاعتى

أخرج البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة » .

بلاغة الأسلوب النبوى الشريف فى قوله ﷺ : « من قال حين يسمع النداء » فقد جاء التعبير « بمن » ، ليدل على العاقل البالغ المكلف ذكرا كان أو أنثى ، وعبر بالقول للدلالة على التلفظ بالنداء قولا مسموعا ، فلا يصح أن يجرى على القلب سرا ، بل لابد من الجهر والعلانية ، وما أبلغ التعبير بالفعل المضارع لإفادة التكرار والتجدد والاستمرار ، وما دام المؤمن مكلفا لم يسقط عنه التكليف ، فلابد أن يردده حين يسمع النداء فى اليوم والليلة

عشر مرات ، خمسا لأذان الفريضة وخمسا لإقامتها ، وبلاغة التعبير «بالنداء» في الدلالة على وجوب التلبية لأمرين ، للمناجاة بهذا الدعاء المأثور ، وللاستجابة بأداء الجماعة في بيوت الله التي يصدر منها النداء ، لأن صيغة النداء تقتضي الاستجابة للمنادى وتلبية ندائه ؛ لذلك ذهب بعض الفقهاء إلى وجوب صلاة الجماعة للفريضة في المساجد ، ولو من باب فرض الكفاية ، إذا قام بها بعضهم سقط عن الباقين ، وذهب آخرون إلى أنها سنة مؤكدة ، ويؤكد الوجوب حديث مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما فقد ورد بصيغة فعل الأمر في قوله : « قولوا مثل ما يقول ثم صلوا على » .

التصوير الأدبي في التعبير بالمناجاة لله تعالى والصلاة على النبي ﷺ في قوله : « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محموداً الذى وعدته » ، وذلك في صور بلاغية متنوعة منها الأسلوب الإنشائي الذي يدل على النداء ، ومناجاة الله عز وجل بلفظ الجلالة أي يا الله ، وبلفظ الرب أي يارب ، فقد جمع الأسلوب الإنشائي بين الألوهية والربوبية ، وهما أساس التوحيد وجوهر العقيدة الإسلامية ، ومنها الأسلوب الخبرى الذي يدل على التعظيم في اسم الإشارة « هذه » ، وفي دلالة أداة التعريف على الاستغراق والكمال في « الدعوة التامة » و«الصلاة القائمة» ، وتأكد هذا الاستغراق والكمال بوصف الدعوة بالتامة ، ووصف الصلاة بالقائمة أي الباقية ، قال الطيبي الدعوة التامة من أول النداء إلى محمد رسول الله ، والصلاة القائمة هي الحيعلة . ومنها الصورة البلاغية التي قامت على الأسلوب الإنشائي المثير ، الذي تتفتح له منافذ الإدراك في النفس المتنوعة ، فتتمكن قيمها الخلقية منها كل التمكن ، لأنه قام على الإثارة والإقناع ، وذلك في أسلوب الأمر

الذى يدل على الدعاء والمناجاة ، لا على وجوب تنفيذ المطلوب ، فالله وحده هو الآمر الناهى فى قوله « آت محمد الوسيلة وابعثه مقاما محمودا » . وما أبلغ التعبير بالوسيلة أى المنزلة العالية فى الجنة التى لا تنبغى إلا له . والتعبير بالفضيلة أى المرتبة الزائدة على المخلوقين ، ثم ما أروع التعبير بالتنكير فى قوله : « مقاما محمودا » للدلالة على التعظيم بما يتلاءم مع منزلة الرسول العظيمة عند الله عز وجل ، فمقامه يحمده الأولون والآخرون ، وأكد هذا التعظيم فجاء الوصف بجملة اسمية ، وهى « الذى وعدته » كما ورد فى القرآن الكريم : ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ ، وهو مقام الشفاعة العظمى .

التصوير الأدبى فى بلاغة أسلوب الشرط والجزاء فى قوله : « من قال .. إلخ حلت له شفاعتى يوم القيامة» فى صور فنية بليغة منها : ذلك التناسق الموسيقى فى الإيقاع المتوازن بين جملة الشرط وهو « من قال حين يسمع النداء الخ » ، وبين جملة الجواب والجزاء فى قوله «حلت له شفاعتى » ، فيحرك به المشاعر ، ويهز الوجدان العامر بالإيمان الصادق ، وبلاغة التعبير بقوله : « حلت له » بمعنى وجبت له الشفاعة ، لأن التعبير « بحلت » أبلغ من « وجبت » فلا تجب الشفاعة للعباد على الله تعالى ولا على رسوله ﷺ ، بل هى تفضل وزيادة لمن رضى الله عنهم ، فيشفع لهم بعد أن يأذن الله له : «من الذى يشفع عنده إلا بإذنه » وإضافة الشفاعة للنبى محمد ﷺ تدل على أنها خاصة به من بين عباد الله وأنبيائه ؛ فلا تكون لغيره كما ورد فى الأحاديث الصحيحة أن الخلق يطلبون الشفاعة من الرسل السابقين ؛ فلا يملكون لأنفسهم شيئا ، ويدفعونهم إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ، وبلاغة التقييد بيوم القيامة للدلالة على أن الشفاعة خاصة بها ولا تكون لأحد فى الدنيا .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - تشريع ترديد صيغة الأذان وقت الصلاة فنقول مثل ما يقول المؤذن .

٢ - مشروعية الصيغة التى تقال عقب الأذان كما وردت فى هذا الحديث الشريف .

٣ - المأثور لمن استحق الوسيلة والفضيلة وهى أعلى منزلة فى الجنة ﷺ .

٤ - من يحرص على ترديد الأذان والتعقيب عليه بهذا الدعاء المأثور استحق الشفاعة من الشفيع الحبيب ﷺ .

٥ - الحرص على أداء الصلاة فى جماعة على خلاف بين الوجوب العينى أو الكفائى والسنة المؤكدة .

٦ - بالإضافة إلى ما ذكر فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

الركوع قبل الصف

أخرج البخارى عن أبى بكرة رضى الله عنه أنه انتهى إلى النبى وهو راكع ، فركع قبل أن يصل إلى الصف فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال :

« زادك الله حرصا ، ولا تعد » وفى رواية قال : أيكم الذى ركع دون الصف ثم مشى إلى الصف فقال أبو بكرة : أنا » .

بلاغة الأسلوب النبوى الشريف فى قوله ﷺ : « أيكم الذى ركع دون الصف ثم مشى إلى الصف فقال أبو بكرة أنا » ترجع إلى صور بلاغية متنوعة ، فالصورة الأولى تعبر عن قيم خلقية وتشريعية مستمدة من هذا المشهد للصلاة ، فالصورة الأولى قامت على الاستفهام فى قوله « أيكم » ؛ وليس هنا على حقيقته وهو طلب الإجابة على السؤال ، لأن مقتضى

البلاغة أن يكون الاستفهام للإنكار ؛ فالنبى يشعر بما حدث أثناء الصلاة بصرف النظر عمن وقع فيه منه الحدث ؛ لأن الحكم الشرعى يتعلق بالفعل، لا بذات الشخص ، فهو قيمة خلقية وتشريعية عامة للمسلمين ؛ فقد أنكر النبى ﷺ على بكرة هذا الصنيع ، بدليل أنه قال له بعد ذلك « لا تعد » لمثل هذا ، والصورة الثانية فى قوله : « الذى ركع دون الصف » تدل على شعور النبى ﷺ بما حدث من الركوع قبل الصف وأحس به ، وإن لم يره بعينيه ، ولم يعرف شخصية الراكع ؛ فهو يحتاج إلى الرؤية ، وهذا الإحساس والشعور المبهم ، يصوره اسم الموصول « الذى » المبهم لأنه لا يدل على تحديد شخص بعينيه ، والصورة الثالثة فى قوله ﷺ : « ثم مشى إلى الصف » ؛ فهى تصور قيما تشريعية ، يدل عليها حرف العطف « ثم » ؛ فهو يدل على التراخى والنهى عن السرعة ، مما يدل على أن الاطمئنان فى الركوع ضرورى وركن من أركان الصلاة ، بحيث لا تصح إلا به ، وتدل على قيمة ثانية ، وهى أن الحركة القليلة كالمشى لا تبطل الصلاة ؛ لأنها خطوة أو خطوتان ، وتدل على قيمة تشريعية ثالثة ، وهى أن الركعة تحسب إلى الركوع لا بعد ذلك ، وكذلك صلاة الجماعة عند بعض الفقهاء وإن كان الجمهور يرى قبيل التسليم ولو لحظة .

التصوير الأدبى لبلاغة الأسلوب النبوى الشريف فى قوله ﷺ : «زادك الله حرصا ولا تعد » من خلال صور بلاغية نبوية اتصفت بما اختص به النبى ﷺ بجوامع الكلم من بين أنبياء الله عز وجل ؛ فالتصوير الأدبى هنا ؛ وإن كان موجزا ؛ لكنه يضم صورا بلاغية ، تحمل قيما أخلاقية وتشريعية كثيرة ، وهى غنية بروافدها وعناصرها التصويرية ، وذلك من الجملة الخبرية فى قوله : « زادك الله حرصا » ؛ فهى تدل على الدعاء للصحابى الجليل ، وهو الشأن فى الجملة الإنشائية لا الخبرية ؛ لكنها بلاغة الرسول

ﷺ ، ومن الجمل الإنشائية ، قوله : « ولا تعد » ؛ فليس النهى هنا يدل على كراهية التحريم عند الجمهور . بل يدل على كراهة التنزيه ، بدليل دعاء النبى للصحابى بزيادة حرصه . ولو كان للتحريم ، لما دعا له الرسول ﷺ ، وسبب كراهة التنزيه ، حتى لا يتشبه فى مشيه راكعا بالبهائم ، وذلك لا يليق بحال المصلى ، وفى هذا أيضا دلالة على قيم تشريعية أخرى ، وهى ألا صلاة لمنفرد خلف الصف . أى صلاة تامة لما رواه ابن خزيمة « لا صلاة لمنفرد خلف الصف » وهو رأى الجمهور ، وإن ذهب أحمد وإسحاق وابن خزيمة إلى التحريم ، وكذلك عدم المنافاة بين إقرار الرسول لفعل الصحابى ، وبين تصويب الفعل ، وأيضا صحة النية حالة الخطأ مع صحة تصحيحه بعد ذلك ، وعلى المأموم أن يتبع الإمام فى الحالة التى هو عليها ، وغيرها من القيم الخلقية والتشريعية ، التى دلت عليها روافد التصوير الأدبى ، وعناصره من الأساليب الخبرية والإنشائية السابقة ، كما ظهر ذلك واضحا من جوامع كلم النبى ﷺ .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - عدم المعارضة بين إقرار الرسول ﷺ وبين تصحيح خطئه فى الدخول إلى صلاة الجماعة بركوعه قبل الصف .

٢ - صحة النية حال الخطأ ودوامها بعد تصحيح الخطأ بعد ذلك .

٣ - على المأموم أن يتبع الإمام فى الحالة التى هو عليها .

٤ - الحرص على صلاة الجماعة بدليل دعاء النبى ﷺ لأبى بكرة رضى الله عنه .

٥ - أن المداخلات الخارجية فى الصلاة لا تبطلها ، وخاصة ما يقع اضطرارا ؛ لكن على المصلى أن يسد منافذها حسب طاقته ، كلما أمكن بالحضور مع أقوال الصلاة وأفعالها وأركانها وسننها وهيئتها .

٦ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

لا تخفروا الله فى ذمته

أخرج البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله ، فلا تخفروا الله فى ذمته » .

التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير عن المسلم الذى أدى الصلاة واستقبل القبلة ، وأكل الذبيحة المشروعة ؛ يعتمد على أسرار بلاغية . تضفى على الأسلوب النبوى الشريف الجمال والروعة ، التى تهذب النفس البشرية بالقيم الأخلاقية والتشريعية السامية ، تصور معالمها الصور الفنية المتنوعة هنا ، فترى الصورة الفنية البليغة فى قوله : «من صلى صلاتنا» ؛ فعبر «بمن» لتشمل الرجال والنساء فى جميع الأحوال ، ثم عبر عن الصلاة بالفعل «صلى» أى صلاها بالفعل ، ولم يقل أداها أى أداة لا على سبيل التحقيق والإتقان ، ولم يقل أقامها ، فقد يقيم الإنسان الصلاة ولا يصليها كاملة ، وأضيفت الصلاة إلى ضمير المشرع فى « صلاتنا » لأن صلاة الإسلام تختلف عن صلاة الديانات الأخرى كالمسيحية واليهودية والمجوسية وغيرها ؛ فقد دلت على الصلاة المشروعة التى شرعها الله ورسوله ، وتحددت معالمها وهيئتها وأركانها وعددها والفريضة والمسنونة ، قال تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون إلى قوله تعالى : والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ وفى الحديث الشريف : « أول ما يحاسب عليه المرء الصلاة فإن صلحت سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله » ، وكذلك الصورة البليغة فى قوله : واستقبل قبلتنا ، فقد نص عليها الحديث الشريف ، مع أنها داخلة فى الصلاة ، ليدل التصريح بالقبلة الواحدة على قيم أخلاقية أخرى ، وهى الوحدة والترابط ؛ لأن القبلة واحدة

والبيت الحرام واحد ، والعقيدة واحدة ، والعاطفة الإسلامية واحدة ، ولأن الأمة كالجسد الواحد ، قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ .

وكذلك الصورة الفنية فى قوله : « وأكل ذبيحتنا » بالإضافة إلى ضمير الجلالة ورسوله الكريم ، للدلالة على أن اللحم لابد أن يكون مشروعا ، وليس كأى لحم من حيث حله وجنسه ونوعه وشروطه وذكر اسم الله عليه ، وليدل على الترابط والوحدة بين بنى الإنسان ، قال تعالى : ﴿ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴾ .

التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير بقوله : « فذلك المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله ، فاسم الإشارة هنا « وذلك المسلم » يدل على تعظيم من أدى هذه المناسك على النحو المشروع ، فهو يستحق الثواب العظيم والرعاية من الله تعالى ورسوله الكريم فى الدنيا والآخرة ، ويستحق شرف المعاهدة مع الله ورسوله فى وعدهما بالأمن والأمانة والحفظ والرعاية والأجر العظيم ، والله لا يخلف الميعاد : ﴿ إنك لا تخلف الميعاد ﴾ ، وفى الحديث القدسى الشريف من أدى الصلاة لوقتها وحافظ عليها ، ولم يضيعها فله على عهد أن أدخله الجنة ، ومن لم يؤدها لوقتها ولم يحافظ عليها ؛ فليس له على عهد إن شئت عذبته ، وإن شئت غفرت له » وأكد هنا العهد بتكرار الذمة مع الله ورسوله ؛ لأنه كان يكفى الاقتصار على ذكرها مرة واحدة لقوله تعالى : ﴿ ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ .

التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير فى قوله : «فلا تخفروا الله فى ذمته» ؛

فعبر الحديث الشريف « بفاء » السببية ؛ للدلالة على حث المسلمين على الالتزم بالقيم الأخلاقية والتشريعية فى هذا الحديث الشريف ، فلا يصح بحال أن يكون المسلم سببا فى نقض العهد والأمان ، الذى قطعه مع الله عز وجل ورسوله الكريم ﷺ ؛ لأن الفاء هنا وضعت للسببية فى اللغة العربية ، ثم أكد ذلك بصورة فنية أخرى حين عبر « بلا » الناهية ، ليجمع بين الأمر كما ورد فى هذا الحديث الشريف ، والنهى عن الخيانة ونقض العهد فى قوله « فلا تخفروا » أى لا تخونوا أنفسكم بنقض العهد وخيانة الذمة لتدمير القيم السامية وكفران النعم الجليلة التى أنعم الله بها عليكم ، كما لا تخونوا الله فى ذمته وعهده ، وأضاف الذمة إلى الله وحده هنا ، للدلالة على الوعيد والعقاب الشديد من الله عز وجل وحده ، فهو الذى يختص بالعذاب والعقاب قال تعالى : ﴿ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب .. إلى قوله تعالى : والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - تعظيم شأن الصلاة ؛ فهى عماد الدين ، تنهى عن الفحشاء والمنكر .

٢ - تعظيم شأن القبلة وتعظيم حرمتها ؛ لأنها رمز وحدة الأمة الإسلامية ، ولا تصح الصلاة إلا باستقبالها .

٣ - ذكر الله تعالى فى الذبيحة ، ترفع عنها الحرمة ؛ فيحل للمسلم أكلها ؛ فلا يحل دمه لأحد .

٤ - من استقام على هذه الأعمال الثلاثة وعمل بها مخلصاً لله ، فله عهد من الله تعالى وأمان ومن رسوله ﷺ ومن المؤمنين .

٥ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

السكينة والوقار عند الصلاة

أخرج البخارى عن أبى قتادة رضى الله عنه قال : « بينما نحن نصلى مع النبى ﷺ إذ سمع جلبة الرجال ، فلما صلى قال : « ما شأنكم » بالهمزة أى حالكم ، حيث وقع منكم الجلبة ، قالوا استعجلنا إلى الصلاة ، قال : « فلا تفعلوا ، إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة ، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » .

التصوير الأدبى فى بلاغة الحديث الشريف : حين انتهى من الصلاة ، بعد أن سمع النبى ﷺ جلبة فى المسجد ، توجه إليهم يسألهم مستنكراً «ما شأنكم » ؛ فأجابوه : أن سبب الهرج والمرج هو استعجال الصلاة خوفا من فوات الجماعة وحرصا على ثوابها ، فقال النبى ﷺ : « فلا تفعلوا إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة » ، وذلك فى تصوير فنى بليغ ، جمع بين عناصر الجمال من إثارة الوجدان ، وحرارة العاطفة ، والإقناع العقلى بالنهى القاطع عن الجلبة والعجلة ، لا على الحرص فى صلاة الجماعة ، فى صورة فنية تعتمد على الأسلوب الإنشائى ، ليصدر حكما قاطعا لا شك فيه ، فى تصوير بليغ للقيم التشريعية السامية ، النابعة من « الفاء » التى تدل على الترتيب والتعقيب ، ومن النهى القاطع « بلا » الناهية ، الداخلة على الفعل المضارع « فلا تفعلوا » فى تصوير أدبى يدل على الزجر والردع المستمر فى جميع الأحوال ، وكذلك تحريك العاطفة والوجدان والعقل بتصوير فنى ، يعتمد على أسلوب الشرط والجزاء، فى نسق إيقاعى متوازن ، ليترتب الحكم والقرار فى جملة الجواب : «فعليكم بالسكينة» على المقدمات فى جملة الشرط السابقة « إذا أتيتم الصلاة » بحيث يكون الحكم قاطعا على سبيل التحقيق واليقين؛ فلا يقبل النقض ولا المخالفة ، ثم أكد الحكم

باستعمال أداة شرط ، وضعت للحقيقة والاستمرار الزمانى فى لغتنا الجميلة ، وهى « إذا » للدلالة على قيمْ تشريعية أخرى ، وهى التأكيد والحث على أداء الصلاة فريضة واجبة ، وكذلك الترغيب فى أدائها جماعة، والالتزام بالوقار والسكينة فى بيت الله تعالى ، وطاعة الله تعالى فى أوامره ونواهيه وغيرها من القيم السامية .

التصوير الفنى لبلاغة الأسلوب فى قوله : « فما أدركتم فصلوا» ، يقوم على الروافد البليغة ، فعبر بالفاء فى قوله « فما أدركتم » للدلالة على تفسير النهى عن الضجيج ، وتوضيح الأمر فى أداء الجماعة ، والتزام الوقار والسكينة فى قوله السابق « فلا تفعلوا إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة» ، وهذا التفسير صادر عن «الفاء» الموضوعة للتفسير والتوضيح فى بلاغة لغتنا الخصيبة ، والمعنى فإذا فعلتم ذلك « فما أدركم مع الإمام فصلوا معه ، وما فاتكم فأتموا » ، وكذلك بلاغة التعبير عن قيم الحرص على الصلاة والجماعة والسكينة بقوله « أدركتم » ؛ لأن الإدراك هنا يدل على عدم التكلف والمشقة ، وألا يبذل جهداً فوق الطاقة ، فمهما قل المدرك فهو كاف فى أداء الجماعة ، لأن الأعمال بالنيات يضاعف عليها الأجر والثواب كما فى الحديث : «إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ....» ، ولقوله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا ما أتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾ ، واعتمد الأسلوب البلاغى أيضا على تحريك العاطفة وتعمير الوجدان بالأمن والإيمان ، من خلال النسق الإيقاعى والموسيقى بين أسلوب الشرط فى قوله : « فما أدركتم » وأسلوب الجزاء والجواب فى قوله « فصلوا » ، لتصدر حكما مفروضا ، هو الصلاة حسب الطاقة فى إدراك الجماعة من غير جلبة ولا عجلة فى قوله « فما أدركتم » .

التصوير الأدبى فى القول النبوى الشريف : « وما فاتكم فأتموا » فقد جمعت هذه العبارة الموجزة من روافد التصوير وعناصره ما يعبر عن قيم تشريعية كثيرة كالنسق الموسيقى بين الشرط والجزاء لتحريك العاطفة وتعمير العقل والوجدان ، ليكون أكثر فهما وتحصيلا واقتناعا وإيمانا ، ثم عبر عن الغائب بلفظ يدل على العموم وهو « ما » ليتسع لأى مقدار من الفائت ، مهما قل أو كثر ، فهما سواء فى تحقيق ثواب الجماعة ، كما دل عليه جواب الشرط فى قوله : « فأتموا » ، بمعنى أكملوا الصلاة وحدكم . ولدلالة التمام على كمال الصلاة وثواب الجماعة ، وفيه دلالة أيضا على أن ما أدركه المأموم مع الإمام هو آخر صلاته ، وعلى المأموم أن يقرأ السورة بعد الفاتحة ، لأنها أول الصلاة حتى لا يفوته ثوابها ، قال أبو حنيفة بالجهر ، واستحب الشافعى عدم الجهر ، وفيه دلالة أيضا على أن صلاة الجماعة تحصل بالركوع الأخير ، لقول النبى ﷺ فيما رواه أبو بكرة رضى الله عنه أنه انتهى إلى النبى وهو راكع قبل أن يصل إلى الصف ؛ فذكر ذلك للنبى فقال : زادك الله حرصا ولا تعُد » .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - الحرص على السكينة والوقار فى الإتيان إلى الصلاة بلا جلبة أو صخب .

٢ - تنبه المصلى لما يحدث فى المسجد من غير كلام وهو فى الصلاة لا يفسد صلاته .

٣ - تعليم الإمام الأحكام للمأموم إذا وقعت منه مخالفة .

٤ - إدراك الجماعة يتم لمن أدرك أى جزء من الصلاة قبل التسليمة الأولى .

٥ - ذهب الجمهور إلى أن من أدرك الركوع فقد أدرك الركعة كما فى هذا الحديث ، وقيل لا تحسب ركعة لفوات القيام وقراءة الفاتحة .

٦ - بالإضافة إلى ما ذكر من التصوير النبوى من الحديث الشريف .

إذا نعس أحدكم

أخرج البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « إذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم ؛ فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يستغفر فيسب نفسه ».

التصوير البلاغى في هذه الصورة الأدبية : «إذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم » يرجع إلى أسرار بلاغية ، تضفى جمالا وسحرا على الأساليب الفنية الآتية :

١ - فالصورة الفنية فى عبارة « إذا نعس » تدل على تحقق النعاس ، ولا يكفى فيه مجرد الشك أو الخوف أو الترقب أو الإحساس أو التخمين أو الفرض أو الاحتمال ؛ فإن ذلك كله لايكون سببا في انصراف المصلى عن صلاته بل يجب أن يتيقن من تغشى النعاس على سبيل اليقين فعلا ، فلا يستطيع أن يقاومه أو يدفعه ، وهذا ما يفيده التصوير « بإذا » ، التى تدل على اليقين بخلاف التعبير «بإن» التى تفيد الشك والاحتمال فيما لو قيل : « إن نعس أحدكم » .

٢ - الصورة البليغة فى قوله : « أحدكم وهو يصلى » تدل على أن هذا الحكم عام لا يختص بالرجال فحسب ، فلم يقل : نعستم أو نعستنّ ، وإنما عبر عن الجميع « بأحد » ليشمل الرجال والنساء والصغار والكبار والقوى والضعيف من باب التغليب ، ثم انظر إلى الصورة الفنية الثالثة فى قوله « وهو يصلى» ، جاءت فى موقع الحال من الناعس ؛ لتدل على أن هذا الحكم خاص بالمصلى وحدة ، لا ينطبق على كل ناعس ، بل الحكم مقيد ومختص بالناعس فى الصلاة .

وتدل أيضا ، على أن الدعاء أثناء الصلاة بالخير أو الشر يكون أكثر

قبولا واستجابة من الدعاء خارج الصلاة ، لأنها تنقل المصلى إلى الحضرة الربانية ، ليخاطب ربه مباشرة ، بعد أن انقطع عما حوله بقوله الله أكبر من كل كبير ، وأولى من غيره، مهما كانت منزلة المصلى قبل الصلاة وبعدها .

٣ - وكذلك الصورة الفنية فى بلاغة التعبير بقوله : « فليرقد حتى يذهب عنه النوم » ترجع إلى أسرار جمالية نابعة من طرق الأسلوب العربى البليغ الذى يدل على التوازن ، وترتب النتائج على المقدمات ، فى تصوير فنى جذاب شيق غير جاف ، بل يعتمد على إثارة العاطفة والشعور والوجدان بأسلوب الشرط فى قوله : « إذا نعس أحدكم » على سبيل التحقيق ، وبين أسلوب الجزاء الذى صير النتيجة أمراً حتميا ، فأصبح واجبا لابد من تنفيذه وتحقيقه وهو ألا يتم صلاته ، بل يجب أن يتركها ويتصرف عنها لوقت اليقظة ، ليدل أسلوب الجزاء فى قوله : « فليرقد » على الأمر والإلزام ، ولا يكفى من النوم ، غفوة أو غفوتان ، بل لابد من الراحة التامة ، حتى يذهب عنه النوم وهذا ما يدل عليه التصوير الفنى بقوله : « حتى » الغائية للصورة الفنية فى قوله ﷺ : « حتى يذهب عنه النوم » أى لتحقيق الغاية من النوم المريح .

وإنك لتعجب من هذا التصوير الأدبى الرائع فى بلاغة التعبير عن عدم ضبط الإدراك ؛ ليقطع المصلى الحضور الربانى مع الله سبحانه فى الصلاة بسبب النعاس ، وذلك فى قوله : « فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يستغفرُ ، فيسب نفسه » فى تصوير فنى تنوعت أساليبه البلاغية ، التى تدل على سماحة الإسلام وحرص النبى ﷺ على أمته ، ومحبته لهم ورحمته بهم ، حتى لا يتعرضوا لما يضرهم ، لذلك جاء التصوير الفنى على سبيل التوكيد أولا فى قوله : « فإن أحدكم » ؛ ليحثهم على اتباع ما أمرهم به بلا تردد أو إنكار ، وثانيا : تكرار التوكيد فى صورة

فنية أخرى فى التعبير « بإذا » ، التى تدل على التحقيق واليقين ، حتى لا يقطع المصلى الصلاة لمجرد احتمال ، ثم جاءت الصورة الأدبية الثالثة ، والبلاغية الرائعة ، ليصدر عنها الحكم ويؤكد القرار والنتيجة على سبيل التصريح المباشر وهو أن المصلى الناعس لا يدرى أيدعو لنفسه ويستغفر لها أم يدعو عليها ؟ لأن دعاءه مقبول أثناء الحضور والمكاشفة مع الله عز وجل فى الصلاة ، فربما تكون لحظات إجابة ، فينزل به الضرر ، وهو لا يرضاه الله ورسوله لعباده المؤمنين القانتين إنها الرحمة بأمته ، « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ، ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - الخشوع فى الصلاة يقتضى اليقظة التامة ، والوعى التام وحضور القلب مع الله تعالى .

٢ - الأخذ بالحيطة ومراعاة الحذر فى الصلاة ، وفى كل أمور الحياة .

٣ - إطلاق الدعاء فى الصلاة دون تقييد برواتب معينة، ولو كان استغفارا .

٤ - التوقى من المكاره ومن فلتات اللسان ، وغفلة الإدراك وقت العبادة للوقاية من الضرر .

٥ - حرص النبى ﷺ على أمته ، ورفع الضرر عنهم ورحمته بهم .

٦ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

التجوز فى الصلاة شفقة

أخرج البخارى عن أبى قتادة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إنى لأقوم فى الصلاة ؛ أريد أن أطوّل فيها ؛ فأسمع بكاء الصبى ؛ فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه » .

التصوير الأدبى فى بلاغة الأسلوب النبوى الشريف لأداء صلاة طويلة فى قوله ﷺ : « إنى لأقوم فى الصلاة أريد أن أطول فيها » اختار أساليب التوكيد المختلفة للدلالة على صدق نيته ، والعمل على تنفيذ عزيمته فليس الأمر نية فحسب ، بل تنفيذ وسلوك وعمل متكامل ، جاء ذلك من صورة أدبية قوامها مؤكدات متنوعة منها : « إن » المشددة المؤكدة الناصبة للمبتدأ الرافعة للخبر ، ومنها : اسمية الجملة التى تدل على الثبات والدوام ، فالجملة اسمية مكونة من المبتدأ وهو الياء ، وخبر والتقدير أنا لأقوم ، ومنها : لام الابتداء التى دخلت على الخبر ، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، بالإضافة إلى أنها توحى بالقسم الذى يزيد القيم الخلقية تأكيداً والتقدير « إننى والله لأقوم » ، ومنها أن طويلا نابع من الإرادة والاختيار ، وهى الميزان والمقياس الفاصل فى التمييز بين الحسنات والسيئات والصالح والطالح ، ومنها مجئ الحال هنا مؤولة من « أن المصدرية والفعل المزيد بالهمزة والتضعيف فى « أطول » ، وهى زيادات فى المبنى تدل على زيادات فى المعنى ، وهو ما لا يتحقق فى الحال الصريح فيما لو قيل : «الطويلة» ، تلك بلاغة النبى ﷺ فى التآخى بين معانى الكلمات ، وهو النظم المجرد من صور الخيال ، وما أروع التعبير هنا بقيام الصلاة ؟ لا أدائها ؛ لأن القيام يختص بالصلاة ولازم له ، بينما الأداء عام لجميع الأعمال ، ليتفق مع القرآن الكريم فى قوله « وأقيموا الصلاة » أى أحسنوها بالكمال والدوام .

بلاغة الأسلوب النبوى الشريف جاءت فى صور أدبية مثيرة فى قوله : « فاسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى » فالصورة الأولى فى حرف الفاء ، فهى فاء فصيحة ، أفصحت عن جملة مقدرة ، وهى : « يبكى الصبى فأسمع بكاءه » والبلاغة فى تمام المعنى واستقصاء جوانبه المختلفة ، وفيه دلالة على أن تلقى الأذن لأصوات خارجة عما يتصل بالصلاة لا تبطلها ،

لأن التلقى بالأذن لا يمكن حجبه ، وتقييد التجوز فى الصلاة بالبكاء الصادر من صبى لا من كبير ، لأن ذلك لا يقتضى التجوز الطارئ على الصلاة ، لكن الشرع يأمر بالتخفيف فيها ابتداء لرعاية المريض والكبير وذا الحاجة ، كما ورد فى حديث شريف آخر ، والصورة الثانية ؛ فى الفاء الثانية فهى تصور السرعة والملاحقة ، لا التسويف ولا التأخير ، حتى لا تتأذى أمه أو يقع التشويش فى صلاتها ، لأن الفاء تدل على الترتيب والتعقيب السريع ، على العكس من حرف العطف « ثم » ، والصورة الثالثة فى : « أتجوز فى صلاتى » من الاجتياز السريع والتخفيف ، فيقال اجتاز الطريق أى قطعه بسرعة . «والصورة الرابعة» فى بلاغة التعبير بحرف الجر « فى » لتدل على التخفيف فى أفعالها وأركانها وسننها الداخلة فيها ، لا بتركها والانصراف عنها ، كما يدل حرف « عن » على ذلك فيما لو قيل : « عن الصلاة » ، فهى بمعنى المجاوزة أى يتجاوزها إلى فعل آخر غير الصلاة ، مثل قوله تعالى : ﴿ والذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ ، فهم يكذبون بالدين وهذا من لطف الله ورحمته بالمصلى ، ولو كان التعبير هنا بحرف « فى » لكان كل مصل مكذب بالدين ، لأن أى صلاة لا تخلو من مداخلات ووساوس غريبة عن طبيعتها كما ورد فى حديث شريف ، حينما تسابق أبو بكر وعمر رضى الله عنهما على ذلك ، فلم يوفقا فى نيل الجائزة منه ﷺ بعد اعتراضهما على صحابى سأله عن ذلك ، فأمره بمقاومة المداخلات كلما أمكن ذلك .

حلاوة التصوير الأدبى فى قوله ﷺ : « كراهية أن أشق على أمه » يشعر بها القلب ، وتثلج الصدر وتشرحه ، وذلك من خلال حسن التعليل فى كلمة « كراهية » المنصوبة على المفعولية لأجلة ، أى لأجل الكراهية التى تأباها النفس ، وتنفر منها الأذواق السليمة والفطرة المستقيمة ، وتتعارض مع رقة القلوب ، وحنان الأمهات والآباء على أولادهن الصغار الضعاف ،

لذلك جاءت الصورة البليغة التالية لتؤكد هذه القيم الخلقـة السامية فى قوله « أن أشق على أمه » ؛ فالمشقة أمر لا يطاق ، بل يتعارض مع تعاليم الشريعة السمحة : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ ، ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ وتتضاعف المشقة لو وقعت على الأم المفطورة على الحنان ، والرقة والعطف على فلذة كبدها ، لذلك أكد على البر بها أكثر من مرة ، بينما الأب مرة واحدة حيث قال : « أمك ثم أمك .. ثم أبوك » والمشقة على الأم أشد وأعظم من المشقة على غيرها ، نعم فهو أبلغ العرب قاطبة ﷺ .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - رقة قلب المصطفى ﷺ ورحمته بالصغير والكبير والمريض وذى الحاجة .

٢ - أن إرادة اختصار الصلاة أو تطويلها لمثل هذا الأمر خلال الصلاة لا يبطلها .

٣ - جواز حضور النساء صلاة الجماعة فى المسجد .

٤ - وكذلك جواز حضور الصبيان والأطفال واصطحابهم إلى المسجد فى صلاة الجماعة .

٥ - سماحة الإسلام ويسره حتى فى أركانه المفروضة .

٦ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

الفصل الثالث

الصوم والحج

شهر عظيم مبارك

أخرج أحمد والنسائى والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ حين استقبل شهر رمضان قال : « قد جاءكم شهر مبارك افترض عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم » .

التصوير البلاغى فى قوله : « قد جاءكم شهر مبارك افترض عليكم صيامه » يعتمد على مصادر جمالية وأسرار بلاغية ، تسمو بالأسلوب النبوى الشريف إلى قمة التأثير القلبى والوجدانى ، وإلى الإقناع العقلى والحسى والسلوكى ، فقد عبر عن فضيلة شهر رمضان وتميزه عن غيره بقوله « مبارك » بصيغة المفاعلة ،لا بالبركة فحسب ، للدلالة على أن العمل الصالح فيه يتفاعل ويتكاثر ويزداد ، فالفريضة فيه بسبعين فريضة ، والنافلة فيه تسمو إلى ثواب الفريضة ، والمال فيه يتضاعف حتى لا تجد فيه فقيرا أو معدما ، والصدقة فيه تربو وتتكاثر ، والجسد فيه يصح ويخلو من الأمراض والعلل حتى يقوى على طاعة الله ، وعلى السعى والعمل «صوموا تصحوا » وفى الحديث الشريف : « من أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه » ، ومن تطوع فيه بنافلة كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، وعبر الحديث الشريف عن الفريضة بالفعل المبنى للمجهول « أفترض » ، ولم يقل فرض الله عليكم صيامه ، للدلالة على أن الفريضة ليست أمرا فحسب ، بل إن الإنسان فى حاجة إلى الصيام ؛ لتهذيب نفسه وإصلاح بدنه وطبه ، فهو الذى

يستوجب الفريضة ؛ لذلك كان الفاعل حكما هنا ، وليست ليس الذات العلية ، وإنما هو الصائم ، لأن في الصيام مصلحته وسعادته ، فالله غني عن عبادة ، فهم محتاجون إليه .

التصوير البلاغي في قوله : « تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه الشياطين » ، فترجع الأسرار البلاغية فيه إلى عناصر جمالية تضفي على الأسلوب النبوي الشريف الروعة والجمال والقوة والتأثير والإقناع ، منها : بناء الأفعال الثلاثة للمجهول لا للمعلوم في « تفتح ، وتغلق ، وتغل » للدلالة على عموم الفاعل ؛ ليدل على أن الإخلاص في هذه الفريضة وكمالها ، يكون هو السبب الرئيس في ذلك . فهو الذي يفتح أبواب الجنة ، ويغلق أبواب جهنم ، ويسد مجاري الشياطين في النفس ، ويشمل عوالم أخرى نعلمها كالملائكة وخزنة الجنة وجهنم ، وعوالم لا نعلمها يسخرها الله عز وجل لفتح الجنة وغلق جهنم وغل الشياطين ، « وما يعلم جنود ربك إلا هو » ، ويدل التصوير الأدبي أيضا على أن جميع أبواب الجنة تفتح للصائم ، وأولها باب الريان الخاص بالصائمين ، فلا يدخل منه غيرهم ، وتغلق دونه أيضا جميع أبواب جهنم ، وتغل جميع أنواع الشياطين ، فلا يدخل منه غيرهم ، وتغلق دونه أيضا جميع أبواب جهنم ، وتغل جميع أنواع الشياطين المختلفة من شياطين النفس من الأبالسة وشياطين الجن الشريرة ؛ وشياطين النفس الذاتية ، وهي الميل والهوى والشهوة ، وفي الحديث الشريف : « لا يصوم عبد يوما في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم النار عن وجهه سبعين خريفا » فما بالك بالشهر كله ، وبشهور رمضان العمر كله ، اللهم بلغنا رمضان ولا تحرمنا أجره العظيم .

التصوير الأدبي في بلاغة التعبير في قوله : « فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم » ؛ فالتنكير في « ليلة » للدلالة على تعظيم

منزلة ليلة القدر من حيث الكيف ، فثواب العمل فيها يعدل ثواب ألف شهر ، ومن ذا الذى يستطيع أن يقوم بالعمل المتواصل فى ألف شهر . والخاسر هو من حرم ثوابها ، لأنه لا يستطيع أن يحصل عليه فى العمر كله ؛ لأنه يعتريه النوم والغفلة فى كل يوم وليلة ، لذلك كان الحرمان من ذلك حرمانا عظيما لا حصر له بلا حدود ، لذلك تسلط الفعل على الخير مباشرة ، وعبر « بالخير » مقرونا بأل للتعريف للدلالة على الاستغراق والشمول لجميع أصناف الخير ، وللدلالة على الخير المعهود والموعود من قبل الله عز وجل ، والله لا يخلف الميعاد ، قال تعالى : ﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى مطلع الفجر ﴾ .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - الاحتفاء باستقبال شهر رمضان كل عام ، وإعلان الفرحة والابتهاج به والاهتمام برؤية هلاله ، وتهيئة النفس لصيامه وقيامه .

٢ - شهر رمضان شهر مبارك ، يضاعف فيه كل شئ ، حتى فى الرزق والمال فالفريضة بسبعين فريضة ، والنافلة بثواب الفريضة ، حتى يكفر الله تعالى السنة التى قبل شهر رمضان المبارك .

٣ - جعل الله صيام رمضان فريضة وركنا من أركان الإسلام كما ورد فى القرآن الكريم والسنة الشريفة .

٤ - فى شهر الصيام تتفتح أبواب الجنة ؛ لأن أوله رحمة ، ووسطه مغفرة وآخره عتق من النار .

٥ - تغلق فيه أبواب الجحيم ؛ لأن الصائم يعتق رقبته من النار .

٦ - الصيام يوصد أبواب الشياطين ، ويضيق مجارى العروق عند الصائم فتضيق الخناق على الشيطان .

٧ - بركة شهر رمضان ترجع إلى وجود ليلة القدر فيه ، نزل فيها القرآن الكريم ، لذلك كان أفضل الشهور .

٨ - من فاته صيام هذا الشهر ، فقد حرم الخير كله ؛ لأنه لا يعود فى عمر الصائم مطلقا .

٩ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى فى الحديث الشريف .

شهر الصبر والمواساة

أخرج أحمد والنسائى والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ وهو يستقبل شهر رمضان ، وهذا الحديث بقية الحديث السابق : «وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة فمن فطر صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شئ » .

التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير النبوى الشريف فى قوله : «وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة» ، يدل على أن رمضان المعظم شرعه الله عز وجل ؛ ليغرس فى الإنسان قوة الإرادة وصدق العزيمة ، والثبات على الشدائد والنوازل والصبر عليها ، لأن من يصبر على ضرورات الحياة من ترك الطعام والشراب ، الذى يحفظه من الموت والهلاك ، ويصبر على ذلك ثلاثين يوما فى كل عام ، فإنه قادر على أن يصبر على الشهوات وليست ضرورية ، وعن الكماليات وهى زائدة عن الضرورات ، يمكن الاستغناء عنها بالضرورى من الطعام والشراب ، لأن من تسلح بغريزة الصبر التى

ينميها الصيام فى النفس ، يستطيع أن يتلقى النوازل والشدائد بصدر رحب ، وأن يواصل السعى والعمل ، وأن يطيع الله تعالى بالصبر والمرابطة والمصابرة ، بإرادة قوية وعزيمة صادقة لكل أنشطة الحياة ، وتأكدت هذه المعانى بصورة بلاغية أخرى ، نبعت من أسلوب القصر والحصر ، فقد قصر الحديث ثواب الجنة على الصبر « والصبر ثوابه الجنة » عن طريق تعريف المبتدأ والخبر ، فالمبتدأ وهو « الصبر » معرف « بأل » وجملة الخبر وهى «ثوابه الجنة» جاءت معرفة فى المبتدأ الثانى وخبره أيضا ، فالمبتدأ بالإضافة «ثوابه» ، وخبره معرف « بأل » ، كل هذه المعرفات تقصر الخبر على المبتدأ ، وهو قصر ثواب الجنة على الصبر ، وتأكيده فلا يبرح عنه ، قال تعالى : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ ، وقال أيضا : ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور ﴾ ، وقال أيضا : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ .

التصوير البلاغى فى روعة الأسلوب النبوى الشريف لقوله : ﴿ وهو شهر المواساة فمن فطر صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار » ، فقد عبر بصيغة المشاركة والمفاعلة فى صورة « المواساة » ، للدلالة على أن الصيام يغرس فى النفس شيمة لازمة ، يتفاعل بها المسلم مع المحتاجين والفقراء طوال العام ، وفى عمره كله ، لأن الله أجرى حقوقهم على أيديهم ، فلا يصح أن يمنع حقهم فى كل حين ، بل يواصل الإنفاق عليهم مما يعين على نماء المال وزيادته ، ثم دلالة المواساة الفعالة على معانى العطف والتراحم والتعاون والتكافل والتآخى والحب والمودة والعدل والمساواة والتواصل وغيرها ، لذلك كان الأجر عظيما وشاملا ، فمن فطر صائما ، وأعطى فقيرا كفر الله عنه سيئاته كلها ، بل أعتق رقبته من النار وجعله من أصحاب الجنة ، وما أعظم هذا الثواب ؟ ومن روعة التصوير الأدبى أن

الحديث الشريف أطلق النفقة والإفطار للدلالة على المساواة والعدالة بين الغني والوسيط في ماله، وبين من لا يملك شيئا، قال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ حتى يتساوى الجميع في الثواب ، ولا يحرم منه أحد، ما دامت نيته صادقة في ذلك ، فقد يكون الإطعام والإفطار ثمرة أو مزقة لبن، أو يكون شربة ماء ، وهذه يملكها الجميع ، وقد تكون بالقول المعروف والكلمة الطيبة أو بالابتسامة وطلاقة الوجه وهذه أيضا يملكها الغني والفقير على السواء ، قال تعالى : ﴿ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم ﴾، كما قد تكون الصدقة بترك المحرمات .

روعة التصوير الأدبي في بلاغة الأسلوب النبوي الشريف في قوله : «وكان له مثل الصائم من غير أن ينقص من أجر الصائم بشئ» فجاءت الصورة الأدبية على سبيل التشبيه التمثيلي ، فقد أعطى لمن واسى الناس بالإفطار أو بالصدقة من الأجر مثل أجر المواسي ، ثم أطلق الثواب ، فليس المراد ثواب الطعام والصدقة فحسب ، بل أكثر من ذلك وهو ثواب عمله الصالح كله ؛ لأنه بهذا الطعام وبتلك الصدقة ، قد أعانه على طاعة ربه ، وعلى النفقة والسعي على أولاده، ليأخذ ثواب ذلك كله ، أي ثواب طاعة الله تعالى والسعي على المعيشة ورعاية الأولاد وتربيتهم ، وأكد الحديث الشريف تلك المعاني في قوله : « وكان له مثل أجره » ثم أكد هذا الشمول بعبارة بليغة أخرى وهي « من غير أن ينقص من أجر الصائم بشئ » كما في جاء في حديث شريف آخر « من دل على خير فله مثل أجر فاعلة » تلك هي بلاغة المصطفى ﷺ .

القيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف:

١ - تنوعت القيم الخلقية والتشريعية من خلال التصوير الأدبي والفني .

٢ - فريضة الصيام شهر كامل ، وهو شهر رمضان فى أيام معدودات ؛ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيئات من الهدى والفرقان .

٣ - يربى الصيام فى النفس خليقة الصبر ، وما أحوج الإنسان إليها ليقاوم مشقات الحياة ونوازلها وقضاء الله تعالى وقدره .

٤ - يربى الصيام فى النفس قوة الإرادة وصدق العزيمة ، وبها يتخطى الحواجز والعقبات .

٥ - وليس أعظم عند الله ثوابا من الصبر ، فثوابه الجنة ورضوان الله عز وجل .

٦ - يترك الصيام فى النفس قيما خلقية وتشريعية كثيرة ، تعود على الأمة الإسلامية بالتقدم والرقى والمجد والعزة والقوة ، والبذل والكرم والعطف والتراحم والتعاطف والتعاون والمحبة والتكامل والإنتاج والاستهلاك ورواج الأسواق والتجارة .

٧ - من اتصف بهذه القيم استحق أجراً كبيرا من تكفير السيئات وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجر الصائم لا ينقص من أجره بشئ .

٨ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى فى الحديث الشريف .

الصيام جُنه

أخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : الصيام جنة ، فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل ، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل : إنى صائم مرتين ، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم

الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ، الصيام لى وأنا أجزى به والحسنة بعشرة أمثالها » .

التصوير الأدبي في بلاغة التعبير لقوله : « الصيام جنة فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنى صائم مرتين » ؛ فقد تعددت مصادر الجمال فى هذا التصوير الفنى منها : التشبيه البليغ فى جعل الصيام كالدرع الذى يقى من سهام العدو ويحفظ من القتل، لأن الشأن فى الصيام بحدوده المشروعة يمنع صاحبه من الفحشاء والمنكر ويغرس فيه القيم الخلقية السامية فى الدنيا ، ليكون ذلك وقاية له من النار فى الآخرة ، وفى رواية أخرى للترمذى « جنة من النار » ، وفى بلاغة التعبير بالصيام لا الصوم وبصيغة المفاعلة ليدل على صراع النفس مع هواها وشيطانها وشهواتها ؛ ليخرج منتصرا على كل ذلك ، فائزا بالأجر العظيم المضاعف ، وكذلك صيغة المفاعلة والمشاركة فى بلاغة قوله: قاتله أو شاتمه؛ لأنها تقتضى وقوع الفعل من الجانبين ، فيحدث مدافعة من الصائم ليكف نفسه عن الوقوع فى الشتم والسباب ، وهو يدل على روعة التصوير الأدبى فى ألفاظ الصيام والمشاتمة والمقاتلة ، لدلالتها على المصابرة والمجاهدة والصراع ، حتى يسمو إلى درجة الصبر كما فى الحديث : « وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة » قال تعالى : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ ، وكذلك بلاغة التعبير فى قوله : « إنى صائم مرتين » باللسان ليزجر النفس عن انتهاك المحرمات فى الصيام ، فيؤكد منع المشاتمة والمقاتلة، كما فى حديث آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه : « ليس الصيام من الأكل والشرب ، وإنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابك أحدا وجهل عليك فقل إنى صائم إنى صائم » .

بلاغة *التصوير الأدبي* في قوله « والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم

أطيب عند الله من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته» يعود إلى كنايات تتعدد فيها المعانى ، ليقف المتلقى عليها بعد لأى ؛ فتقع من النفس موقع الماء البارد العذب من العطشان ؛ فيزداد تمتعا بالنعمة وامتنانا بالشكر عليها ، فالصورة البلاغية الأولى فى قوله : « والذى نفسى بيده » كناية عن قدرة الله تعالى وعظمته وإحاطته بكل الكائنات ، وفيها دلالة على عظيم أجر الصائم ، والصورة البلاغية الثانية فى قوله : لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، كناية عن رضى الله تعالى عن الصائم ، لأنه يعرف يوم القيامة بطيب رائحته كالمسك ، بعد أن كانت فى الدنيا متغيرة لخلو المعدة من الطعام من أثر الصيام ، وفى رواية مسلم والنسائى : « أطيب عند الله يوم القيامة » ، والصورة الفنية الثالثة فى قوله : يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى » ، كناية عن الإخلاص فى صيامه والتزام حدوده المشروعة بتنفيذ تعاليمه وكمالياته ، واجتناب محرماته ومنهياته .

التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير لقوله : « الصيام لى وأنا أجزى به والحسنة بعشرة أمثالها » ، يعتمد على صورة فنية كناية عن أسمى أنواع الأمانات فى : « الصيام لى » ، لأن الصيام سر بين العبد وربه ، فهو يعلم السر وأخفى ، فلا يدخل فيه أدنى مظاهر الرياء من التمسك بالأمانة حتى لا يكتسب ثقة الناس ، فيحملون عليه أمانات أخرى ، والصورة الثانية فى قوله : « وأنا أجزى به » ، فهى كناية عن عظيم ذلك العطاء وضخامة الجزاء فالله تعالى هو المجازى وحده ، وليس بعد ذلك من جزاء عظيم ، والصورة الثالثة فى قوله : «والحسنة بعشرة أمثالها» جاءت فى تعبير بلاغى لا يقتصر على العشرة فحسب ، بل المراد مضاعفة ذلك إلى سبعين أو سبعمائة ضعف ، والله يضاعف لمن يشاء ، لذلك جاءت رواية الموطأ : إلى سبعمائة ضعف .

التصوير البلاغى المستمد من المعانى الموضوعة فى اللغة لألفاظ الحديث ، وأساليبه تعددت مصادرها الجمالية والبلاغية ، فالصورة البليغة الأولى انتقلت من الإجمال إلى التفصيل ، لتوضيح هذه القيم الخلقية السامية للصيام ، ولتوكيدها أكثر لأهميتها ، وحث المسلم على اتباعها والعمل بها ، وذلك حينما أجمل فى جعل الصيام جنة ، أى وقاية من المعاصى وسترة من الأوزار والسيئات ، لأنه يكسر حدة الشهوة ويضعفها . ويقوى هذا المعنى برواية أحمد والدارمى : « ما لم يخرقها بالغيبة » ، أو وقاية من النار ، لأنه إمساك عن الشهوات ، والنار محفوفة بالشهوات . ويتأكد هذا المعنى برواية الترمذى « جنة من النار » ، وهذا هو الإجمال ، ثم تتأكد هذه القيم بالتصريح فى أسلوب يجمع بين التفصيل والإيضاح ، حين قال : « فلا يرفث ولا يجهل » ، أى لا يفحش فى الكلام ، ولا يفعل فعل الجهال من الصياح والسخرية ، والسفه والجهل والجدل ، ثم يزداد تفصيلا فى قوله : «وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنى صائم مرتين » ، بمعنى إن امرؤ لاعنه وسابه أو ذمه وأساء إليه ، فليقل بلسانه إنى صائم ، أى لا يمنعنى صومى من الرد عليك ، هذا إذا كان الصوم فريضة ، ويقول فى نفسه إذا كان الصوم تطوعا دفعا للرياء ، حتى لا تنتهك حرمة الصيام لسمو منزلته عند الله ، لقوله تعالى فى الحديث القدسى : « الصيام لى وأنا أجزى به » . والصورة البلاغية الثانية جاءت عن طريق الإطناب بالقسم فى قوله : «والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم .. إلخ » لأن الشأن فى القسم الإيجاز بقوله : « والله وبالله وتالله » ، للدلالة على سمو الصيام وطيب رائحة الفم الكريهة عند الله تعالى ، وإن كانت كريهة عند الناس ، لأنه ترك طعامه وشرابه وشهوته ابتغاء مرضاة ربه ، والصورة البلاغية الثالثة وردت بصيغة المفاعلة « قاتله أو شاتمه » ، للدلالة على ما يحدث من الصراع الدائر بين

الطرفين ، بدوافع هوى النفس وغواية الشيطان ، وحب الانتصار على الغير ، سواء من البادئ بالسباب والشتم ، أو من المعارض الذى يدافع عن نفسه ، ويرد عليه السباب ، فعليه أن يقاوم ذلك بشدة ، فيمسك لسانه ويغالب هواه ، « فالشديد منكم من يملك نفسه عند الغضب » كما ورد فى الحديث الشريف .

التصوير الفنى فى بلاغة الأسلوب البيانى المستمد من ألوان الخيال ، يتخذ منها صورا فنية جميلة ، تأخذ بالعقول وتسيطر على القلب والعاطفة والوجدان ، وذلك فى الصورة القائمة على التشبيه الصريح حين شبه الصيام بالجنة ، وهى الدرع الذى يحمى القاتل من ضربات العدو ، فترتد عنه السهام وتنكسر حوله السيوف ، وللدلالة على ما يشتمل عليه الصيام من المفاعلة والمشاركة ومقاومة هوى النفس والشيطان والشهوات والملذات فيمسك عن كل ذلك ابتغاء مرضاة ربه سبحانه وتعالى ، لأنه يمنع نفسه من ضروريات الحياة وكمالياتها ، حتى لا يرتد خاسرا لقوله : « فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » كما يحمى الدرع المتقى به من القتل والهلاك ، كذلك الصيام يحمى صاحبه بقيمه السامية .

والصورة البلاغية الثانية تكونت من التشبيه الضمنى فى قوله : «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » ، وهو من أنواع التشبيه البليغ ، التى تزداد فيه المعانى البليغة عن التشبيه الصريح السابق ، ومن بينها إقامة الدليل المقنع على هذه المعانى ، لأن التشبيه الصريح فى ذلك «رائحة الفم كالمسك» ، ولكن التشبيه الضمنى أكثر بلاغة لما يفيده من معان كثيرة ، كما فى صيغة «أفعل التفضيل» فى أطيب ، تدل على أطيب الروائح على الإطلاق ، فهى عند الله أعظم مما عند الناس ، وأن رائحة المسك

جزء يسير من خلوف فم الصائم ، لدلالة « من » على البعضية ثم إتيان التشبيه الضمنى فى أسلوب غير صريح ، مما يحتاج إلى تأمل وطول نظر ، فإذا ما جاهدت النفس فى الوصول إلى المعانى ، كانت كالدليل على مفهومها وتأكيدا لها ، فتستقر فى النفس وتكون أشد علوقا بها ، فلا تذهب عنها إلا بعد أمد بعيد ، كذلك فى بقية الصور البلاغية فى هذا الحديث الشريف .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - اشتمل الحديث على قيم خلقية وتشريعية كثيرة ظهرت من خلال التصوير الأدبى والبلاغى ، ومنها أيضا :

٢ - الصيام يقى الصائم والمجتمع حوله من الشهوات واللهو والمعاصى والأوزار ، ومن العلل والأمراض ومن هوى النفس وعبث الشياطين فى الدنيا ، أما فى الآخرة فيقى الصائم من هول الموقف وشدة المحشر ، فلا يصيبه الظمأ ، كما يقيه من لفح الشمس ولهيب جهنم وعذابها ، فيدخل من باب الريان ، لا يدخل منه أحد إلا الصائمون .

٣ - الصيام يصون النفس من الرفث والفسوق والجهالة والملاعنة والمشاتمة فيحفظ لسانه وقلبه من كل ذلك ؛ ليظل عفيفا طاهرا مبرأ من الدنس والفحشاء والمنكر .

٤ - رائحة فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك فى الدنيا والآخرة مما يدل على مرضاته عز وجل ، ورضى الله سبحانه غاية قلما تدرك ؛ فمن رضى عنه لا يسخط عليه أبدا ولا يغضب .

٥ - الصيام سر بين العبد وربه ؛ لأنه يغرس فى النفس أسمى أنواع الأمانات المجردة من الدوافع والرياء والتظاهر والتفاعل مع ثناء الناس .

٦ - السيئة بمثلها والحسنة بعشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء هذا بالنسبة لما تسجله الكتبة من الملائكة عن اليمين وعن الشمال عزين ، أما الصيام فثوابه يختص الله عز وجل بجزائه وثوابه وهو أكرم الأكرمين ؛ فلا يقتصر على العشرة ، بل يضاعفه الله أضعافا مضاعفة ، لأنه بين العبد وربه ، وهو شهر الصبر « وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » .

٧ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى فى الحديث الشريف .

من لم يدع قول الزور

أخرج الجماعة غير مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : «قال رسول الله ﷺ من لم يدع قول الزور والعمل به ؛ فليس لله حاجة فى أى يدع طعامه وشرابه » .

بلاغة التصوير الأدبى فى قوله : « من لم يدع قول الزور والعمل به » ترجع إلى عناصر الجمال فى دقة الأسلوب ، من روافد الإمتاع والتأثير فى الوجدان النفس ، والإقناع الشامل بالدليل الواضح والحجة الدامغة ؛ فعبر بمن الشرطية لإفادة أمرين ، أحدهما : أن « من » تدل على العموم فتشمل كل إنسان رجلا أو امرأة ، صائما أو غير صائم ، حاكما أو محكوما ، فى حقوق الله أو فى حقوق العباد ، صغيرا أم كبيرا ، لأنه لم يقيد قول الزور وعمله بالرجل أو المرأة أو بالصائم أو المفطر ، ولا بالحاكم أو المحكوم ، فأتى بلفظ يشمل هؤلاء جميعا فلا فرق بين الرجل والمرأة ، إلا أن الأخيرة فى الشهادة يكون معها غيرها مقابل الرجل قال تعالى : ﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ، ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى - إلى قوله تعالى : ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم ﴾ ،

فلا فرق بين المفطر فى رمضان وقائل الزور فيه فعقابهما شديد ، لكن عقاب قائل الزور وهو صائم أشد لحرمة شهر رمضان المعظم ، الذى يضاعف فيه الأجر ، مما يقتضى بشاعة الذنب فى الحرمان من ثواب العمل المضاعف ، إلى سبعين ضعف والله يضاعف لمن يشاء ، وكذلك فالعقاب أشد كما جاء فى الحديث الشريف : «فليس لله حاجة فى أن يضع طعامه وشرابه ، وثانيهما : عبر « بمن » وهى أداة تدل على الشرط التى تتضمن معنى الالتزام والإلزام باجتناب الزور ، ولا مناص من ترتب الثواب على تركه ، ولا مناص من العقاب لمن وقع منه ، لأنه ترتب على فعل الشرط جواب الشرط وجزاؤه ؛ فكان بمعنى الجزاء المتنوع حسب تركه أو فعله ، لأن الجزاء من جنس العمل ، كما يتضح من قوله : « فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » ويشمل جميع الحقوق ، لأن قول الزور فى حق الله أولى بالنهى عنه ، لأنه يترتب عليه الكذب والافتراء والبهتان على الله ورسوله ، ومن فعل ذلك فليتبوأ مقعده من النار ، قال تعالى : ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام﴾ وكذلك ما يترتب عليه من ضياع حقوق العباد ، فيعين على نشر الفساد والظلم قال تعالى : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ﴾ .

وبلاغة التصوير الأدبى فى التعبير عن ترك الزور والعمل به بصورة فنية محسة حين صور الحديث الشريف التحريم والنهى وهو معنى مجرد بمحسوس فى « لم يدع » أى لم يترك الشئ المجسم ، لأن تأثير المحسوس فى النفس يكون أقوى ، ويكون أيضا دليلا ملموسا ومرئيا ، لتجمع هذه الصور البليغة بين الإمتاع والتأثير والإقناع معا ، ثم كانت بلاغة التعبير فى الجمع بين قول الزور والعمل به ، ليستقصى كل أشكاله ، فى التحريم سواء

أكان قولا مجردا من الفعل ، حتى لا تشيع الفاحشة بين الناس ، أو فعلا وسلوكا ، وهو أشد فحشا وإفسادا فى الأرض ؛ لذلك جاء التحذير الشديد منه فى حديث آخر يجعله من أكبر الكبائر : « ألا وقول الزور» وجعل يكررها حتى تمنى الصحابة رضى الله عنهم أن يسكت النبى ﷺ .

روعة التصرير الأدبى فى بلاغة التعبير لقوله : « فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه ، وأسباب الجمال فيه تعتمد على عناصر فنية بليغة ، منها أن جواب الشرط هنا جاء فى صورة النفى فى قوله : « فليس » ، للدلالة على النهى والتحريم لبشاعة الجرم والإفساد ، وأنه لا فرق فى مضاعفة الأجر بين ترك الطعام والشراب وبين ترك المنهيات حتى ولو سقطت الفريضة عن الصائم ؛ فلا يستحق مرتكب المحرمات من مضاعفة الأجر ، لذلك فالله غير محتاج إلى شئ من ذلك ، وإنما الصائم هو الذى يحتاج ، وجاءت أيضا هذه الصورة الفنية على سبيل الكناية ، حين نفى السبب وهو ترك الأكل والشرب ، وأراد المسبب وهو الرد وعدم التفات الله تعالى له ولا قبوله ، بل حذر من الزور وفعله ، ثم ذلك التوازن بين الإيقاع الموسيقى فى فعل الشرط والجزاء ، مما يثير الانتباه ويوقظ الوجدان ويأخذ بمجامع القلب والعاطفة ، حتى تستقر هذه القيم فى النفس عن طريق منافذ الإدراك المختلفة والعاطفة ، حتى تستقر هذه القيم فى النفس عن طريق منافذ الإدراك المختلفة ، مما يتفق مع حديث آخر «رب صائم ليس له من صيام إلا الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » .

التصوير البلاغى المستمد من المعانى الحقيقية ، التى تواضع عليها علماء اللغة لألفاظ الحديث الشريف ، وبلاغة أسلوبه ، منها : بلاغة من الشرطية فى صورة أدبية تفيد العموم ، فلا فرق فى تحريم الزور والعمل بين

الصائم والمفطر ، ولا بين الذكر والأنثى ، ولا بين الصغير والكبير ، ولا بين المكلف والمميز غير المكلف ، حتى يصير عادة له كما في حديث الصلاة أؤمروه لسبع واضربوه عليها لعشر ، ومنها الصورة البلاغية في « لم يدع » لا « لم يترك » ؛ لأن من معانيها الوداعة والرفق والحب والميل القلبي ، ولا يكون ذلك إلا عن إيمان وحب وإخلاص ، ابتغاء مرضاة الله عز وجل ، سواء في ترك الزور والعمل به ، أو ترك الطعام والشراب ، ومنها الصورة البليغة في التعبير « بحاجة » منكرة لإفادة التنويع ، لأن الله تعالى غني عن عباده ، لا يحتاج شيئا مطلقا صغيرا كان أو كبيرا ، فجند الله تعالى كثير من غير الأناسي ، يسبحون بحمده على الدوام كالملائكة لا يفترون ، بل يسبح له كل ما في الكون : ﴿ وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ ، ومنها الصورة الفنية المستمدة من موسيقى التزاوج بين القول والعمل ، وبين الطعام والشراب ، لأن الإسلام عقيدة وعمل ، وقول وسلوك ، فكمال الصيام لا يتم إلا بترك المنهيات والمحرمات من الطعام والشراب ، وقول الزور والعمل به وهو أقبح المنهيات لفظاعته .

التصوير الفني في بلاغة الأسلوب البياني المستمد من الصور الخيالية ، التي تحرك المشاعر والعاطفة ، وتستقر في العقل والوجدان ، منها ذلك التشخيص الحي في صورتين أدبيتين بليغتين ، وذلك بتشخيص قول الزور والعمل به بشخص له إرادة في قول « يدع » فيتعامل بها مع الصائم ، ويتفاعل معه فيقاومه بالترك أو بعدمه ، فقد ينتصر أحدهما على الآخر في صراع ومقاومة ، وكذلك صراع النفس وهواها مع قوام حياته من الطعام والشراب ، فلا يسغني عنه بحال ، فهو من ضروريات الحياة وبدونهما يكون الهلاك والموت ، ومنها الصورة البليغة في التوازن الموسيقى بين جملتي الشرط : وهي « من لم يدع قول الزور والعمل به » وبين جواب

الشرط وجزائه فى قوله : « فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » : فهذا النسق الإيقاعى الرتيب يثير النفس ، وينبه الذهن ، فتفتح له منافذ الإدراك ، وتستقر معانيه فى القلب والعقل معا ، وكذلك ما يفيده أسلوب الشرط والجزاء من حتمية النتيجة والقرار والحكم الفصل ، الذى لا مرد فيه ولا شفاعة ، بمعنى من لم يترك قول الزور فليس بصائم ، ولا يقبل صومه بحال ، فتتمكن هذه القيم الإسلامية من الصائم ، وذلك من خلال التطابق بين قول الزور والعمل به ، وكذلك بين طعامه وشرابه ، ثم التقابل بين الجملتين الأولى : « قول الزور والعمل به » ، والثانية « يدع طعامه وشرابه » ليشكل صورة بليغة غنية بالألوان متنوعة المعانى المتطابقة والمتقابلة ، فتؤكد ما تدل عليه من القيم الخلقية والتشريعية فى أحكام الصيام المقبول والمثاب .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - ترك قول الزور والنهى عن العمل به وخاصة فى الصيام فهو يضاعف فيه أجر الصيام ، ويعظم فيه عقاب الزور .

٢ - الزور يحرم الصائم من ثوابه المضاعف .

٣ - يحث الإسلام المؤمن على التحقيق والتثبت فى القول والعمل .

٤ - بشاعة الزور ؛ لأنه يعين على أكل أموال الناس بالباطل ، ويشيع الفتنة بين الناس ، والفتنة أشد من القتل .

٥ - إخبار النبى ﷺ بما يقع فى المستقبل بأن بعض الناس سيتخذون شهادة الزور حرفة وعملا يرتزوق منها ، كما يحدث فى المحاكم حديثا .

٦ - لا يقتصر مفهوم الصيام على الإمساك عن الطعام والشراب ، بل يتسع فيشمل ترك قول الزور والعمل به والفحشاء والمنكر .

٧ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى فى الحديث الشريف .

من صام رمضان

أخرج أحمد وأصحاب السنن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» .

التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير لقوله : « من صام رمضان » ترجع بلاغته إلى اختيار الكلمات ، التى تؤدى المراد بدقة وشمول وعلى سبيل التحقيق ، فعبر « بمن » دون غيرها لإفادة التكليف والتنويع ؛ لأنها وضعت فى اللغة العربية للعقلاء البالغين المكلفين ، على العكس من « ما » فهى لغير العقلاء ، لذلك وجب الصيام على الإنسان المكلف من بين المخلوقات ، فقد خاطب الله تعالى المؤمنين بفرضية الصيام فقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ ، وكذلك لإفادة الشمول والعموم ، لأن « من » تشمل الرجل والمرأة والراعى والرعية ، فهى تستوعب كل المكلفين من بنى آدم ، وكذلك لإفادة الالتزام والإلزام على سبيل الحتم والفرضية ، فهى أداة شرط ، يستوجب فعلها وهو «من صام رمضان» جواب الشرط وجزاؤه وهو : «غفر له ما تقدم من ذنبه» ، وكذلك تجد بلاغة التصوير الفنى فى اختيار كلمتى «صوم رمضان » ، للدلالة على أن شهر رمضان المعظم دون غيره هو المفضل من بين الشهور بالصيام ، فقد ميزه الله تعالى بهذه الفضائل من بين غيره ، منها الصيام ونزول القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ ، وفى الحديث الشريف حين استقبل هذا الشهر النبى ﷺ فقال : « لقد أظلكم شهر عظيم مبارك شهر فيه ليلة خير من ألف شهر جعل صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا » .

التصوير البلاغى فى قوله : « من صام رمضان إيمانا » ، فعبر الحديث الشريف عن صيام رمضان وقيده بالإيمان ، ليشكل صورة أدبية بليغة فى كلمة واحدة ، تجمع بين حروف منتقاه تمتاز فى إيقاعها الموسيقى والصوتى بالسلاسة والعذوبة ، والرقة والسيولة فى حرفى اللين ، وهما الألف والياء ؛ فلم يجتمع فيها من حروف الشدة والجهارة والغلظة وغيرها مما يوحى بشدة الإيقاع وعنف موسيقى الحروف ، وللدلالة على أن الصيام لا يقبل من الكافر مطلقا ، ولا يثاب عليه الفاسق ، وإن سقط عنه الفرض ، إن الأساس فى قبول الأعمال هو الإيمان بالله ورسوله والطاعة لهما : ﴿ ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ ، ولم يخاطب الله تعالى الناس ولا الكفار ولا الفسقة وإنما خاطب المؤمنين المتقين بالصيام فقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ .

بلاغة التصوير الأدبى فى قوله ﷺ : « من صام رمضان احتسابا » ترجع إلى اختيار هذه الصيغة فى حروفها ومبانيها الصوتية ، وفى معانى الكلمة الوضعية فى اللغة ، لتبنى منها صورة أدبية رائعة على أكمل وجه ، لتحقق الغاية منها فى أجمل صورة ، فتتلقاها الأذن ؛ وتستقبلها الأحاسيس فى إيقاع رتيب ونسق بديع ، يجمع بين التآلف الموسيقى وبين أصوات الحروف الهامة الحاسبة التقديرية ، فتستوعبها النفس وعيا وعمقا ، كما أن معانى الكلمة تدل على الحساب والتقدير والدقة والإخلاص ، ولا تأتى فيها معانى العبثية ولا الأنانية ولا الذاتية ولا الرياء والمظهر ، وتدل على أن الصيام يكون لحساب المرء عند الله ابتغاء مرضاته ، لذلك كله كانت النتيجة فى جواب الشرط لازمة وحتمية ؛ ليستحق الصائم على هذين الأساسين ، وهما الإيمان والاحتساب لله عز وجل الغفران والثواب المضاعف فيدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ، من باب يختص به الصائمون وحدهم ، وهو باب الريان ، فإذا دخلوا أغلق دونهم .

كما أفاد أسلوب الشرط أيضا التوازن الموسيقى والتآلف الإيقاعى بين جملتى فعلى الشرط والجواب ، ليثير انتباه القارئ ، ويحرك عواطفه ومشاعره ، فتستقر معانى الحديث وقيمه الخلقية ، فى أعماق النفس إيمانا وتصديقا وإخلاصا ، ابتغاء مرضاة الله عز وجل .

القيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف :

١ - صيام رمضان فريضة على العاقل البالغ المكلف .

٢ - صيام رمضان الذى يغفر الذنوب يقتصر على المؤمن لا الفاسق ؛ لأن الصدق فى الصيام والإخلاص فيه يتفق مع حقيقة الإيمان من الصدق واليقين والإخلاص .

٣ - إذا صام المؤمن شهر رمضان ابتغاء مرضاة الله عز وجل ، وهو يحتسبه لوجه الله تعالى غفر الله سبحانه له ما تقدم من ذنبه .

٤ - أن المؤمن الذى يحرص على صيام رمضان فى حياته وطول عمره يكفر عنه سيئاته ، ويرفع عنه أوزاره ، ويلقى ربه عز وجل طاهرا من الذنوب .

٥ - تفضيل شهر رمضان على بقية الشهور جميعا لما خصه الله عز وجل من نزول القرآن الكريم دستور الحياة الكريمة والعزيزة للمؤمن وللإسلام .

٦ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى فى الحديث الشريف .

القرآن والصيام يشفعان

أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام أى رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان » .

بلاغة التصوير الأدبى فى الجمع بين الصيام والقرآن معا ، ترجع إلى عناصر جمالية فى الأسلوب النبوى الشريف ، منها فضل شهر رمضان المعظم على بقية شهور السنة ؛ لأن رمضان المبارك يجمع بين فضيلتين : إحداهما فضيلة الصيام بمعنى مقاومة الصائم لهوى النفس وشيطانها . حتى تصفو روحه ، وتتهذب نفسه ، ويصح جسده ، ويقوى بدنه . وثانيهما : فضيلة قراءة القرآن فى شهر اختصه الله تعالى بنزول كتابه المقدس لهداية الناس بقيمة الأخلاقية ، ومبادئه التشريعية والإنسانية ، قال تعالى : ﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والقرآن ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر . ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ ؛ ولهذا الفضل العظيم لهما بين الشهور والتشريعات السماوية استحق الشفاعة من أداهما ابتغاء مرضاة الله تعالى ؛ فالصيام والقرآن يشفعان لصاحبهما يوم القيامة ، ومن ذلك أيضا الدليل على أن الشفاعة أنواع ، منها الشفاعة العظمى للنبى ﷺ ، ومنها شفاعة الأعمال الصالحة ومنها شفاعة الصيام والقرآن ، ومنها شفاعة العلماء والشهداء وغيرها قال تعالى : ﴿ ولله الشفاعة جميعا ﴾ .

بلاغة التصوير الأدبى فى قوله : « يقول الصيام أى رب منعته الطعام والشراب بالنهار فشفعنى فيه » وترجع روعة التصوير الفنى إلى التشخيص وحيويته فى الصيام ، فقد شخص الصيام إنسانا محاميا يدافع عن الصائم يوم القيامة ، ويذبُّ عنه عنف المحشر العسير ولفح النار ولهيبها ، لينجو بصاحبه من الحساب الشديد ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ ، واعتمد أيضا على عناصر الإمتاع والتأثير وعلى أدلة

الإقناع. مما يعين على الاستجابة السريعة للشفاعة ، فيقول الصيام : قد حرمته من ضروريات الحياة ، وهى الطعام والشراب وكلاهما يحفظ النفس من الموت ، ومن كماليات الحياة ، وهى الحرمان من الشهوات والملذات ، ومن منهيات الحياة ومحرماتها فلا يشهد الزور ، ولا يقع منه اللغو ولا الغيبة والنميمة ، ليلتزم بأخلاق الصيام وتعاليمه ؛ لذلك جاءت آية استجابة الدعاء وقبول الشفاعة بين آيات الصيام قال تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ﴾ .

روعة التصوير البلاغى فى قوله : « يقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه » فقد جاءت الصورة البلاغية أيضا على سبيل التشخيص ، حين كان التشخيص فى القرآن خير مدافع لمن يقرؤه فى ليل رمضان ، ويعمل بقيمه وتشريعه فى جميع الأحوال ؛ فهو يستحق منه الدفاع والحماية ، لينجو من عذاب القبر وعذاب القيامة فى وقفة المحشر الرهيب ، وشدة الحساب ولهيب جهنم ، والحرمان من الجنة ، ثم خص الصيام بالنهار لأنه مجاله من مطلع الفجر إلى مغرب الشمس قال تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ كما خص قراءة القرآن بالليل ، لأن فيه أعظم عبادات التهجد ، قال تعالى : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ ، وللدلالة أيضا على أن نزول القرآن الكريم كان ليلا أيضا ، وفى ليلة خير من ألف شهر ، قال تعالى : ﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر ﴾ .

القيم الخلقية والتشريعية للحديث الشريف :

١ - ارتباط صيام رمضان بالقرآن الكريم دليل على أنهما متلازمان ، لا ينفصل أحدهما عن الآخر ؛ فنزول القرآن فى شهر رمضان ، رفع منزلة فريضة الصيام ومنزلة الشهر المبارك .

٢ - يشفع الصيام لصاحبه يوم القيامة ، فأداء فريضة الصيام على وجهها المشروع من المشرع الحكيم بمثابة السماح له بالشفاعة لصاحبه وإعطائه الأمر بها « من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه » .

٣ - كذلك القرآن الكريم يشفع لمن يحفظه أو يتلوه ويرتله ، ويستقيم على أوامره ونواهيه .

٤ - أن الله سبحانه وتعالى خص الصيام بالنهار ورغب فيه ، وخص التهجد والقيام بالليل وحث عليه ، وفى الحديث الشريف « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » ، « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

٥ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى فى الحديث الشريف .

النهى عن الوصال

أخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن الوصال فى الصوم فقال رجل من المسلمين : « إنك تواصل يا رسول الله قال : وأيكم مثلى إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقين » فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوما ثم يوما ثم رأوا الهلال ، فقال : «لو تأخر لزدتكم» كالتنكيل بهم حين أبوا أن ينتهوا ، وفى رواية عنه قال لهم « فاكلفوا من العمل ما تطيقون » .

التصوير البلاغى المستمد من حقائق المعانى الموضوعة فى اللغة لألفاظ الحديث وأساليبه البليغة ، التى تنوعت مصادرها البلاغية الجميلة ، فالصورة الأولى تعبر عن كراهة وصال يومين أو أكثر فى الصيام ، سواء

أكان فرضا أو نفلا ، فلا يأكل ولا يشرب ، بل يظل صائما لا يفطر ، وإن اختلف العلماء فيها بين كراهة التحريم أو التنزيه ، فجاءت الألفاظ بمعانيها الحقيقية فى تصوير أدبى رائع من خلال ما توحيه أداة الاستفهام « أيكم ؟ » ، لتدل على الإجابة منهم بقولهم لسنا مثلك يا رسول الله فأنت المصطفى من بين الخلق ، والناس أتباعك وفرق بين المتبوع والتابع عند الله وعند خلقه ، وتدل أيضا على معانى التوبيخ والتقريع ، لإنكارهم نهى أمته عن الوصال رحمة بهم ، مما يستحقون عليه التوبيخ ، والصورة البلاغية الثانية فى التعبير بالبيات ليلا ، فمع إفادته الامتناع عما يفطر فى الليل أو معظمه ، لكن المراد منه أيضا أن يظل مستمرا فى الوصال بين ليالى رمضان وأيامه ، ممتنعا عن المفطرات من الطعام والشراب والجماع على الأرجح ، وإن قيل لا مانع من الجماع ؛ لأنه يكون سببا فى الضعف لا فى القوة ، والصورة الثالثة فيما تفيده عبارة « لو تأخر لزدتكم » من صور حقيقية ، تدل على التنكيل بهم ، زيادة عما تفيده معانى هذه الألفاظ الموضوعة فى اللغة ، والصورة الرابعة فى تصوير عدم التحمل بقوله « ما تطيقون » ، فليس المراد عدم القدرة فحسب ، بل تدل على معنى آخر أن يتحمل ذلك بمعاناة شديدة ، ليدل على نوع الحكم وهو الكراهة تحريما أو تنزيها ، لا على التحريم المطلق ، وغيرها من الصور البلاغية المستمدة من الأساليب الحقيقية لا البيانية ولا الخيالية .

التصوير الفنى فى بلاغة الأسلوب البيانى المستمد من الألوان الخيالية يتخذ منها الخيال صورا فنية بديعة ، تتفتح لها منافذ الإدراك جميعا فى النفس .

فالصورة الفنية الأولى جاءت عن طريق مجاز الحذف ، فى دلالة «الواو» عن المحذوف فى قوله : « وأيكم مثلى » ، فهذه العبارة عطفت على محذوف تقديره « هذا شأنى وأيكم مثلى » فى بلاغة الحذف من الإيجاز ، الذى

يحتاج إلى تأمل وطول نظر ، حتى إذا ما انتهى إلى المراد استقر فى النفس ، فى حالة من المتعة والجمال بعد المعاناة والمشقة فى البحث عن المراد ، والصورة الفنية الثانية فى التوازن الموسيقى ، الذى يشد الانتباه ويثير العواطف ، ويعمر الوجدان عن طريق التعادل بين يطعمنى « يسقينى » ، والتضاد أيضا بين معانيهما .

والصورة الفنية الثالثة فى التعبير بالاستعارة المكنية فى قوله : « لو تأخر لزدتكم » فأصبح للشهر وهو زمن - إرادةٌ وتأثيرٌ فعليٌ كالإنسان ، للدلالة على أن كل شئ فى الكون إنسانا أو غيره يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم .

ثم الصورة الرابعة فى قوله « فاكلفوا من العمل ما تطيعون » فهى كناية عن اختلاف الطاقات عند البشر ، لدلالته على عدالة الله تعالى فى الأجر والثواب من جميع الخلق ، مهما اختلفوا فى القوة والضعف والشباب والشيخوخة والصحة والمرض ، قال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - جواز السؤال عن حكمة النهى أو حكمة الأمر .

٢ - جواز مراجعة المفتى فى فتواه للتأكد من الحكم أو تقريره تقريرا نهائيا .

٣ - كان الصحابة رضى الله عنهم يراقبون أفعال النبى ﷺ ؛ ليقتدوا بها على مثالها وليكونوا أيضا قدوة لهم « بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

٤ - النهى عن المبالغة فى العبادة والتشدد على النفس ؛ فالدين يسر لا عسر .

٥ - رحمة النبى ﷺ بأمته : ﴿ بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ ، ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ .

٦ - كان الرسول ﷺ المثل الأعلى والقدوة ، يتميز بخصائص النبوة .

٧ - تساوى المكلفين فى الأحكام الشرعية ، لا فرق بين عربى وأعجمى .

٨ - قدرة الله عز وجل على إيجاد المسببات بدون سبب ظاهر إن الله على كل شئ قدير ، يقول للشئ كن فيكون .

٩ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

فمن رغب عن سنتى فليس منى

أخرج البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « جاء ثلاثة رهط إلى أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا : وأين نحن من النبى ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم : أما أنا فإنى أصلى الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

التصوير البلاغى المستمد من المعانى الحقيقية ، التى تواضع عليها علماء اللغة ، لألفاظ الحديث الشريف وبلاغة أسلوبه ، منها : بلاغة الاستفهام فى قوله : «أنتم الذين قلتم كذا وكذا» فليس المقصود منه الإجابة عن السؤال ، وهو المعنى اللغوى للاستفهام ، لأن الرسول ﷺ قد علم ما سألهم عنه ، وما تقالوه من عبادتهم ، لكن المراد نفى ما قالوه ، ورفض ما

فهموه عن تعاليم الإسلام الميسرة ، وإنكار ما سيفعلون من التشدد فى العبادة ، مستدلين بقولهم عنه : لقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . فقال أحدهم : أمَّا أنا فإنى أصلى الليل أبدا ، وقال آخر وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الثالث : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا » ، فأنكر عليهم ذلك ، ووضح لهم سماحة الإسلام ويسر شريعته ، ومنها : ما توحيه كلمة « أمَّا » من إشارتهم لما ينكره عليهم من الأمر الجلل ، وتنبيههم إلى فظاعة قرارهم ، وغلظة ما فرضوه على أنفسهم مما لا يطيقون « فالدين يسر لا عسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا » ، وغيرها من القيم السامية ، التى أوحى بها حرف التنبيه والاستفهام ، فى نسق أسلوبى ونظم بلاغى ، وأكد هذه القيم بلفظ الجلالة ، وما أعظمه ؟! « إنى وبلام الابتداء » ، ومنها : أسلوب الحذف ، وما يدل عليه من بلاغة الإيجاز، وهو أبلغ فى النفس ، فهو يحتاج إلى تأمل وطول نظر ، فيكون أكثر إمتاعا وأعظم تأثيرا فى قوله : « لكنى أصوم وأفطر إلخ » ، والتقدير يدل عليه السياق والنسق البلاغى ، وهو : أنا وإن تميزت عنكم بذلك ، لكنى أنا وأنتم بالنسبة للعبودية سواء ، فأنا أصوم وأفطر .. إلخ ، ومنها إضافة السنة فى « سنتى » ونفيها عنه « فليس منى » ، إضافة إلى ضميره ، للدلالة على طريقته فى التشريع ، والإعراض عن العمل بها ، فالمراد ما جاء به عن ربه عز وجل من تشريع ، يشتمل على الطاعة فى أمر الله ونهيه .

التصوير الفنى فى بلاغة الأسلوب البيانى، المستمد من الصور الخيالية كانت مؤثرة وممتعة ، منها : الكناية البليغة فى قوله : « أنتم قلتم كذا وكذا» فليس المراد ما يفيده اسم الإشارة ، على ما سبق بيانه من العزائم الثلاث ، لكن المراد إنكار هذه الأفعال الثلاثة والتجاوزات فيها ، حتى كره الرسول ﷺ أن يذكرها ، حتى لا يقررها ، وإنما أهملها تماما ، واكتفى

بالكناية ، وهو أسلوب بلاغى ، من أبلغ الصور الأدبية فى الإمتاع والتأثير والإقناع ، ومنها : التنوع فى التقسيم الموسيقى الذى أداره الخيال ، مما يضفى على الأسلوب الإيقاع الرتيب ، والنسق الموسيقى المتتابع ، مما يثير النفس ويمتعها ، ويقنعهما عن طريق المنافذ الأخرى ، من العاطفة والوجدان والحواس المختلفة ، وهو ما يفيده أيضا التوازن الإيقاعى بين أسلوب الشرط ، وأسلوب الجزاء ، فتتفتح له منافذ الإدراك المختلفة ، ليستقر الحكم فى النفس ، ويكون القرار الفصل الذى لا مرد فيه ، وهو أن من أعرض عن شريعة الإسلام السمحة ، بلا تشدد ، أو تنطع فليس من المؤمنين ، لأنه خرج عن طاعة الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ ، ومنها : الصورة الأدبية فى الكناية البليغة ، التى تعبر عن سماحة الإسلام فى تشريعه التى يطيقها القوى والضعيف ، ويسر تعاليمه لكى يقوى المسلم على طاعة إلى الأبد ، فخير الأعمال القليل الدائم ، وذلك فى قوله ﷺ : «لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء » ، فليس المراد تلك المزاوجة فحسب ، ولكن المراد سماحة الإسلام ويسره ، لما ورد فى الحديث الشريف « إن لربك عليك حقا وإن لنفسك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا ، فاعط كل ذى حق حقه » .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - تتبع أحوال أهل الكمال للسير على مناهجهم وطريقهم .

٢ - يجوز استكشاف هذه الأحوال من النساء إذا تعذرت عند الرجال .

٣ - من عزم على فعل الخير ، وأراد إظهاره ، فلا حرج من إعلانه دفعا للرياء .

٤ - قد يتحول المباح والجائز بالنية إلى الكريمة .

٥ - الدين يتلاءم مع طبيعة البشر لأن الدين يسر لا عسر .

٦ - إزالة الشبهات عن المجتهدين ، وإثبات الأحكام المحكمة والحكيمة .

٧ - كان النبى ﷺ رفيق بأصحابه رضى الله عنهم ورحيم بأمته .

٨ - العلم بالله عز وجل ومعرفته حق المعرفة أعظم قدرا من العبادات .

٩ - طاعة الرسول ﷺ فى أقواله وأفعاله وأوامره ونواهيه .

١٠ - العودة إلى استعمال نعم الله تعالى ، والتمتع بها بعد أن استبدلها بغليظ الحياة الخشنة ، والتقشف فى المأكل والملبس .

١١ - سنة النبى ﷺ تشريع إلهى من الله عز وجل لأمته ، إن هو إلا وحى يوحى ، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله .

١٢ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى فى الحديث الشريف .

الصيام كالجهاد

أخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله قال : قال رسول الله ﷺ : «من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، جاهد فى سبيل الله ، أو جلس فى أرضه التى ولد فيها ، قالوا يا رسول الله أفلا تبشر الناس ؟ قال : إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ؛ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ، آراه قال : وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة » .

التصوير البلاغى المستمد من حقائق المعانى الموضوعة فى اللغة لألفاظ الحديث الشريف وأساليبه البليغة ، فقد تنوعت مصادره البليغة ، منها بلاغة أسلوب القصر ، الذى يؤكد القول الفصل والقرار النهائى فى ترتب الجزاء على الشرط فى قوله : « من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام

رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة » ، فتأكد هذا التقرير أكثر وأكثر بأسلوب القصر : « كان حقا على الله أن يدخله الجنة » وطريقه التقديم لخبر كان على اسمها ، ليطمئن من أدى ذلك ، أن له حق على الله تعالى أن يدخله الجنة من فضله ، فلا يجب شئ على الله عز وجل ، ومنها ما تفيده أو العاطفة ، من صورة التسوية بين من قاتل فى سبيل الله واستشهد ، ومن مات فى بيته بعد قيامه بالصلاة والصيام ، فله أجر شهيد أيضا فى الجنة ، وإن كانوا جميعا يتفاضلون فيما بينهم حسب كثرة الأعمال الصالحة ، لينال المكثر مائة درجة ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، ومن زاد فقد تميز بالفردوس الأوسط ثم الأعلى ، ويؤكد ذلك ما ورد فى حديث معاذ رضى الله عنه حين استسمح رسول الله ﷺ أن يخبر الناس بذلك ؛ فرد عليه قائلا : ذر الناس يعملون ، فإن فى الجنة مائة درجة .. إلخ الحديث ، ومنها أسلوب القصر البليغ الذى يؤكد بأنهم لا ينفكون عن الجنة أبداً ، حين قدم خبر إن عن اسمها فى قوله : « إن فى الجنة مائة درجة ، مع إفادة التقديم من البشارة وسرعة إدخال السرور ، وتقرير الجزاء منذ البداية لزيادة الأمن والطمأنينة ، ثم يكون ما تلاه توضيحا للجنة وتفسيرا لها بمائة درجة ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فيكون السرور أعظم والأمن أكثر ، ليزداد الذين آمنوا إيمانا مع إيمانهم ، حتى لا ينتهى العمل إلى حد معين ، بل يتفاضلون فيه بالزيادة المستمرة : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ .

التصوير الفنى فى بلاغة الأسلوب البيانى ، المستمد من الألوان الخيالية ، يتخذ منها صورا أدبية بليغة ، يغتذى منها الذوق ، وتتهذب بقيمها النفوس الزكية ، فالصورة الأولى جاءت فى التشبيه الضمنى البليغ ، فى قوله : « جاهد فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها » ،

مما يحتاج إلى تأمل ، وطول نظر فى استخراج أركان التشبيه الصريحة ، التى تقفز إلى العقل لأول وهلة ، كالوقوف هنا على المشبه فى قوله : « من أقام الصلاة وصام رمضان والمشبه به فى قوله : « قاتل فى سبيل الله حتى استشهد » ، أمّا التشبيه الضمنى فلا يتأتى إلا بعد تفكير طويل ، وحينئذ يستقر فى النفس ، فيمتعها ويظل فيها زمنا طويلا أيضا ، كما أن الاقتصار على الصلاة والصيام للتكرار فى الأداء فى كل يوم وسنة ، فهما واجبان على القوى والضعيف والغنى والفقير ، بينما الحج والزكاة لا تجب إلا على المستطيع ، بيد أن الحج لا يجب إلا مرة فى العمر ، والزكاة على الغنى فقط ، على النقيض من الصلاة فهى فى كل يوم ، ومن الصيام فهو فى كل سنة وعلى الغنى والفقير ، والصورة البليغة الثانية قامت على التشبه الصريح الذى تجسدت أركانه فى المشبه وهو : « ما بين الدرجتين فى الجنة » ، والمشبه به : « كما بين السماء والأرض » ، ووجه الشبه وهو الاتساع وكثرة النعيم ، فما بالك بما بين مائة درجة ، إنه الفضل الأكبر ، والصورة الأدبية الثالثة قامت على التوازن بين التقسيم الموسيقى فى الفقرات الأربع ، فالأولى : « إذا سألتم الله » ، والثانية : « فاسألوه الفردوس » ، والثالثة : «فإنه أوسط الجنة» ، والرابعة : « أعلى الجنة » ، فتجد جمال التنسيق والإيقاع فى هذا التوازن الموسيقى ، الذى أحكمه الخيال ، فتنوعت أوتاره الشجية ، التى تمتع النفس والذوق والعقل جميعا ، بالإضافة إلى ما أفادته «إذا» من التحقيق ، وتأكيد الرجاء عند الله ، فهو حقيقة عند الخالق لا كالرجاء عند المخلوق ، كما فى قوله تعالى : ﴿ ولعلكم تفلحون ﴾ فهم مفلحون إن شاء الله تعالى .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - من آمن بالله ورسوله ، وأقام الصلاة ، وصام رمضان ، كان حقا على الله بفضله أن يدخله الجنة .

٢ - وكذلك من جاهد فى سبيل الله تعالى ، كان حقا على الله تعالى بفضله أن يدخله الجنة .

٣ - من يصوم رمضان ، ويقيم الصلاة ، ومات فى أرض ، كان كالمجاهد فى سبيل الله تعالى سواء بسواء فى دخول الجنة .

٤ - بشر الرسول ﷺ من أطاعه بالصيام والقيام ، وبالجهاد فى الدنيا بالجنة ، كما بشر بعض الصحابة رضى الله عنهم بالجنة .

٥ - اتساع الجنة ورحابتها ، تتعدد درجاتها بما يتلاءم كثرة الأعمال الصالحة والخيرات ، حتى تصل إلى مائة درجة ، دفعا للتنافس فيها والسباق إلى فعلها .

٦ - بلغت عظمة الدرجة واتساعها ما بين السماء والأرض ، فما بالك إذا تعددت الدرجات إلى مائة ، ذلك فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء ، ولا يظلم ربك أحدا .

٧ - وأعظم هذه الجنات وتلك الدرجات هى الفردوس ؛ فحث النبى ﷺ أمته أن يسألوا الله عز وجل إياه ، ويعملوا من أجله ويتسابقوا إليه فالفضل لمن سبق .

٨ - الفردوس درجات ، من الفردوس أوسط الجنة ومنه أعلى الجنة .

٩ - حدد موقع الفردوس ؛ فبين أن موقعه فوق عرش الرحمن ، ومنه تتفجر أنهار الجنة .

١٠ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

الصيام والقيام كالحج

أخرج النسائى وأحمد عن النضر بن شيبان قال : قلت لأبى سلمة بن عبد الرحمن حدثنى بشئ سمعته عن أبيك ، وسمعه أبوك من النبى ﷺ عن شهر رمضان فقال : نعم حدثنى أبى فقال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تبارك وتعالى فرض صيام رمضان عليكم وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

التصوير البلاغي المستمد من المعانى الحقيقية ، التى تواضع عليها علماء اللغة لألفاظ الحديث الشريف وبلاغة أسلوبه ، جاء هنا فى صور بليغة متنوعة ، منها : تصوير صوم رمضان بصيغة الصيام لا الصوم ، للدلالة على قيم خلقية كثيرة ؛ تشمل جميع فضائل شهر رمضان ، بما لا يحتويه لفظ الصوم ، فالصوم بمعنى الإمساك عن الكلام ، قال تعالى على لسان مريم : ﴿ إنى أنذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا ﴾ أى إمساكا عن الكلام ، وقد يشمل الإمساك عن الطعام ، بينما صيغة الصيام تدل على أكثر من ذلك بكثير ، لأن صيغة الفعال والمفاعلة تدل على المشاركة والمجاهدة ، والمثابرة والمقاومة والمغالبة والمنافسة ، وغير ذلك مما يتضمن جهاد النفس ، وانتصارها على هواها وشهواتها ، وعلى الشيطان وإغراءاته ، وعلى ذلك فصورة الصيام بمدلولاتها اللغوية تحتوى على قيم صيام رمضان الخِلْقية والخُلُقية ، فأما القيم الخِلْقية كالجهاد والمقاومة والمغالبة بالجسد ، تنشطه وتقويه وتجدد طاقاته ، ليقوى على الطاعة والعمل ، فيخرج الصائم من صيامه صحيح البدن قوى البنية ، وفى الحديث الشريف : « صوموا تصحوا » ، وفى آخر : « المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء » ، وفى ثالث : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه وإن

كان ولابد ، فثلث لطعامه وثلث لشرابه ولثلث لنفسه » ، وأما القيم الخُلُقية التى تحتويها صيغة الصيام ، فتشمل الغاية السامية من هذه الفريضة ، فمن قيمة المجاهدة والمقاومة والمغالبة والمشاركة والصبر ، وقوة الإرادة والعزيمة والأمانة ، بل أسمى أنواعها ، والمحاسبة والمراقبة والعفة والعزة ، وحسن المعاملة والمواساة والتعاون والتكافل ، والكرم والاستثمار وكثرة الإنتاج ورواج الاستهلاك والأسواق وغيرها ، وكان النبى ﷺ متأثرا بمنهج القرآن فى إيثار الصيام عن الصوم مع كل العبادات وفى رمضان ، فجاءت هذه الغاية السامية فى معظم الأحاديث بلفظ الصيام فى القرآن الكريم ، وقليل منها بالصوم ، ليظل الفرق بين كلام الله المعجز وبين حديث أبلغ البشر على الإطلاق .

ومنها صورة التأكيد للفريضة فى صيام رمضان بمؤكدات وهى : « إنّ واسميته الجملة من المبتدأ والخبر ، وما تدل عليه من الدوام والثبات ، وذكر لفظ الجلالة « الله » وصور التنزيه له فى قوله : « تبارك وتعالى » وإيثار لفظ الفرضْ التى لا يترك مجالا للاحتمال ، أى ركن من أركان الإسلام الخمسة ، والتصريح بذكر رمضان أى مقصور عليه لا غيره من الشهور ، ودلالة «عليكم» من الإلزام ، لكى يتضح الفرق بين « لكم فى السنة وعليكم فى الفريضة » ، ومنها الصورة البليغة فى التعبير عن لفظ « السنة » المشددة وهى نافلة القيام وسنة التراويح فى قوله : « وسننت لكم قيامه » ، بفك إدغام لفظ السنة ، كما فى سننت من التسهيل والترويح والتجاوز ، لا الإلزام والفريضة ، حتى لا يكون القيام ملزما كالصيام ، لذلك قال النبى ﷺ لأصحابه حين امتنع عن متابعة القيام معهم خشيت أن يفرض عليكم .

أما التصوير الفنى فى بلاغة الأسلوب البيانى المستمد من الصور الخيالية وغيرها ، مما يدعو إلى التأمل وطول النظر ، ويثير العاطفة ويوقظ

العقل ، ويدعو إلى التفكير والتدبر ، جاء فى صور متنوعة ، منها صورة التشبيه التمثيلى فى قوله : « رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » ، قد شبه الصائم القائم فى متابعة فعل الخيرات والحسنات فى ثلاثين يوما ، وترك المنكرات وهجر المحرمات والمكروهات ، حتى تجردت صفحاته من الأوزار واتسعت للحسنات والأنوار ، فعاد الصائم إلى فطرته المستقيمة طاهرا بريئا نقيا صافيا ، شبه ذلك كله بالطفل على فطرته ، حين يولد طاهرا بريئا ، لم تقع منه معصية مطلقا ، بل كان فى بطن أمه على الفطرة الربانية المستقيمة بلا جريرة أو ذنب ، مثل الحج المبرور فليس له جزاء إلا الجنة ، ومنها التجسيم الفنى البليغ للذنوب ، وهو أمر معنوى لا حسى ، حين يقاوم الصائم التخلص منها : وهى تلح عليه وتغريه ، فينزع جسده وكيانه منها ، كما ينزع الجنين من الرحم الذى أحاط به وأطبق على كيانه ، فكأن الرحم يقاومه ويصر على أن يحيط به ويلازمه ، ومنها التوازن الإيقاعى والتناسق الموسيقى الذى يثير العاطفة ويشد العقل ، فى المقابلات من الصور التعبيرية البليغة ، كالطباق فيه « فَرَضَ وسَنَنْتُ » وبين « الصيام والقيام » وبين « صامه وقامه » وبين « إيماناً واحتساباً » ، وكالمقابلة « بين جملتى » ، « فرض صيام رمضان عليكم ، وسننت لكم قيامه » ، والتعادل الموسيقى بين جملتى الشرط « فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا » ، وجملة الجواب والجزاء : « خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » فتحرك موسيقاه العاطفة ويتفاعل معها العقل ، حتى تتمكن فيه القيم الخلقية من النفس ، وتستقر فى أعماقها منهجا قويما لا تبرح عنها ، لتصير سلوكا ساميا ، وعملا صالحا ، بالإضافة إلى ما يفيده جواب الشرط من الحكم الفصل ، والقرار الذى لا رجعة فيه بفضل الله عز وجل ، وهو من صام وقام إيمانا واحتسابا استحق على سبيل الجزم واليقين التجرد من الذنوب والأوزار ،

كالشأن فى المولود بعد ولادته ، فهو يولد على الفطرة التى فطره الله عليها ، ذلك الدين القيم لا تبديل لخلق الله .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - أن الله تعالى فرض على المسلمين صيام شهر رمضان ؛ فهى ركن من أركان الإسلام .

٢ - أما القيام فهو سنة سنها النبى ﷺ رحمة بأمته .

٣ - صيام شهر رمضان وقيامه لا يكفر الذنوب إلا إذا صدر عن مؤمن يحتسب ذلك عند الله عز وجل ابتغاء مرضاته .

٤ - من صام رمضان وقام ليله إيمانا واحتسابا كان ثوابه كالحج ، يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

٥ - لذلك كان الصيام والقيام فى شهر رمضان إنصافا للفقير وغير المستطيع لأداء فريضة الحج ، حتى لا يحرم من ثواب الحج المبرور للمستطيع ، ولا يظلم ربك أحداً .

٦ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

اليد العليا

أخرج البخارى عن حكيم بن حُزَامه رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول ، وخير الصدقة عن ظهر غنى ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله » .

التصوير البلاغى المستمد من المعانى الحقيقية ، التى تواضع عليها علماء اللغة لألفاظ الحديث الشريف كثيرة ومتنوعة ، وصوره البلاغية كثيرة ومتنوعة ، منها الصورة البلاغية فى أسلوب القصر ، وبلاغة الحصر بين ركنى الجملة ، مقصرا فضائل الخير على اليد المعهودة بالعليا ، أى ذات

الطبيعة الخيرة ، والموصوفة بأفضل المعالى ، من اليد المعهودة بالدنو والتسفل والقبح ، كل ذلك على سبيل التوكيد والحصر ، حتى صار الخير مقصورا على اليد العليا ، لأنها دائما سامية وعفيفة وجادة وعاملة ، لأن أفضل الجهاد جهاد النفس ، وتكررت هذه الصورة الأدبية ، ليؤكد هذه القيم الخلقية والتشريعية السامية ، فى قوله بأسلوب المفاضلة : « وخير الصدقة عن ظهر غنى » ، ومنها : الصورة البليغة بأسلوب الأمر والجزم ، ليدل على أنه الأفضل ولا خير فى غيره ولا بديل عنه ، حتى يتفق مع القيم الخلقية السابقة ، وذلك فى قوله : « وابدأ بمن تعول » ، مع دلالة « مَنْ » على جميع من تجب عليه نفقتهم ، من نفسه وزوجه وأولاده ووالديه وخادمه ، لأن فعل الأمر يدل على الوجوب والفرض واللزوم ، زاد النسائى : « أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك » ، ويؤكد هذا أيضا بصورة أدبية أخرى ، تدل على الأمر ، لكنها بصيغة المضارعة المقرونة بالسين والتاء ، التى تدل على الطلب فى قوله : « يستعفف » أى يطلب العفة ، وقوله : « يستغن » أى يطلب الغنى ، ومنها الصورة الأدبية ، التى تدل على العموم والشمول فى التعبير ، « بمن » فطلب العفة والغنى واجب على الجميع لا فرق بين الكبير والصغير ، والذكر والأنثى والقوى والضعيف ، فقد قصر الله عز وجل العزة على ذاته العلية ، وعلى رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين : ﴿ فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ ، ثم ما أعظم التنكير فى « غنى » فهو يدل على التعظيم والتكثير .

التصوير الفنى فى بلاغة الأسلوب البيانى ، المستمد من الصور الخيالية التى تثير النفس والعاطفة ، ويعمر بها القلب والوجدان ، ويتزود منها العقل والمعرفة ، ومنها : الصورة الأدبية التى تستمد روافدها من كنايتين بليغتين ، الأولى صورة اليد العليا ، فهى كناية عن المنفق والمتصدق ، وكثرة

البذل والعطاء ، والترفع والعفة والكسب والعمل ، والغنى والثراء والثانية صورة « اليد السفلى » ، فهى كناية عن الشحاذة والسؤال ، والسائل والمحتاج ، والفقر والضعة والكسل والعجز وعدم الترفع ، وغير ذلك مما لا يليق بالمؤمن القوى العفيف ، ذى الهمة العالية فى العبادة والعمل ، ومنها : الصورة البليغة القائمةعلى الاستعارة فى قوله : « عن ظهر غنى » ، فقد شبه الغنى والثراء بالظهر ، الذى يحمى الأحشاء والبطن فى البدن من الضرر ، بجامع الحماية والوقاية من الفقر والضعف ، ومهانة ذل السؤال فالغنى يستظهر بغناه على النوائب والملمات ، فيعينه على الإنفاق والصدقة ، وقضاء فاقة المحتاج والفقير ومساعدة المساكين ، ومنها : الصورة البليغة النابعة من مصادر الموسيقى فى قوله : « ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنيه الله » ، لما يفيده التوازن المتناسق بين جملتى الشرط والجزاء ، كما يفيد المزاوجة بين الجملتين ، للدلالة عن العفة وعن الغنى ، وفى جملة الشرط والجزاء حتمية القرار ، والقول الفصل الذى لا رجعة فيه ، فمن طلب الغنى أغناه الله ، ومن طلب العفة أعفه الله تعالى ، إنما الأعمال بالنيات . . » كما فى الحديث الشريف ، قال الله تعالى : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ﴾ ، وفى الحديث الشريف إيجاز ؛ فقد دل على معان كثيرة ، وقيم خلقية وتشريعية متنوعة ، من خلال ألفاظ محدودة ، وتعبيرات قليلة دون المعانى والقيم المختلفة ، وهذا هو ما اختص به النبى ﷺ من بين الخلق جميعا بجوامع الكلم ، فصار أبلغ العرب قاطبة كما قال : بيد أنى من قريش .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - الشأن فى المسلم يكون قويا عزيزا ذا همة عالية ؛ فلا يقبل منه الإسلام أن يكون ضعيفا . دليلا حقيرا ، لا يمد يده لذل السؤال ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

٢ - أن خير النفقة والصدقة ما ينفقه المسلم على من يعوله ، وعلى من تلزمه نفقتهم ، أو يتصدق على ذوى الرحم والأقارب .

٣ - خير الصدقة ما كانت زائدة عن حاجته ، وحاجة من يعوله ، ومن تلزمه نفقتهم من زوجه وأولاده وخادمه ووالديه .

٤ - يحث الإسلام المسلم على أن يكون عفيف النفس ، عالى اليد ، طاهر القلب ، عزيز الجانب ، قويا فى عقله وفكره وبدنه .

٥ - يحث المسلم على العمل والكسب والإنتاج ؛ ليزداد غنى ؛ فالمؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف ، ويسد حاجة المسلمين ؛ فلا يحتاجون إلى أعدائهم من منتجات وسلع .

٦ - إن الله سبحانه وتعالى يعطى المسلم حسب نيته ومقاصده ؛ فمن أراد العفة أعفه الله ، ومن أراد الغنى أعانه على ذلك : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ... » .

٧ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

الحج وفطرة الله تعالى

أخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ : « من حج فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير عمنْ أدى فريضة الحج فى قوله ﷺ : « من حج » فى تصوير فنى يقوم على النسق الإيقاعى الجميل بين جملتى الشرط والجزاء ، والانسجام الموسيقى فى التوازن بينهما فى : « من حج رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » مما يحرك المشاعر ويوقظ الوجدان ؛ فيتلقى القلب والعقل القيم الخلقية والتشريعية فى شوق وحب ، وتجاوب فاعل فى

التصديق والعمل به منهجاً وسلوكاً ، وجاءت الصور الفنية للحج مقيدة بعدم الرفث والفسوق ، ليضفى على التصوير البلاغى قيما فنية وخلقية تعود إلى دلالات الألفاظ التصويرية ؛ فتشمل « من » كل مسلم رجلا أو امرأة ، كهلاً أو شيخاً ، أو شاباً ، فلابد أن يتصف الجميع بالعقل، على العكس من «ما»، التى تشمل العقلاء وغيرهم ، والمميز وغير المميز ، والمكلف وغير المكلف، وآثر التعبير بقوله : « حج » دون « أدى » لأن الأداء قد يكون قاصرا ، أو رياء وسمعة أو يطلق على بعض المناسك دون غيرها ، كل ذلك يعد أداء ، لكن المصطلح الشرعى للفظ « الحج » يشمل مشاعره تامة كاملة فى إيمان صادق وإخلاص فى الأداء ابتغاء مرضاة الله عز وجل ، لذلك جاء العنصر الثالث وهو أن يكون لله عز وجل لا للشهرة أو الرياء ، ولا طمعا فى متاع الحياة الدنيا ، ولا لمجرد إسقاط الفريضة عنه فقط ، بل يكون أداء الحج طاعة لله سبحانه ، وإيمانا به وبرسوله ، وخوفا من عذابه وطمعا فى رحمته وجنته ، وتكفيراً لسيئاته وأوزاره ، وتصديقا لشريعته ، التى جاءت لتحقيق السعادة للبشرية جمعاء ، وفى الحديث الشريف : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ... إلخ » .

وبلاغة التصوير الأدبى فى قوله : « فلم يرفث ولم يفسق » يقوم على عناصر جمالية فى التعبير ، لأن مشاعر الحج طاعة وعبادة وتقديسا لله عز وجل ، لا يتفق مع المدلول اللغوى للرفث والفسوق ؛ فالرفث معناه الفحش والجماع ، وهو يتعارض مع قداسة مشاعر الحج ، ولا يتناسب مع الجانب الروحى فيها ؛ فهو يتنافى مع الشهوات والملذات المادية ، فلها مجال آخر غير الحج ، وفى الحديث الشريف : « إن لربك عليك حقا وإن لنفسك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا فاعط كل ذى حق حقه » وكذلك الفسوق ، وهو بمعنى الخروج عن طاعة الله تعالى ، والتمرد على مشاعر

الحج المقدسة الطاهرة ، بارتكاب المعاصى والموبقات المهلكات ، قال تعالى : ﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ ، وما أروع الإيقاع الموسيقى ، والنسق الرتيب بين المقطعين المتلائمين وهما « لم يرفث » و « لم يفسق » مما يهز العاطفة ، ويثير المشاعر ، ويعمر الوجدان بالإيمان الصادق ابتغاء مرضاة الله عز وجل .

التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير عن التطهر من الذنوب والأوزار من النجس والرجس عن البدن ، ومن الشيطان والهوى عن العاطفة والعقل ، وذلك فى صورة فنية تقوم بلاغتها على عناصر تصويرية جميلة ، فعبر الحديث الشريف بالفعل « رجع » بمعنى عاد إلى الفطرة الطاهرة المستقيمة التى تقوم على الطاعة لله عز وجل ، والصفاء الروحى وطهارته فى إيمان صادق واستقامة ، وتأكدت هذه الفطرة فى تصوير حالة الإنسان يوم مولده حين خرج من بطن أمه إلى الحياة على الفطرة المستقيمة ؛ والطهارة والنقاء من كل أوزار الحياة ، فهى موصولة ببارئها وخالقها ، لقوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ وهى موصولة بوالديه بالإحسان إليهما ، والبر بهما ، ومقرونا بطاعة الله عز وجل : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾ ، وتلاءمت هذه العناصر الجمالية فى لوحة فنية ، تقوم أبعادها على التشبيه البليغ ، الذى يتلاءم طرفاه مع الفطرة السليمة والطهارة الربانية ، والصفاء الروحى وسلامة الجسد ، وبراءته من هوى النفس ودنس المردة من الإنس والجن ، من خلال تشبيه حالة الإنسان فى حجه المبرور وهو كبير بحالته يوم ولدته أمه على الفطرة طاهرا نقيا ، وفى الحديث الشريف : « تابعوا بين

الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور جزاء إلا الجنة » .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - بالإضافة إلى ما ذكر فى بلاغة الحديث الشريف وتصويره النبوى من قيم خلقية وتشريعية فيشمل كذلك ما يأتى :

٢ - فريضة الحج ركن من أركان الإسلام .

٣ - النهى عن الرفث والفسوق فى الحج .

٤ - الحج المبرور يكفر السيئات ويطهر النفس من الذنوب .

٥ - الحج يعيد النفس إلى الفطرة المستقيمة كالطفل ساعة ولادته .

العمرة إلى العمرة والحج المبرور

أخرج أحمد والبخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

بلاغة التصوير الفنى فى التعبير الشريف عن تكفير العمرة لما قبلها من السيئات ، وذلك فى صورة متنوعة ، فجاءت العمرة معرفة « بأل » ، لتفيد التعريف ، والعهد ، والاستغراق ، فالتعريف بمعنى العمرة المعروفة فى تعاليم شريعة الإسلام سنة مؤكدة عند الأحناف والمالكية لحديث جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ سئل عن العمرة أواجبة هى ؟ قال : « لا وأن تعتمروا أفضل » وفريضة عند الشافعية وأحمد بن حنبل لقوله تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ لأنها معطوفة على الحج وهو فرض ، والأرجح أنها سنة مؤكدة ، والعهد بمعنى العمرة المعهودة بأركانها من الإحرام مع النية والطواف حول الكعبة سبعا ، والسعى بين الصفا والمروة سبعا ،

والحلق أو التقصير ، والمعروفة بسننها المختلفة كالاغتسال قبل الإحرام ودعاء الطواف والملتزم وتقبيل الحجر الأسود ، وركعتى الطواف خلف مقام إبراهيم ، والشرب من ماء زمزم وغيرها ، وتفيد الاستغراق بمعنى استغراق جميع الأركان والمشاعر والمناسك والواجبات والسنن ، حتى تكون كاملة تامة ، وكذلك جاءت « إلى » بمعنى « مع » أى العمرة مع العمرة كفارة لما بينهما ، وفى هذه الصورة الفنية التى تكررت فيها العمرة ، تحث على متابعة العمرة من حين لآخر ، للحرص على تكفير السيئات تباعا ، كما أنها تفيد القصر والتأكيد ، أى قصر التكفير على التتابع بين العمرات وتأكيده ، لتعظيم الثواب الجزيل والأجر العظيم ، فقد قصر الحديث الشريف تكفير السيئات على أداء العمرة بعد العمرة ، أو قصر التكفير على السيئات التى كانت قبل أداء العمرة وإن طالت المدة قبلها ، وكذلك تجد الصورة الأدبية فى صيغة المبالغة فى « كفارة » بالتشديد ، تدل على محو جميع السيئات الصغائر والكبائر غير حقوق العباد فى أرجح الأقوال عند العلماء ، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، فلا تبقى منها بقية ، فالإبهام فى دلالة « ما » اللغوية ، تدل على هذا العموم والشمول لكل السيئات صغيرة كانت أم كبيرة ، أما حقوق العباد ومظالمهم لابد من ردها إلى أصحابها ، أخرج ابن ماجة عن النبى ﷺ قال : « جزاء الحج جهاد والعمرة تطوع » .

روعة التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير عن الحج المبرور فى قوله : «والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » فى صور أدبية بليغة متنوعة ، فالصورة الفنية فى مفهوم « الحج » « بأل » التى تفيد التعريف والعهد والاستغراق ، أى الحج المعروف فى تعاليم الشريعة الإسلامية ركنا من الأركان الخمسة ، التى بنى عليها الإسلام ؛ فلا يتحقق الإسلام إلا بالتصديق بها ، ولا تسقط عن المستطيع إلا بعد أدائها بنفسه أو ورثته من

بعده من تركته أو من غير ، وكذلك الحج المعهود بأركانه ، وهى النية والإحرام من الميقات والطواف والسعى والوقوف بعرفة والحلق والتقصير ، وبواجباته من المبيت بمزدلفة والمشعر الحرام ورمى الجمرات والمبيت بمنى ، وطواف الوداع ، والحج المعهود بسننه الكثيرة ، وباجتناب محرماته وممنوعاته ، والمعهود بنسكه من الهدى والأضحية وغيرها ، ويفيد التعريف الاستغراق والشمول ، فلا يكون تاما إلا باستغراقه لجميع الأركان والواجبات والسنن والبعد عن المحرمات والممنوعات ، لقوله تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ .

والصورة الأدبية الثانية جاءت بلاغتها فى اسمية الجملة ، التى تقصر الخبر على المبتدأ الموصوف بصفة المبرور ، فلا يتجاوزه إلى المتصف بالرياء والتظاهر والمخالط للرفث والفسوق والجدال والمعاصى ، أما الصورة البليغة الثالثة فى قوله : « ليس له جزاء إلا الجنة » فقد جاءت على سبيل القصر أيضا والتأكيد بالنفى والاستثناء بمعنى أن الجنة مقصورة على جزاء الحج المبرور ، لا يتجاوزه إلى المأزور غير المأجور تأكيدا وتعظيما لثوابه الجزيل ، قال تعالى : ﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقونى يا أولى الألباب ﴾ .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - بالإضافة إلى ما ذكره فى التصوير النبوى للحديث الشريف للقيم الخلقية والتشريعية نذكر ما يلى :

٢ - الحث على أداء العمرة وتكرارها كلما أمكن ذلك .

٣ - متابعة العمرات تكفر ما بينهما من السيئات والأوزار .

٤ - الحث على أداء فريضة الحج .

٥ - الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة .

الحج مرة واحدة

أخرج البخارى ومسلم : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « يا أيها الناس : إن الله كتب عليكم الحج فحجوا ؛ فقال رجل أكل عام يا رسول الله ؛ فسكت ، حتى قالها : ثلاثا ، ثم قال ﷺ : لو قلت : نعم ، لوجبت ، ولما استطعتم ، ثم قال : ذرونى ما تركتم ، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه » .

روعة التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير عن فريضة الحج بالعناصر البلاغية التى لا تدع مجالاً للإنكار أو التردد ؛ ليكون الحكم قاطعا والأمر حاسما ، وذلك فى قوله : « إن الله كتب عليكم الحج فحجوا ؛ فأكد الفرضية « بإن » المشددة المؤكدة ، وبذكر لفظ الجلالة على سبيل القصر والتأكيد ، مقدما الجار والمجرور : « عليكم » على المفعول به : « الحج » ، بمعنى قصر كتابة الحج وفرضيته على عباده على سبيل الوجوب » وأكد الفرضية بلفظ الفعل الماضى ، على سبيل الجزم واليقين والتحقيق ، متأثراً ببلاغة القرآن الكريم فى تصوير فريضة الصوم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ ، وكذلك وجوب الكناية فى آية الدين : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله.. ﴾ ، ثم أكد الفرضية بصورتين بليغتين ، الأولى : جاءت فى حرف « الفا » التى تدل على الترتيب والتعقيب ، فهى لا تعطى فرصة للتأخير أو التردد ، بل سرعة التنفيذ على سبيل الإنجاز والسرعة ، والثانية فى التعبير بفعل الأمر «حجوا» الذى يدل على الإلزام والقطع بلا تردد أو مراجعة .

التصوير الفنى فى بلاغة التعبير فى الرد على سؤال الرجل حين قال : أكل عام يا رسول الله ؛ فكانت الإجابة دقيقة وعميقة ، لا تتعارض مع أمر الله عز وجل بوجوب فريضة الحج مرة واحدة فى العمر ، كما فى قوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾ وذلك فى صور فنية متنوعة ، فالصورة الأولى ليست تعبيرا ولا كلاما بل سكونا وصمتا ، على الرغم من إعادة السؤال ثلاث مرات ، فقد أجمع علماء البلاغة على أن الصمت قد يكون أبلغ من الكلام حسب المقام ، والصمت هنا يدل على إنكار السؤال وعدم الرضا عنه ، والصورة الثانية فى بلاغة التعبير فى قوله : « لو قلت : نعم » ، التى تدل على تعليق الامتناع على ممنوع ، وللإشارة إلى أن « لو » تفتح باب الشيطان ؛ فيجب علينا أن نغلق منافذه بعدم استعمالها ، والصورة الثالثة فى قوله : « لو قلت : نعم لوجبت ولما استطعتم » ؛ فأصبحت الفريضة متكررة ، مما لا يطيقه المكلف كل عام كما فى الحديث الشريف عن ابن عباس رضى الله عنهما : « يا أيها الناس كتب عليكم الحج ، فقام الأقرع بن جابس فقال : أفى كل عام يا رسول الله؟ فقال : لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا ، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع » رواه أحمد والنسائى وأبو داود والحاكم ، ويدل منطوقها على صورة أخرى يوحى بها المفهوم بمعنى « لو قلت : لا » لأدى ذلك إلى حرمان المستطيع من ثواب التطوع بالحج ، فقد حث الرسول ﷺ على متابعة الحج والعمرة كما فى الحديث الشريف الذى أخرجه البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة جزاء إلا الجنة » .

روعة التصوير الأدبى فى بلاغة النهى عن كثرة السؤال والتشدد والتنطع كما فى الحديث الشريف : « إن الدين يسر ، فلن يشاد الدين أحد

إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة » وفي آخر : هلك المتنطعون » ، وذلك في صور بليغة ؛ فبلاغة الصورة الأولى في إيجازها وعمق معانيها وسمو قيمها في قوله : « ذروني ما تركتم » ، تحث الناس على عدم إثارة الأسئلة والتنطع فيها : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم » ، وعليهم أن يذروه مع ربه مادام الوحي لم ينزل بشئ ، حتى لا ينزل بأمر لا يطيقونه .

والصورة البليغة *الثانية* تصور أسباب التشدد في الديانات للرسل السابقين ، مثل تشدد اليهود مع موسى عليه السلام في ذبح البقرة ، حتى عزت عليهم فقال : « إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم » والصورة الثالثة تعبر عن تعليم الصحابة رضي الله عنهم الأسلوب الأمثل في تعلم الشريعة في قوله : « فإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه » ؛ فعبر بإذا مرتين عن ذلك ، لإفادة الجزم واليقين ، وعن طريق الأمر والنهي من قبل الله عز وجل ورسوله ، لا عن طريق كثرة السؤال والاختلاف ، بل عن طريق أداء هذه الأوامر على قدر استطاعتهم ، فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، وعن طريق النهي عنها ، فيتركونه بلا مناقشة أو تأويل أو جدال ، فربما يؤدي ذلك إلى نزول وحي قد يضاعف التكليف فوق طاقتهم .

القيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف :

١ - بالإضافة إلى ما ذكر في التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في هذا الحديث الشريف نذكر ما يلي :

٢ - كتب الله عز وجل على المسلمين فريضة الحج ركنا من أركان الإسلام مرة واحدة في العمر .

٣ - كراهية الرسول ﷺ للسؤال عن أمر لم يذكره ، بل يجب عدم إثارة الأسئلة بلا داع ويلتزم بما أمر الله تعالى ورسوله .

٤ - كراهة كثرة السؤال فيما لم يذكر قبل ذلك .

٥ - رحمة النبى ﷺ لأمته والتخفيف عليهم والتيسير لهم .

٦ - اتباع ما أمر به على قدر الطاقة واجتناب ما نهى عنه على سبيل الجزم .

الوقوف بعرفة

أخرج ابن حبان وابن خزيمة والبزاز ويعلى عن جابر رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : « ما من أيام عند الله أفضل عند من عشر ذى الحجة فقال رجل : هن أفضل من عدتهن جهاداً فى سبيل الله ، قال : هن أفضل من عدتهن جهادا فى سبيل الله ، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفه ينزل الله تبارك تعالى إلى السماء الدنيا ، فيباهى بأهل الأرض أهل السماء فيقول: انظروا إلى عبادى جاءونى شعثا غبرا ضاحين ، جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتى ، ولم يروا عذابى ، فلم ير أكثر عتيقا من النار من يوم عرفه » .

بلاغة التعبير بالأفضلية فى الحديث الشريف فى قوله ﷺ : « ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذى الحجة » ، بما فيها يوم عرفه ، فهى عند الله من الجهاد فى سبيل الله لأنها من أفضل أيام السنة ، وبلغ التصوير الفنى قمته حين اقتصرت على المفاضلة بين أيام السنة لا بين شهورها ، لأن رمضان أفضل شهورها على الإطلاق ، ثم ما أروع التقييد بالتنصيص على لفظ الجلالة « عند الله » الكريم ذى الفضل العظيم ، والله لا يخلف الميعاد ، ثم تأكدت الأفضلية بتفضيل يوم عرفة على بقية العشر ، فى صور بلاغية أخرى فى قوله : « وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفه » لأن من فاته

الوقوف بعرفة فى اليوم التاسع وليلة العاشر ؛ فقد فاته الحج ، للأحاديث الشريفة :« الحج عرفه » ، « من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك » ووضح الحديث الشريف أسباب الأفضلية : « ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيباهى بأهل الأرض أهل السماء ، فيقول : انظروا إلى عبادى، جاءونى شعثا غبرا ضاحين ، جاءوا من كل فج عميق ، يرجون رحمتى ، ولم يروا عذابى فلم ير أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة » .

بلاغة التصوير الفنى فى التعبير عن مباهاة الله بالحجيج فى يوم عرفه بصورة فنية بلغت القمة فى بلاغة الأسلوب النبوى الشريف ، فعبر عن قرب الله عز وجل ، وسرعة استجابته لهم ، وقبول مناسك الحج ومشاعره، مع أنه موجود فى كل الوجود ، بنزوله إلى السماء الدنيا ؛ فيباهى بهم الملائكة وغيرهم من العوالم الأخرى ﴿ وإن من شئ إلا يسبح بحمده ﴾ معجبا بعباده وهو يقول : « انظروا إلى عبادى » بإضافة عبوديتهم إليه ، وهو أعظم تشريف للحجيج فقد رضى عنهم ، وكذلك بلاغة التصوير الفنى بالكناية عن اشتغالهم بمشاعر الحج صادقين فى إتقان مناسكهم مخلصين ، غير مهتمين بمظاهر الحياة والتفاخر بمتاع الحياة الدنيا ، حتى طالت شعورهم وأظافرهم ، واغبرت بالتراب والعرق أبدانهم وملابس إحرامهم ، فلا يؤبه لهم وقد ضحوا فى ذلك بأوطانهم وأهليهم وأصدقائهم، ومضحين بدماء النسك ، وذبائح الهدى والأضحية كما فى الحديث الشريف : « جاءونى شعثا غبرا ضاحين » ، وكذلك بلاغة التصوير لقدوم الحجيج من كل حدب وصوب على سبيل الكناية المعجزة ، التى اقتبسها النبى ﷺ من التصوير القرآنى المعجز فى سورة الحج : ﴿ وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ ، وليس من كل فج بعيد ، لأن العمق يدل على كروية الأرض حيث تكون

الكعبة فى وسط الأرض وأعلاها وهى القمة ، وما حولها من جميع الجهات دونها ومنخفض عنها فى عمق رأسي ، لا بعد أفقي ، ويظهر انسجام بلاغته مع بلاغة القرآن ، واتساقه مع فطرته التى فطره الله عليها ، فحينما تعجب الصحابة من بلاغته فرد عليهم قائلا : « وما يمنعنى ، وإنما أنزل القرآن علىّ بلسان عربى مبين » .

التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير عن شدة عقاب الله عز وجل وشدة عذابه ، مع تقديم رحمته التى وسعت كل شئ ، فى قوله ﷺ : « يرجون رحمتى ولم يروا عذابى » ، فقدم الرحمة على العذاب ، مما جعل الحجيج يستحقون المغفرة والرضوان من الله عز وجل ، قال أنس بن مالك رضى الله عنه : وقف النبى ﷺ بعرفات وقد كادت الشمس أن تثوب ، فقال يا بلال أنصت لى الناس ، فقام بلال فقال : أنصتوا لرسول الله ﷺ ، فأنصت الناس فقال : يا معشر الناس أتانى جبريل عليه السلام آنفا ، فأقرأنى من ربى السلام وقال : إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات ، وأهل المشعر الحرام ، وضمن عنهم التبعات ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا رسول الله : هذه لنا خاصة ، قال : هذا لكم ولمن أتى بعدكم إلى يوم القيامة ، فقال عمر : رضى الله عنه ، كثر خير الله وطاب » .

وعبر مع الرحمة بالرجاء ، وهو حاصل ومتوقع من الرحمن الرحيم وسعت رحمته كل شئ ، وعبر مع العذاب بعدم الرؤية « ولم يروا عذابى » للدلالة على رفع العذاب عن الحجيج ، وأن الله لا يرضى لعباده الكفر ولا العذاب ، فهو منفى عنهم « بلم » الجازمة ، وأن المغفرة والرحمة وجبت لهم كما ورد فى الأحاديث الشريفة : « والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » ، « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » ، « ما رئى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة » .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم الخلقية والتشريعية فى هذا الحديث الشريف نذكر ما يلى :

٢ - فضل العشر الأوائل من أيام ذى الحجة على أيام السنة ، لا على الشهور إلا يوم عرفة فهو أفضلها جميعا وعلى مثلها فى الجهاد .

٣ - يكثر عتق الرقاب من النار فى يوم عرفة ، ويباهى الله تعالى ملائكته فى السماء بذلك ، وكذلك أهل الأرض .

٤ - الترغيب فى الإقبال على الأعمال الصالحات والخيرات صياما وقياما وطاعة وأمرا بالمعروف ، ونهيا عن المنكر ، وصدقة وغيرها فى هذه العشر .

قضاء الحج

أخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبى ﷺ فقالت : إن أمى نذرت أن تحج ، ولم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال : نعم ، حجى عنها ، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله ؛ فالله أحق بالوفاء » .

بلاغة التصوير الأدبى فى الإجابة عن السؤال ، التى اتسمت بلاغته بالإيجاز ، والذى قل لفظه ، وبلغ الغاية فى معناه ، بحيث لا يبقى منه بقية ، فكانت الإجابة فى صورتين بليغتين الأولى فى قوله : نعم ، تدل على وجوب الفريضة بالإيجاز الحاسم على نحو يراد منها : فقد وجب الحج على أمك التى نذرت على نفسها الحج بنذرها ، والصورة البلاغية الثانية جاءت أيضا فى صورة الإيجاز الحاسم على سبيل الأمر للمرأة السائلة ؛ بأن تحج عن أمها ، بحيث إذا لم تفعل تعد آثمة ، ما دامت قد تحققت شروط

الاستطاعة المشروعة ، وذلك فى الأمر الذى يدل على الوجوب « حجى عنها » أى حجى أنت عن أمك ، ولقد أضفى الحوار القصصى بين الراوى وامرأة من جهينة التى وجهت السؤال وتلقت الإجابة ، والنبى ﷺ الشخصية الرئيسة فى الحوار ، أضفى ذلك على التصوير الأدبى الحيوية والحركة والجدة والتشويق مما يؤدى إلى مشاركة المتلقى الإيجابية فى هذا الحوار القوى المثير .

روعة التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير عن صورة محسة من الواقع فى قوله : « أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ » تستنطق السائلة وتقتنع بها ؛ لأن الدين لابد من أدائه فى الواقع على سبيل الوجوب ، دون تقصير فى أدائه كاملا غير منقوص ، وعند حلول الأجل بلا تسويف أو تأخير ، وذلك من خلال صورتين ، الأولى تقوم على الاستفهام بالألف مرتين « أرأيت - أكنت » فهو يفيد غايتين : الاستفهام الإنكارى على السائلة ، فكيف تنكر ذلك وهو أمر واضح مألوف لا يخفى على أحد فى معاملة الناس ، ولا يختلف مع الواقع المتعارف عليه ، والغاية الثانية فى الاستفهام التقريرى ، لأن قضاء الدين أمر مقرر وحقيقى ، قررته العقول والفطرة المستقيمة ، وقضت به الأحكام فى المرافعات والقضايا ، والصورة البليغة الثانية فى التعبير بحرف « لو » ، الذى يدل على عدم تحقق الجواب لعدم تحقق الوقوع بمعنى النفى ، لكن بلاغة الرسول ﷺ ، استخدمها على النقيض من معناها المتعارف عليها ، وخاصة وهى تفتح باب الشيطان ؛ فصارت « لو » تدل على الإيجاب وتحقق الوقوع ، لتسلط الاستفهام الإنكارى عليها ، لأن نفى النفى إثبات ، فكان المراد نفى إنكار قضاء الدين، لأن الدين يجب قضاؤه ، قال تعالى فى أداء الدين قبل توزيع التركة: ﴿ من بعد وصية توصون بها أو دين ﴾ .

التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير بأحقية الله تعالى بوجوب القضاء له ؛ لأن الله تعالى هو الخالق المبدع ، والرازق المعطى ، إليه يرجع كل شئ وله كل شئ ، وذلك فى قوله : « اقضوا الله فالله أحق بالقضاء » ؛ فجاء القضاء بصيغة الأمر الجازم على سبيل الوجوب والإلزام مخاطبا جميع المسلمين بواو الجماعة ، لا المرأة السائلة فحسب ، ليكون تشريعا عاما لا خاصا بها فقد روى ابن ماجه وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول لبيك عن شبرمة » فقال : أحججت عن نفسك ؟ قال : لا ، قال : فحج عن نفسك ، ثم حج عن شبرمة » هذه هى الصورة الأولى .

وأما الصورة الثانية جاءت بالتصريح بذكر لفظ الجلالة الله عز وجل لإفادة أمرين جليلين أولهما : المهابة من الله عز وجل والخشية من ذاته العلية ، والتقديس لجلالته بالألوهية والربوبية فيعبده حق عبادته ، ويلبى أوامره طاعة وخشوعاً : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ ، ﴿ ولا يخشون أحدا إلا الله ﴾ ، وثانيهما : الخوف من عقابه ، وتوقى عذابه ، فالله شديد العقاب ، وتلك حدود الله : ﴿ ومن يتعد حدود حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾ ، ﴿ تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾ لمن نذر أن يحج ومات لم يحج ، أما أداء فريضة الحج ، التى وجبت على المستطيع فى حياته ؛ فالأداء أولى ، وتجب على الورثة فى تركته ، وإن لم يوص ، لأنها دين الله عز وجل ، أخرج الجماعة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة من خثعم قالت يا رسول الله إن فريضة الله على عباده فى الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه ، قال نعم » .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - بالإضافة إلى ما سبق من القيم فى التصوير النبوى الشريف ، نذكر ما يلى :

٢ - وجوب أداء النذر ولو بعد الموت ؛ فهو على الوريث .

٣ - يصح أداء الحج عن الميت ، الذى لم يؤد الفريضة ؛ فتسقط عنه ، وينال ثوابها الجزيل ، فهو حج مبرور .

٤ - قضاء الدين واجب الأداء ، ولا يرفع عنه عذابه إلا بعفو الدائن عن المدين .

٥ - دين الله عز وجل فى العبادات وغيرها أحق بالأداء لأنه الخالق المبدع المتفضل .

٦ - إن الإسلام كرم المرأة ، ورفع مكانتها ، وأعلى من شأنها ، بما لا يقل عن شأن الرجل .

من خطبة الوداع

وقف النبى ﷺ يخطب بين الحجيج فى حجة الوداع ؛ فبعد أن حمد الله وأثنى عليه وعلى رسوله ﷺ قال :

أما بعد فيا أيها الناس ، اسمعوا منى أبين لكم ؛ فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا ، أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد » .

بلاغة الخطبة من بلاغة القرآن الكريم : فقد صدرت عن أفصح العربية قاطبة ، انتهت إليه قمة البلاغة بنزوله عليه ، وقراءته على مكث ، وهو المثل الأعلى فى البلاغة ، معجز فى تصويره القرآنى ، وفى تشريعه وأخباره وقصصه ، خصه ربه بالوحى ، يستعجل قراءته لشغفه بسحره ،

وانسجامه مع بلاغته ، واتساقه مع فطرته ، فينهاه ربه عن العجلة ، لأن القرآن الكريم موصول بقلبه إيمانا وحفظا ، قال تعالى : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه ﴾ .

لهذا لا ينفك أسلوب صفى الله وخليله فى هذه الخطبة عن روح القرآن الكريم ، وبلاغته فى لفظ عذب رقيق جزل ، واتساق نظم فى أحسن موقع ، وسلاسة فحوى وسهولة مخرج ، فى أسلوب صاف سهل ممتنع ، يحفل بالحكم البديعة والمعانى الغزيرة ، التى لا تصدر إلا عن نفس شريفة عزيزة ، حازت شرف القرآن ، وعزت بخطاب الله عز وجل ؛ لذلك تعجب منه أصحابه قائلين : ما وجدنا أفصح منك ، قال : وما يمنعنى وإنما أنزل القرآن علىَّ بلسان عربى مبين ، وأنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ، ونشأت فى بنى سعد .

لذلك تجد فى هذه الخطبة منهج القرآن الكريم ، وروحه وقيمه والخلقية ، فمعانيه شريفة وأخلاقه سامية فى أسلوب عفيف بليغ ، وعبارات رشيقة سامية ، وتصوير أدبى أخاذ بالقلوب ، تتفتح له منافذ التلقى فى الإنسان انبهارا وخضوعا واقتناعا ؛ لأنه أوتى جوامع الكلم .

بلاغة الأسلوب فى التعبير الإنشائى عن القيم الخلقية فى هذه الفقرة، فقد خاطب بالأسلوب الإنشائى المتنوع المتلقى خطاباً مباشراً ، يثير انتباهه ويحرك عواطفه ويستثيره ، فيتلقاه عن إيمان صادق وعاطفة حارة ، ووجدان حى متيقظ ، وعقل مفتوح مستوعب ، فقد جمع بين النداء المقرون بأداة التنبيه فقال : « يا أيها الناس » مرات ، مرة فى صدر الفقرة ، ومرة أخرى فى وسطها « بالياء » لتأكيد الصورة البلاغية ، وفى نهايتها

كان النداء بالهمزة مقرونا بلا « ألا هل بلغت » ؛ ليجمع بين النداء والحث على العمل بما يقول ، ثم ختمها بالنداء الجليل بمخاطبة الله عز وجل على سبيل الدعاء ، والإقرار بما يجب على النبى ﷺ نحو أمته الإسلامية . فختمها بقوله : «اللهم اشهد» ، ومن أساليب الإنشاء أيضا الأمر فى قوله : « اسمعوا » ؛ ليثير به المستمع ، فتتفتح فيه منافذ الإدراك من العاطفة والوجدان والمشاعر والخواطر ، وخاطبهم بصيغة الأمر ، للدلالة على وجوب السماع والعمل بما يسمعون ، ليتحول الأمر إلى منهج وسلوك ، فلا تسفك الدماء ولا تنتهك الأعراض ، ولا يعتدى على الحقوق بالباطل ظلما وغصبا ؛ ليسود الحق والعدل والخير والأمن والحب ، ثم ينتقل إلى الترجى فى قوله : « لعلى لا ألقاكم » ، فى أسلوب لا يدل على طمع فى استبقاء حياته وحرصٍ عليها ؛ فهو يحتمل اللقاء وعدمه ؛ لأنه ربط الرجاء بعدم اللقاء ، فعبرت الصورة الفنية عن رؤية الغيب بنور البصيرة ، حتى شعر الصحابة رضى الله عنهم أيضا برحيله ؛ فبكوا وأطلقوا عليها : « خطبة الوداع » .

بلاغة الأسلوب فى التعبير الخبرى عن القيم الخلقية على سبيل التقرير والثبات ، فاستخدم الحديث الشريف عناصره ، التى تقرر الحفاظ على الدين والنفس والعرض والمال على سبيل الوجوب والثبات ، والتنفيذ والسلوك الإسلامى القويم ؛ فجاء بموكدات كثيرة « إن - أبين لكم - فإنى لا أدرى » ، ثم التأكيد بالواقع المحس دليلا دامغا ، لا يقبل الجدل ، فى «يومكم هذا فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا » ، مع التأكيد على التعظيم فى اسم الإشارة ، التى تكرر تأكيدا لتعظيم التقرير لهذه التشريعات المحرمة ، مثل حرمة هذا اليوم والشهر والبلد الحرام فى صورة فنية تقوم على التشبيع البليغ ، مستمدا عناصره من الواقع المحس ، والمشاهد الحية النافذة امتاعاً

وتأثيرا وإقناعا ، فهذا يوم عظيم الحرمة ، وشهر عظيم الحرمة ، وبلد عظيم الحرمة ، وازداد تعظيما وتحريما وتقديسا بإضافتها إلى المخاطبين ، وهو يخاطبهم ويحرك مشاعرهم فى « يومكم وشهركم وبلدكم » ؛ ليحث المسلمين على تقديسها والحفاظ عليها ، وأداء مناسكها والعمل بها والدفاع عنها ، لأنه دفاع وحماية للعقيدة والنفس والحقوق وأوطان الأمة الإسلامية ﷺ .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى الشريف نذكر ما يلى :

٢ - مشروعية خطبة يوم عرفه للحجيج للوعظ والتذكير والتوجيه ، وذكر المناسك والشكر لله عز وجل على مننه الكثيرة ، وأعظمها فى ذلك اليوم مشهد يوم عرفه .

٣ - تهيئة نفوس المسلمين إلى تمام شريعة الإسلام ، ونهاية الوحى ، والتحاقه بالرفيق ، حتى لا تأخذهم المفاجأة بتركهم .

٤ - فظاعة سفك دماء المسلمين ، والعدوان عليهم وظلمهم ، وأكل أموالهم بالباطل .

٥ - حرمة يوم عرفة ، وأشهر الحج ، والبلد الحرام مكة المكرمة ، وعظيم على منزلتها عند الله عز وجل والثواب الجزيل للعبادة فيها .

٦ - إشهاد الناس جميعا والمشاعر والمناسك ويوم عرفة ومواقيت الحج والبلد الحرام على تبليغهم شريعة الإسلام .

أربع أعجبننى

أخرج البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وقد غزا مع النبى ﷺ ثنتى عشرة غزوة قال : أربع سمعتهن من رسول الله ﷺ فأعجبننى

وآنفنني : ألا تسافر امرأة مسيرة يومين ليس معها زوجها أو ذو محرم ، ولا صوم يومين : الفطر والأضحى ، ولا صلاة بعد صلاتين ، بعد العصر حتى تغرب الشمس ، وبعد الصبح حتى تطلع الشمس ، ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام ، ومسجدى ، ومسجد الأقصى » .

التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير بأسلوب القصر والتأكيد ، للدلالة على عظيم الحظر لها ، ولا يصح التجاوز إلى غيرها مطلقا ، وذلك فى صورتين بليغتين ، الأولى فى قوله : « ألا تسافر امرأة مسيرة شهر ليس معها زوجها أو ذو محرم » ، فقد اتخذ الحديث الشريف أسلوب القصر والحصر ، لا يتجاوز إلى غيره ، حين قصر على الزوج وذى المحارم فقط المرافقة للزوجة فى سفرها ، فلا يتجاوزه إلى الأجانب الذين تحل لهم زواجها ، لما فى ذلك من خطر شديد على المرأة المسافرة سفرا بعيدا يستغرق يومين ، حتى لا يخدش شرفها ولا يهدر دمها ، لضعفها وقلة حيلتها ، لأنها موطن الفتنة والطمع ، فكان الإسلام حريصا عليها فى الحفاظ على نفسها وعرضها ومالها ، وكذلك أسلوب القصر فى السفر إلى المساجد الثلاثة : المسجد الحرام والمسجد النبوى والمسجد الأقصى ، فقد اقتصر إنشاء السفر والرحلة عليها فقط ، فلا يصح تخصيص السفر لغيرها ، للدلالة على عظيم حرمتها وسمو منزلتها عند الله ، وعظيم الأجر والثواب ، فجاء أسلوب القصر والتأكيد فى قوله : « ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد « مسجد الحرام ومسجدى ومسجد الأقصى » .

التصوير الأدبى فى بلاغة الأسلوب النبوى الشريف ، الذى يعتمد على عناصر بلاغته الجميلة ، منها تسليط النفى على النكرة وهى صيام ، مضافة ليومى الفطر والأضحى ، تخصيصا للدلالة على تحريم الصوم فى عيدى الفطر والأضحى ، فقد هيأهما الله تعالى يتمتعون فيهما ، وهم

فرحين مبتهجين بالأكل والشرب والمرح ، بعد صيام شهر كامل فى عيد الفطر ، ويتمتعون أيضا بعد فريضة الحج المقدسة بالأطعمة الفاخرة والنسك من الأضاحى فى عيد الأضحى ، وكذلك التعبير بتسليط النفى على النكرة المقيدة بصلاة الصبح والعصر فقط ، حتى الشروق والغروب ؛ فلا توجد هنا صلاة مشروعة ، فكان المراد صلاة النافلة والتطوع التى ينشؤها المتطوع من عنده ، وذلك لمخالفة الكفار الذين يسجدون للشمس وقت الشروق والغروب صباحا ومساء، لإخلاص العبادة والتقديس لله وحده لا شريك له .

التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير عن المساجد الثلاثة ، التى تشد إليها الرحال سفرا وتعظيما لها ، ولا يصح ذلك لغيرها ، سواء أكانت مساجد أو غيرها على وجه التقديس والعبادة ، كما جاء فى الحديث الشريف : « لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام ومسجدى هذا ومسجد الأقصى » ؛ فقد جاء التفصيل بعد الإجمال فى ثلاثة ، وأخذ يفضلها يذكر أسمائها وبترتيبها على قدر مكانتها عند الله تعالى وعند المسلمين ، وعلى فظاعة حرمتها ، وسمو منزلتها ، وعظيم ثواب الطاعة والعمل والعبادة فيها ، فالصلاة فى المسجد النبوى بألف صلاة كما فى الحديث الشريف : « صلاةٌ فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » ، والصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة كما فى الحديث الشريف : « وصلاةٌ فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى هذا» أى المسجد النبوى ، وصلاة فى المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة كما فى الحديث الشريف : « والصلاة فى المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة » ، وتأمل بلاغة إضافة المسجد إلى الحرام ، فهى تعظيم لحرمته وتقديس لمكانته : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » ، ثم بلاغة إضافة مسجد إلى النبى ﷺ فى « مسجدى » ، وجاءت إضافة

المسجد إلى الأقصى متأخرة ، لأن فى تشريفه وتعظيمه بعد هذين المسجدين العظيمين منزلة وتعظيما ، وفى هذا تصريح واضح بالحفاظ على هذه المساجد المحرمة على أهل الضلال والكفر ، فيجب الحفاظ عليها والدفاع عنها والجهاد فى سبيلها ، وتطهير المسجد الأقصى من رجس اليهود وغدرهم وتحريره من قتلة الأنبياء وغلاظ القلوب والأكباد ، فهم لا يرعون فى الله إلا ولا ذمة .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - تحريم سفر المرأة سفرا طويلا بدون محرم سواء زوجها أو ذو محرم .

٢ - تحريم صوم يومى عيد الفطر وعيد الأضحى وأيام التشريق الثلاثة .

٣ - النهى عن صلاة النافلة والتطوع بعد صلاة العصر حتى الغروب وبعد صلاة الصبح حتى شروق الشمس وارتفاعها قدر رمح .

٤ - فضل المساجد الثلاثة على غيرها .

٥ - حرمة الزيارة لغيرها من المساجد الأخرى قصدا للزيارة .

٦ - تفضيل بعض الأمكنة بعضها على بعض كالشأن فى بعض الأزمنة مثل ليلة القدر وعيدى الفطر والأضحى ويوم عرفة والعشر الأواخر من رمضان والأوائل من ذى الحجة وليلة النصف من شعبان وشهر رمضان.

٧ - حث المسلمين على الصلاة فى المساجد الثلاثة لكى يحافظوا عليها ويدفعوا أعداء الإسلام عنها .

٨ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

الحج من المال الطيب لا الخبيث

أخرج أحمد والطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : إذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة ، ووضع رجله فى الغرز ، فنادى :

لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك ، زادك حلال وراحلتك حلال ، وحجك مبرور غير مأزور ، وإذا خرج بالنفقة الخبيثة ، فوضع رجله في الغرز ، فنادى لبيك ، ناداه مناد من السماء ، لا لبيك ولا سعديك ، زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مأجور » .

التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير عن الحج المبرور غير المأزور ، وذلك فى الصورة الكلية الأولى ، فقد كانت ثرية بالعناصر البليغة ، والتى نبعت من الواقع المحس ، فى قصة مثيرة للعواطف الإنسانية ، التى يعمر بها الوجدان الحى بالإيمان الصادق ، والإخلاص فى العمل ابتغاء مرضاة الله عز وجل ، فالحاج بهذه الصفة يجاهد فى إعداد نفقات الحج وزاده وراحلته من سعى حلال ، ومصدر طيب ، فإن : « الله طيب لا يقبل إلا طيبا » حديث شريف ، ويمضى فى طريقه الآمن ، حتى يؤدى مشاعر الحج المقدسة الطاهرة، يردد التلبية وهو محرم ، فتتفتح له أبواب السماوات بالرحمة والرضوان ، من كل من فيها وما فيها بالدعاء له ، والنداء ملبين معه ، مبشرين له بالقبول والسعد ، قائلين له : زادك حلال وراحلتك حلال ، وحجك مبرور لا مأزور ، كل ذلك تدل عليه عناصر التصوير البليغ ، الذى عبر عن وصفه « بالحاج » ووصف عبادته ونسكه بكونه حاجا ، ووصف نفقاته وراحلته بالطيب لا الخبيث ، ثم تصوير التلبية كاملة هنا « لبيك اللهم لبيك » ، وقبولها بترديدها واقترانها « بالسعد » والرضا ، ووصف الزاد والراحلة بالحلال ، وتقرير الجائزة الكبرى : « حجك مبرور غير مأزور» ، إنها قيم خلقية وتشريعية سامية ، ترغب عباد الله عز وجل فى نيل هذا الشرف العظيم للحصول على أعلى جائزة من أكرم الأكرمين ، قال تعالى : ﴿ وبشر المحسنين ﴾ ، ﴿ فإذا قضيتم مناسكم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا .. إلى قوله تعالى : أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ﴾ .

. **التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير عن الحج المأزور غير المأجور .**
وذلك فى الصورة الكلية المقابلة للصورة الأولى ، فى إيقاع موسيقى ناشز تنفر منه الأذواق والآذان ، غنية بالعناصر الفنية البليغة ، التى تثير الاشمئزاز فى النفس ، وينفر منها الوجدان العامر بالإيمان بالله الخالص .
فكل عنصر هنا يدل على النقيض من الصورة الأولى ؛ فقد أُخْفِىَ الفاعل وأُضْمِرَ ذكره صراحة ، وكذلك صفته وهى « الحاج وحاجا » كما فى الصورة الأولى ؛ لأنه هنا لا يستحق الذكر تحقيرا له وإنكارا لصنيعه لنفقته وسعيه للحج ، فقال : « إذا خرج » ، بلا ذكر لذاته ولا لصفته ، ثم صور هنا النفقة والزاد والراحلة بالخبيث والحرام ترهيبا وتنفيرا ، فهو يقابل الطيب الحلال هناك ترغيبا وتبشيرا ، ثم جاءت صفة التلبية هنا غير كاملة لمجرد الرمز فقط ، مجردة من شرف النداء ولفظ الجلالة ، ومن شرف تكرارها ولذتها الروحية « لبيك » فقط ، لأنه لا يستحق شرف طهارة النسك وسموه ، كما لا يستحق ثوابه الجزيل ، ومكافأته الكبرى ، ثم تصوير الدعاء عليه لا له : بأن الله تعالى لم يجب حجته إجابة بعد إجابة ، بل رفضها رفضا بعد رفض ؛ فهو لا يستحق الرحمة والرضوان فى قوله : «لا لبيك ولا سعديك» ، ثم صورة النقيض فى الزاد والنفقة ، فزاده حرام ونفقته حرام ، ثم تصوير إعلان القرار الحاسم والنتيجة الحتمية للمقدمات السابقة فى نهاية التصوير الأدبى الرائع : « وحجك مأزور غير مأجور » فى إيقاع متوازن بين الصورتين ، ونسق موسيقى ناشز فى أصوات الحروف والكلمات ، تتناقض آلاته وأوتاره ، لتعزف لحنين متنافرين فى لوحتين فنيتين متعارضتين ، تحمل كل منهما قيما فنية جميلة ومثيرة ، تثير فى النفس عاطفة قوية متدفقة ، تقبل على اللوحة الأولى حبا وعشقا ورغبة ومنهجا وسلوكا قويما ، وتشمئز من الثانية نكرانا ونفورا وخوفا ورهبة .

لتقيم على أنقاضها منهجا وسلوكا قويما ، وما أعظم إعجاز القرآن حين يصورهما معا فى قوله تعالى : ﴿ فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق ، ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب والله سريع الحساب ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه . . إلى قوله تعالى : إنها من تقوى القلوب ﴾ .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - نفقات الحج من الزاد ووسائل السفر المختلفة والإقامة ، أن تكون مالاً حلالا طيبا ، لا حراما خبيثا أو فيه شبهة .

٢ - من مناسك الحج ومفاتيحها : « **لبيك اللهم لبيك** . . » .

٣ - مؤنة الحج الحلال ونفقاته الطيبة تجعله حجا مبرور مقبولا غير مأزور .

٤ - نفقات الحج الحرام ومؤنته الخبيثة لا تتفتح له أبواب ؛ فترتد عليه المناسك غير مقبولٍ وتجعله مأزوراً غير مقبول ولا مأجور .

٥ - يحث الإسلام على الكسب الطيب والمال الحلال ؛ فهو يطيب البدن والعمل ، ويجلب الأجر والثواب .

٦ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

الفصل الرابـــع

حسن المعاملة

الحـلال والحـرام والشبهـات

أخرج البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى عن أبى عبد الله النعمان بين بشير ، رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الحلال بيّن والحرام بيّن ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن فى الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب [١] » .

التصوير الأدبى والبلاغى للحلال والحرام والشبهات بالتعبير البليغ عن التميز بين الثلاثة ، ترغيبا فى الحلال ، وتحذيرا وترهيبا من الحرام والشبهات ، وذلك فى أروع صورة أدبية ، بلغت القمة فى البلاغة البشرية ، حتى صارت من جوامع الكلم ، التى اختص بها خاتم النبيين ، فأعمال المسلم وأقواله لا تتجاوز ثلاثة محاور ، حلال واضح يؤدى ، وحرام واضح منهى عنه ومشتبه فيه بين بين ، أى بين الحلال والحرام ، لا يدرى الإنسان هل هو حلال ؟ فيؤدى أو حرام فيتقى ؛ فالأفضل فيه ، أن يتقى حذرا من أن

---

١ - من معانى الكلمات فى الحديث الشريف : الشبهات والمشتبهات : تشابه بعض الأشياء لبعض اتقى الشئ : تحفظ منه وحذر منه حتى يتجنب عذابه ، استبرأ : حصل على البراءة ، العرض : موضع الذم من الإنسان ، الحمى : ما يحميه الإنسان ويدافع عنه ، يرتع : ترعى الماشية كيف شاءت فى خصب وسعة ، محارم : الحرمة التى لا يحل هتكها ، مضغة : القطعة من اللحمة بمقدار ما يمضغ وهى القلب وهو ما به الحياة فى الجسم .

يغريه من الوقوع فى الحرام ، فأخرجه فى صورة أدبية بليغة استمد عناصرها من الواقع ، وروافدها من البيئة التى يخالطها الإنسان ويعرفها الناس ، فالراعى الذى يرعى غنمه فى مرعى قريب من حقل خصيب ، يحميه صاحبه ويحافظ عليه ، فلا يأمن منه على غنمه ، مهما كان حذرا وشديد الحراسة ، أن تتسلل للحقل المحمى ، فترعى منه ، وتعرضه للمؤاخذة والعقاب ، لذلك كان من الأفضل له ، أن يختار له مرعى بعيدا عن هذا الحقل والحمى ، وكذلك المسلم ، ينبغى أن يبتعد عن الشبهات فى القول أو الفعل ، حتى لا ينتهى الأمر به إلى التردى فى الحرام ، فيهلك ، واتخذ الحديث الشريف هذه الصور البليغة :

أولا : التأكيد بإنَّ المؤكدة فى أمر الحلال وأمر الحلال فقال : إن الحلال والحرام بين ، وتأكيد ثان فى الإخبار عنهما باختيار لفظ بيّن من البيان وهو البلاغة ، وتأكيد ثالث بالشدة على الياء فى « بيّن » ليزداد المعنى ثراء ، وهو أبلغ من التعبير بالوضوح ، إذا قيل الحلال واضح فقد آثر القرآن البيان فى قوله : ﴿ الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ﴾ ، ﴿ بلسان عربى مبين ﴾ ، ثم تأكيد رابع فى التكرار لكلمة بيّن ، ليقوى الترغيب ويزداد الإقبال .

ثانيا : تصوير الابتعاد عن الشبهات بالتقوى ، وهى الغاية من الأيمان وأعلى مراتبه ، وبالبراءة فى « استبرأ » وهى الطهر والعفاف ، والنجاة والفوز العظيم ، والشرف العزيز الغالى ، والأصالة والعراقة ؛ لأن العرب تكنى عن براءة العرض بالشرف وعراقة النسب الأصيل .

ثالثا : تصوير المتقى للشبهات بالراعى فى تشبيه تمثيلى بليغ فهى وإن استعملت فى رعى الماشية والأغنام ؛ إلا أنها تحمل معنى المسئولية والحاكم والقائم على أمور الناس والأحياء ؛ مصداقا للحديث الشريف

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ، مما يدل على خطورة الشبهات واهتمام الإسلام بها ، فالنار من مستصغر الشرر ، واستمد روافد التشبيه التمثيلي وعناصره ، مما يألفه الإنسان فى حياته اليومية فى الحقل والمرعى والحمى والأنعام والخير والانتفاع ، ليستقر المعنى فى النفس ، ويكون كالدليل الواقعى والحسى من المحسوسات ، وهى أقوى من الدليل العقلى والفكرى .

رابعا : ينتهى الحديث الشريف بالقول الفصل والقرار الختامى والنهائى ، حين يتناول فى صور أدبية بليغة ، ذلك بالتعبير البلاغى عن مصدر الحلال والحرام والشبهة الرئيسة ، وهو القلب ، فإليه يرجع الأمر كله ، إن صلح القلب صلح سائر العمل ، وإن فسد القلب فسد سائر العمل ، فى قوله : ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » لأنه هو موطن الإيمان الحق من التصديق واليقين والإخلاص ، والأمن والأمان والعقيدة والاعتقاد ، فهو الذى يدير حركة الإنسان كله فى أقواله وأفعاله ، قال تعالى : ﴿ لهم قلوب لا يعقلون بها ولهم آذان لا يسمعون أولئك كالأنعام بل هم أضل ﴾ ، ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ ، سأل النواس بن سمعان النبى ﷺ عن البر والإثم فقال : « البر حسن الخلق والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » ، وما فى الصدر هو القلب » .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - بين الإسلام الحلال والحرام بيانا شافيا وصريحا ، لا يحتاج إلى تأويل ؛ لأن الحلال تقبله النفس ، والحرام تأباه وتنفر منه .

٢ - أما الشبهات فالحكم فيه غير واضح ، لا يدرى الإنسان هل هو حلال أم حرام .

٣ - حث الإسلام على الترغيب والترهيب من الحرام ، واتقاء الشبهات حتى لا تكون مزلقا ومنحدرا للوقوع فى الحرام والمحذور .

٤ - جواز ضرب الأمثال لتوضيح الأحكام وتجسيدها ، حتى تستقر فى النفوس والقلوب ، وتعيها العقول بالدليل الحسى .

٥ - القلب فى الإنسان هو الفيصل بين الصلاح والفساد له ، إن صلح القلب استقام صاحبه ، وإن فسد أضل صاحبه .

٦ - القلب موطن الصدق والإخلاص واليقين ، يرشد العقل ويهديه إلى الصواب ، لأن العقل وحده قد يضل أو يجهل ، حين لا يصلح القلب ، بل يفسد ؛ فيضل الإنسان ، ولا يهتدى .

٧ - بالإضافة إلى ما ذكر فى التصوير النبوى للحديث الشريف .

سفينة النجاة فى الدنيا والآخرة

أخرج البخارى وأحمد والترمذى عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلُ القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ؛ فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذى فى أسفلها إذا استقوا من الماء ، مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أننا خرقنا فى نصيبنا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا ؛ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ، ونجوا جميعا » .

روعة التصوير الفنى فى هذا الحديث الشريف ؛ لأنه اتخذ أسلوبا قصصيا ، يقوم على التشبيه التمثيلى ، فى صورة كلية متلاحمة الأجزاء والروافد والعناصر ، تتنامى فيها الأحداث ، وتتصاعد فى وحدة عضوية ، تتميز هنا بأسلوب الحوار والقصص ، تستمد شخصياتها ومشاهدها وعناصرها من الواقع المحسوس ، فقد شُبه الذى يطيع الله فيما أمر ونهى

ويتقى حدوده فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، والذى لا يعمل بذلك ، شُبِّها بفريقين ااقتسموا سفينة تمخر عباب البحر ، وقد استقرت فرقة فى أعلاها ، والأخرى فى أسفلها ، فإن عطش من هم فى أسفلها ؛ فأرادوا أن يخرقوا خرقا فى نصيبهم ، حتى لا يؤذوا من فى أعلاها ، فإن تركوهم والخرق ، غرقوا جميعا ، وإن منعوهم من الخرق ، وتعاونوا معهم ، وأفسحوا لهم مكانا فى سماحة ، نجوا جميعا ، وأنت ترى أن العناصر الواقعية هى السفينة وركابها ، وما تحتوى من آلات ومعدات ، والبحر وما يضم من كائنات وعوالم وما فيه ، من تيارات وأمواج وعواصف ومياه ، وما حدث من صراع ومساهمة واقتراع، وغير ذلك من مظاهر الطبيعة والحياة .

التصوير الأدبى حيويا ورائعا فى بلاغة التعبير عن الحياة والمجتمع فيها بالسفينة ، التى تمخر عباب الماء ، فى بحر متلاطم الأمواج والعواصف، فهى ليست قصراً شامخا مستقرا على أرض ثابتة فى البر ، وإنما هى ألواح من الخشب ، تطفو فوق سطح الماء فى بحر عميق ، ينتابه بين حين وآخر ريح عاصفة وأمواج هائجة متلاطمة ، تتصدع لها أركان السفينة ، وتتحطم جوانبها المختلفة ، فيغرق من فيها جميعا ، تلك هى الحياة الغرورة كالمسرح تختفى وراء أستاره الفتن والأحداث ، قال تعالى : ﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ .

وجاءت أيضا صورة المجتمع الإنسانى بالسفينة ، التى تجمع بين البَرِّ والفاجر ، والصالح والطالح ، وأهل الخير والحق والجمال ، مع أهل الشر والباطل والسوء ، فالإنسانية فى صراع دائم بين الخير والشر على سبيل الفتنة والاختبار ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حى عن بينة ، قال تعالى : ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ .

وأما روعة التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير عن القضاء والقدر ، فقد شُبه قدرُ الإنسان وحظُّه من متاع الحياة الدنيا بتقدير الله عز وجل وحده ، بصورة الاقتراع والاستهام على أعلى السفينة أو أسفلها ، لأن الإنسان فى ذلك لا يملك اختيار أحدهما بل الله وحده يقدر الأقدار ، قال تعالى : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ .

وأما روعة التصوير الفنى فى بلاغة التعبير عن انتصار الخير ، واجتيار الفتنة ، ومقاومة الأنانية والفساد والتدمير ، وذلك فى صورة حية شاخصة ، تستمد عناصرها من الصراع العنيف بين الفريقين على ضرورات الحياة ، من الشرب لدفع العطش والهلاك ؛ فإذا أحس الفريق الأسفل بالعطش ، أرادوا أن يخرقوا خرقا فى أسفل السفينة ؛ فإذا تركهم الفريق الأعلى وما أرادوا غرقوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم ، وأفسحوا لهم أن يشربوا من أعلى السفينة متعاونين جميعا ، نجوا كلهم ، قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ .

وأما روعة التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، حين صور الآمر بالمعروف ، والناهى عن المنكر بصورة إيجابية فعالة لا سلبية مدمرة فى صورة بليغة رشيقة ، عندما أراد من فى أسفلها أن يخرقوا خرقا ؛ ليشربوا بقاء على حياتهم ، فيأمرهم من فى أعلاها بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، لينجوا جميعا ، كما ورد فى الحديث الشريف : « فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعا » ، مصداقا لقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » والمعنى كما فسره أبو بكر رضى الله عنه : أى عليكم المجتمع المسلم الذى تعيشون فيه ، وليس عليكم غيركم من المجتمعات الضالة من غير المسلمين ، فلا يضرونكم متى اهتديتم أنتم وعملتم بشريعة الله عز وجل .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - يجب على الجار أن يصبر على جاره ، إذا خشى أحدهما وقوع الضرر بالآخر ، وإن وقع الضرر عليه ، وجب رفعه عنه .

٢ - جواز إجراء القرعة فى القسمة بين المشتركين .

٣ - جواز ضرب المثل لتوضيح المعنى بالواقع المحسوس .

٤ - جواز تجسيد المعانى وتوضيحه عن طريق ضرب الأمثال من الواقع المحسوس .

٥ - ترك النهى عن المنكر يستوجب عقاب الجميع ، فيشمل التارك للنهى ، والواقع فى الحرام والمحظور ، لأن الله تعالى يعاقبهم ، الأول برضاه وسكوته وعدم إنكاره ، والثانى بوقوعه فى المحظور .

٦ - الحث على التعاون والتكافل والصبر ورعاية المصلحة العامة .

٧ - بالإضافة إلى ذكر القيم فى التصوير النبوى للحديث الشريف .

الإسلام يسر لا عسر

أخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة » .

الإسلام دين التوازن بين المادية والروحية وبين التقتير والتفريط ؛ فلا يطغى أحدهما على الآخر ، بل توسط بين المادية الروحية ، وجمع بينهما فى توازن واتزان ، فلم يبالغ فى الجانب المادى كشريعة موسى عليه السلام ، التى تتناسب مع طبيعة اليهود آنذاك ، ولم يبالغ فى الروحية إلى حد الرهبنة فى شريعة عيسى عليه السلام ، وإنما خاطب العقل والقلب معاً بعد اكتماله بشريعة الإسلام ، فلا تقبل المبالغة فيهما ؛ فحث على العمل والكسب وجمع المادة ، وجعلها عبادة روحية ، مادامت ابتغاء مرضاة الله تعالى ، لذلك كانت شريعته عامة كاملة : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم

وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ ، قال النبى ﷺ : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، قال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ﴾ .

التصوير الأدبى فى التعبير البلاغى عن سماحة الإسلام ويسره :

أولا : طابق بين اليسر والإسلام ، فالإسلام هو اليسر ، واليسر هو الإسلام ؛ فلا فرق بينهما ، ولم يقل الإسلام كاليسر أو من اليسر ، فهى عبارة بليغة جعلت الإسلام هو اليسر نفسه وذاته ، لا ينفك عنه فلا يقبل المبالغة فى الدين ، ولا التفريط فى العمل بتعاليمه وأوامره ، والتخلى عن الترفق الذى حث عليه ، وإهمال السماحة التى تعم شعائره ومناسكه ، وترك الرخص التى شرعها الله رحمة بعباده ، وما أشبه ذلك مما يتنافى مع طبيعة الإسلام الميسورة ، وسماحة هديه السهلة ، فقد رغب كثيرا فى ذلك ، فالله تعالى يحب أن تؤتى رخصه ، كما يحب أن تؤتى عزائمه .

ثانيا : أكد على أن الإسلام يسر فى تصويره البلاغى الرائع ، حين عرضه فى صورة أدبية أخاذة ، على سبيل القصر والتأكيد ، مشفوعا بالدليل والحجة الدامغة ، ليحسم الأمر ، فلا تبقى منه ثغرة لمعترض أو منكر ، فيقتنع بالبرهان الحسى فى التصوير البلاغى بالنفى والاستثناء ، وبالدليل العقلى الناتج عما أثبته الاستثناء بعد النفى ، ومن أقوى الأدلة الإثبات بعد النفى ، وذلك فى هذه الصورة الأدبية البليغة ، على سبيل القصر والتأكيد بالنفى والاستثناء فى قوله : « ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه» لأن المشادة هى المغالبة والمبالغة والتزمت والتنطع ، قال النبى ﷺ : « هلك المتنطعون » أى المتشددون .

ثالثا : صور سماحة الإسلام ويسره فى صورة أدبية أخرى ، وفى تعبير بليغ مؤثر ، يدل على التوسط والاعتدال ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ والتوسط والاعتدال سبيل المقاربة والكمال ، فقال النبى ﷺ : « فسددوا وقاربوا » ، أى توسطوا ، بلا مبالغة أو غلو وتعمق ، فإذا كان المسلم اليوم صحيحا فغدا يكون مريضا ، وإذا كان شابا فغدا يكون كهلا ، وهو أكثر عونا على دوام الثواب ، فخير الأعمال القليل الدائم ، وكذلك تأكدت هذه الصورة الأدبية البليغة ، بالحكم عليهم على سبيل الأمر والاستحقاق ، فقال : « وأبشروا » أى أن الثواب والأجر حتمى لا محالة ؛ لذلك أنكر النبى ﷺ على عبد الله بن عمرو بن العاص قوله متشددا : « والله لأصومنّ النهار ولأقومن الليل ما عشت » فقال له : فإنك لا تدرى لعلك يطول بك العمر ، قال عبد الله فشددت على نفسى فشدد على، ووددت أنى قبلت رخصة النبى، وحديث الثلاثة الذين تقالوا عبادة الرسول ﷺ معروف ؛ فقال هذه سنتى ؛ فمن رغب عن سنتى فليس منى .

رابعا : صور سماحة الإسلام ويسره فى صورة أدبية بليغة ، تؤاذر ما سبق من بلاغة القول ، تقريرا وتأكيدا فقال : « واستعينوا بالغدوة والروحة (أى بأول النهار وآخره) وشئ من الدلجة » ، « وجزء يسير من الليل » فجاء بهذه الصورة المحسة والتعبير الأدبى ، المستمد من الواقع أول النهار عند طلوع الشمس ، وساعة الأصيل عند غروب الشمس ، وآخر الليل وقت السكون والسحر ، لتكون من قبيل ضرب الأمثال ووقع الحكمة ، وبلاغة الأمثال والحكمة أقرتها العقول والأذواق البليغة ، فهى التيجان على جبين الفكر البشرى ، لتحث على اغتنام أوقات النشاط قياما بالطاعات ، لأن الغدوة والروحة والسحر ينشط فيها الإنسان مسافرا أو مقيما ، قال تعالى: ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ ، ﴿ ما يريد الله

ليجعل عليكم من حرج ﴾ ، ﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ وقال النبى مقررا قول سلمان الفارسى رضى الله عنه : « إن لربك عليك حقا ، وإن لنفسك عليك حقا ، وإن لأهلك عليك حقا ، فاعط كل ذى حق حقه » .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - سماحة الإسلام ولينه فالدين يسر لا عسر .

٢ - العمل بالرخص الشرعية لرفع الحرج عن النفس فى وقت الحاجة والعذر .

٣ - النهى عن المبالغة والتشدد فى العبادة ، فخير الأعمال أدومها وإن قل .

٤ - كراهية الإسلام للملل والسأم .

٥ - أداء الأعمال فى أوقات النشاط ، وتفضيل الراحة فى أوقات القيلولة وإعطاء الجسم حقه من التمتع بنعم الله عز وجل .

٦ - الحث على التبكير وقيام جزء من الليل للتهجد فيه .

٧ - بالإضافة إلى ما ذكر فى التصوير النبوى من الحديث الشريف .

إن الخير لا يأتى إلا بالخير

جاء فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال : « إن مما أخاف عليكم بعدى ما يفتح من زهرة الدنيا وزينتها ، فقال رجل : أو يأتى الخير بالشر يا رسول الله ؟ قال : فسكت عنه رسول الله ﷺ فقيل ما شأنك تكلم رسول الله لا يكلمك ، قال : ورأينا أنه ينزل عليه ، فأفاق يمسح عنه الرحضاء أى «العرق» ، وقال : أين السائل ؟ وكأنه حمده ، إن الخير لا يأتى إلا بالخير ، وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم : « الحبط داء يصيب البطن من كثرة أكل الكلأ » ، « أو يلم أى ما يقرب من هذا الداء » إلا آكلة الخضر ،

فإنها إن أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها ، استقبلت عين الشمس ، فثلطت وبالت ثم رتعت ، و إن هذا المال خضر حلو ، ونعم صاحب المسلم، هو لمن أعطى منه المسكين وابن السبيل وإنه من يأخذه بغير حقه كالذى يأكل ولا يشبع ، ويكون عليه شاهداً يوم القيامة » .

المعادلة الصعبة فى الحديث الشريف : جاءت فى قول النبى ﷺ : «إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح من زهرة الدنيا وزينتها » حين تقبل الدنيا على الناس بالخير والمال الوفير ، والعقارات وأرصدة البنوك وغيرها من متاع الغرور وزينة الدنيا وفتنتها ، لذلك تعجب السائل من خوف النبى ﷺ من هذا الخير لأمته ، فقال : معترضا أو يأتى الخير بالشر يا رسول الله ، فسكت عن الإجابة ، لأنها معادلة صعبة تحتاج إلى وحى من الله فى ميزان دقيق ، يكشف الغموض فى هذا التناقض فى الظاهر ، ليكون مقياسا إلهيا، وميزانا عادلا فى التعامل مع الخير وزينة الحياة الدنيا ليأتى بالخير والثواب العظيم حتى لا يكون وبالاً على صاحبه يجلب له الشر والعقاب .

التصوير الأدبى فى التعبير البلاغى عن ميزان المعادلة الصعبة وذلك على النحو التالى :

أولا : لابد للرسول أن يخرج المستمعين من حيرتهم التى أحاطت بهم، حتى قال بعضهم ما شأنك تكلم رسول الله لا يكلمك ، وانتظروا الإجابة حين علموا أن الوحى ينزل عليه ، فكان أول شئ يبدد هذه الحيرة أن تكون الإجابة قاطعة بالحكم النهائى قبل أن يعرض المقدمات فقال ﷺ فى بلاغة ونصاعة حجة مؤكدا قوله بمؤكدات هى « إنّ » ، وأسلوب القصر بالنفى والاستثناء فقال : « إن الخير لا يأتى إلا بالخير » وقبل ذلك سأل عن السائل بطريقة أوحتْ إلى الحاضرين بأنه يشكره على سؤاله ، ويثنى كثيرا على مداخلته فقال : أين السائل ؟ قال الراوى : وكأنه حمده .

ثانيا : هذا المقياس قضية فكرية مجردة عميقة ، يقف العقل أمامها في حيرة وطول نظر وروية ، تحتاج من البليغ وخاصة رسول الله ﷺ أبلغ العرب قاطبة أن يعرضها في صورة أدبية تقربها من العقول ، وتتفتح لها منافذ لإدراك في النفس من العقل والعاطفة والوجدان والإحساس والمشاعر لتستقر في وضوح بيان ، وحجة دامغة ، وبرهان حسي قاطع ؛ لذلك اختار لها صورا واقعية من البيئة المحسة ، تجمع بين عناصر الربيع والبقل والنبات والحيوان والرعي والماشية والخضر والكلأ والشمس والحبط وما أشبه ذلك .

ثالثا : صور الرسول ﷺ المال الحرام ، والكسب المنهي عنه سواء عن طريق تحصيله أو الإسراف فيه ، أو كنزه أو عدم إخراج حق المجتمع فيه ، صور ذلك في صورة محسة واقعية بليغة ، وذلك حينما ينبت فصل الربيع نباتا غير صالح للمرعى ، يقتل الماشية أو يكاد ، وهو الحبط وما يقرب من ذلك فإذا أكلته الماشية ماتت لساعتها أو مرضت ، وكادت أن تموت ، فقال النبي ﷺ : « وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم » .

رابعا : صور الرسول ﷺ المال الحلال والكسب المرغوب فيه ، سواء بالتحصيل أو بالاعتدال في إنفاقه ، واستخراج حقوق المجتمع منه ، أو باستغلاله فيما يعود على الأمة بالخير ، صور ذلك في صورة واقعية محسة بليغة ، وذلك حينما ينبت الربيع كلأ ومرعى خضرا حلواً ، تأكل منه الماشية وترعى فيه ، فتزداد نموا وتربو الحما ، فتنعم بالعافية وتستقبل الشمس ، متمتعة ، بحلاوة الأكل وجمال الطبيعة الساحرة ، ودفء الشمس الواقي لها من المرض والعلل ، فقال : « إلا آكلة الخضر فإنها إن أكلت امتدت خاصرتها واستقبلت عين الشمس إلخ » .

خامسا : ثم استنتج من تلك الصورة المحسة البليغة مقدمات الحكم والنتيجة الدامغة ، حين مدح المال ومصادر الخير فقال : « ونعم صاحب المسلم » ، موضحا هذه النعم وتلك الخيرات ، إذا أعطي منه للفقير حقه ، ..

وابن السبيل ولكل ذى حق حقه ، عند ذلك لا يأتى الخير إلا بالخير ، ثم يقرر حقيقة أخرى عندما يأتى الشر من الخير ، إذا حصل عليه صاحبه من حقه ، وينفقه فى غير حقه ، فيستخدمه فى غير حله ، كالذى يأكل ولا يشبع ، فيكون وبالأعلى صاحبه ، ويأتى عليه شاهدا يوم القيامة ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ ألهاكم التكاثر إلخ السورة » وقوله تعالي : ﴿ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ وقول النبى ﷺ : « من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه فى حقه أثابه الله عليه ، وأورده جنته ، ومن اكتسب فيها مالا من غير حقه ، وأنفقه فى غير حقه أحله الله دار الهوان » .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - تحذير الأمة من فتنة المال حين تقبل الدنياعليها فى تسخيره فيما أمر الله به ، ولا يستخدم فيما نهى الله عنه .

٢ - صدق ما تنبأ به النبى ﷺ من انتشار الإسلام فى الشرق والغرب فى الفرس وفى الروم : ﴿ إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى ﴾ .

٣ - النهى عن الكسب الحرام والاستيلاء على المال بغير وجه حق ، فلابد أن يكون مصدره طيبا لا خبيثا .

٤ - الحث على إنفاق المال الحلال والكسب الطيب فى حقه وعلى من تجب نفقته ، وما يجب عليه فى ماله من حق السائل والمحروم ، ثم يستخدم ما بقى منه فى سبيل الله باستغلاله فيما يعود على الناس بالخير والاستغناء لا فى التدمير ولا فى الظلم والاعتداء .

٥ - النهى عن الإسراف فى المال وإنفاقه فيما ليس ضروريا مما يغضب الله عز وجل ، ويحاسب المسرف عليه مع أن صاحبه جمعه من حلال ، لكنه أنفقه فى غير محقه وهو الإسراف فيه : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ ، ﴿ وآت ذا القربى والمساكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ .

٦ - المال فتنة وزينة واختبار، لا ينجو صاحبه من بلائه وعواقبه الوخيمة فى الدنيا والآخرة إلا إذا جمعه من حقه ، وأنفقه فى حقه ووجهه ؛ فإن فعل ذلك ذهب عنه شره ، وكرمه الله بخيره وثوابه ؛ فأصبح من الشاكرين .

٧ - هذا الحديث لوحة فنية رائعة اتخذت عناصرها من الطبيعة والواقع بخيال هادف ، وفى هذا تشريع للأدباء أن يندمجوا مع الطبيعة والواقع بخيالهم فى شعرهم وفنونهم الأدبية من قصة ومسرحية وغيرها يجمع بين القيم الخلقية والقيم الفنية .

٨ - بالإضافة إلى ما ذكر فى التصوير النبوى من القيم فى الحديث الشريف .

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

أخرج البخارى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلُ المؤمنين فى تراحمهم ، وتوادهم وتعاطفهم مثلُ الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

الوحدة العضوية فى بلاغة التصوير الأدبى لهذا الحديث الشريف :

تظهر بلاغة النبى ﷺ فى ترتيبه بين الصفات والأعمال الإنسانية ترتيبا واقعيا فى نمو وتصاعد مطرد ، بحيث تترتب الصفات والأفعال بعضها على بعض مثل تسلسل المشاهد وتناميها فى الرواية والقصة ، فقد ترتب التواد على التراحم وتنامى عنه وزاد عليه فى الصفات والأفعال ، وترتب التعاطف على التواد وتنامى عنه وزاد عليه فى الصفات والأعمال ، فانظر إلى هذا التنامى والتصاعد فى البنية الفنية للحديث الشريف ، حين بُدئ بأدنى الصفات والأعمال وهو التراحم ، فيرحم بعضهم بعضا بأخوة الإسلام ونسبه ، لا بسبب آخر ، فالتراحم هو المرحلة الأولى التى لابد أن تتحقق قبل المرحلة الثانية ، وهى التواد التى تترتب على التراحم ، بل تزيد عليها بصفات وأعمال كثيرة هى صلة الرحم والتزاور والتهادى ، وما أشبه

ذلك مما يدخل فى التواد بعد التراحم . فإذا تحقق التواد بين الأسرة فيما بينها ، وبين الأسر بعضها مع بعضها الآخر ، تتنامى بعد تلك الصفات والأعمال والقيم الخلقية الأعلى من التراحم والتواد ، وهى الغاية السامية التى ينشدها الإسلام من التعاطف والتعاون والوحدة والاعتصام بحبل الله جميعا . وهى الصفات والأعمال الثالثة فى قوله : « وفى تعاطفهم » وهذا التنامى بين القيم السامية فى التصوير الفنى والبلاغى يعد من أرقى أساليب البلاغة النبوية الشريفة .

روعة التصوير الفنى فى بلاغة التعبير بصيغ المفاعلة فى هذا الحديث الشريف ، التى تدل على المشاركة والإيجابية والتفاعل بين جميع المسلمين، بحيث يشترك الجميع فى هذه الصفات وتلك الأعمال والقيم ،.فلابد أن يحدث التراحم والتواد والتعاطف من الجميع دون اقتصار على فرد أو مجموعة دون الأخرى ، وذلك فى بلاغة التعبير والتصوير الفنى بصيغة التفاعل ، فى قوله ﷺ : « فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم » ، متأثرا ببلاغة القرآن الكريم وإعجازه البيانى فى قوله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، كما فى حديث آخر : « المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كلّه ، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله » .

روعة التصوير الفنى فى بلاغة التشبيه التمثيلى ، حين شبه المؤمنون على التمثيل فى هذه الصفات ، وتلك القيم الخلقية السامية فى التراحم والتواد والتعاطف ، فلا يستغنى أحدهم عن الآخر ، بل كل واحد منهم يكمل الآخر ، ويحتاج إليه ولا يستغنى عنه ، حتى تستقيم الحياة فتقوى ، وتتحقق لها العزة والكرامة والمجد ، مثلهم فى هذا البناء القوى الكامل الجميل مثل الجسد الواحد القوى الصحيح الجميل التى اتسقت فيه

الأعضاء وتكاملت ، وأخذت موقعها من النسق الجميل والقوى فى تحقيق غايته من الحياة الكريمة والقوية والعزيزة ، فإذا كان عضو من أعضاء الجسد قد أصابه ضعف أو مرض أو اعتلال أو كسر ، كان بالضرورة لبقيته أن يتألم فتشاركه التعب والسهر ، مما يؤدى إلى تزايد المرض وسريان الحمى فى الجسد كله ، وما أروع تقديم السهر وعدم النوم قبل الحمى ؛ لأنها مترتبة على الأرق ، وهذا هو شأن المؤمنين إذا تراحموا وتوادّوا وتعاطفوا واعتصموا بحبل الله جميعا ، فصاروا أمة قوية عزيزة الجانب ، يهابها الناس، ويحسبون لها ألف حساب كالجسد القوى الصحيح ، الذى يقوى على مقاومة المرض والضعف والهوان ، وإن اختفت هذه القيم وانعدمت ، تفرق المؤمنون واختلفوا ، ومزقتهم العداوة والبغضاء ، فانهارت قوتهم وضعفت شوكتهم ، قال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - إذا تحققت قيم التراحم والتواد والتعاطف فى المسلم أصبح مؤمنا فاستحق صفة الإيمان وهو يزيد وينقص حتى يصل إلى درجة الإحسان .

٢ - حث الحديث الشريف على التراحم بين المسلمين فيرحم بعضهم بعضا بأخوة الإسلام ونسبه .

٣ - كما حث على المودة ، وذلك بصلة الرحم بالتزاور والتهادى ، والتواصل بين ذوى الرحم وبين الأخوة فى الإسلام .

٤ - كما حث على التعاطف والتعاون والتكافل بين المسلمين جميعا ؛ لأنه أمة واحدة كالجسد الواحد .

٥ - ويحث أيضا على وحدة الأمة الإسلامية والاعتصام بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ ؛ فتتحطم أمامها التيارات المدمرة من التمزق والتفرق والتنازع .

٦ - يقوم الحديث الشريف في تصويره النبوى وبلاغة تعبيره على وحدة فنية وموضوعية وعضوية ، ترابطت فيها القيم الخلقية والفنية فى نمو واطراد ، بحيث لو قدمت قيمه على أخرى لاختل البناء الفنى والعضوى من التراحم ثم التواد ، ثم التعاطف ، ولابد أن تكون الحمى نتيجة للتعب ومرض الجسم الذى اعتل بالأرق وعدم النوم ومسبباته المختلفة .

٧ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى للحديث الشريف .

الأمن والسلام

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » أخرجه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى ، وزاد الطبرانى : « ويلتقيان فيعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام ، والذى يبدأ بالسلام يسبق إلى الجنة » .

الوحدة العضوية فى بلاغة التصوير الأدبى لهذا الحديث الشريف :

تظهر هذه الوحدة فى بلاغة الترتب بين هذه الصفات والأعمال البشرية ترتيبا واقعيا وفى تصاعد ونمو مطرد كالأحداث والمشاهد فى القصة ، يترتب فيها الحدث الثانى على الأول ، والثالث على الثانى وهكذا ، وهو ما يسمى فى النقد الأدبى بالوحدة العضوية ، فانظر إلى هذا الاضطراد والنمو المتصاعد حين بُدئ الحديث بالنهى عند التقاطع فى « لا تقاطعوا » ، وهو الجفاء والتفرق مما يشتت الوحدة ويمزق الترابط والتآخى ، وهذا المشهد بدوره يؤدى إلى مشهد أعلى فيه وأشد وهو عدم التدابر فى « ولا تدابروا » لأن فعل التدابر يزداد عن التقاطع بأفعال مذمومة ومحرمة أخرى من الافتراء على الغير بالبهتان والغيبة والنميمة وهذا المشهد الثانى يتنافى ويتصاعد ليترتب عليه المشهد الثالث ، وهو عدم التباغض فى « ولا

تباغضوا » فيتعاطى المرء زيادة على ما سبق أسباب البغض وهى الشتم والسباب والخصومة والضرب ، ثم يترتب على المشهد الثالث زيادة على ما سبق المشهد الرابع وهو عدم التحاسد فى « ولا تحاسدوا » وهو من أكبر الكبائر ، فيزداد على التباغض بالحسد ، وهو كراهية الخير للآخرين . وتمنى زوال النعمة عن الغير وهكذا تجد البلاغة النبوية فى هذه الوحدة العضوية بين مشاهد الحديث الشريف حتى أصبحت هذه المشاهد فى مواقعها ، كمواقع الأعضاء فى جسد الإنسان فالعين والسمع والأنف واليد وغيرها كل فى مكان يكون وحدة عضوية فى جسد الإنسان السوى فى أحسن صورة ؛ فتبارك الله أحسن الخالقين .

روعة التصوير الفنى فى بلاغة التعبير بصيغ المفاعلة فى الحديث الشريف وذلك فى قوله : « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولاتحاسدوا ، فعدم التقاطع والتدابر والتباغض والتحاسد وغيرها من الصيغ العربية على وزن التفاعل تدل على المشاركة والصراع والتفاعل بين الطرفين مما تصور حقيقة المنهيٍّ عنه والمحرم فيؤدى إلى تشتيت الأمة وتدمير قوتها فلو كانت هذه الأفعال من جانب واحد لما حدث هذا الضرر ، لأن الأخر قد لا يبادله الصنيع فيعفو عنه ، ويتعامل معه بالحسنى ؛ فلا يحدث الضرر والمحرم ، قال تعالى : ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ وهو ما أشار إليه الحديث الشريف بأن يكونوا عباد الله إخوانا ، فلا يتمادوا فى الخصومة فوق الثلاث وأن خيرهما من يبدأ بالسلام والمحبة فيسبق غيره إلى الجنة ، جاء فى حديث آخر : « ولينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما إن كان ظالما فلينهه ، فإنه له نصر وإن كان مظلوما فلينصره » .

روعة التصوير الفنى فى بلاغة ختام الحديث : ليكون قرارا نهائيا لا مردَّ فيه ، وحكما فاصلا غير منقوص ، وهذا القرار والحكم هو الأخوة بين

الناس ، فهو جميعا ينتسبون إلى مصدر واحد ، يلتقون فيه على عبودية الله عز وجل : ﴿ إنما المؤمنون أخوة ﴾ وإذا كان ولابد من المخاصمة ؛ فلا يصح أن تتجاوز الثلاثة أيام في غير معصية الله سبحانه ، وغير ذلك مما يدل عليه الحديث الشريف من القيم السامية والنافعة في تلك الصور البلاغية الرائعة التي وردت فيه ، وفيما زاده الطبراني .

روعة التصوير الفني في بلاغة الحث على المسارعة بالصلح والسلام وتبادل المودة والمحبة ، جاء في تصوير فني درامي ، فيه جذب وشد وإعراض وإقبال ، ومقاومة وصراع نفسي بين الطرفين ، فكلاهما قد أخذته العزبة بالإثم بدعوة الكرامة والإباء ، فقد يلتقيان ، لكن كلا منهما يعرض بجانبه عن الآخر ، وتلك هي الأزمة والعقدة فأراد النبي ﷺ أن يضع البلسم الشافي ليبدد الأزمة ويحل العقدة ، وهو أن خيرهما الذي يبدأ بالسلام ؛ ليستحق الجائزة الكبرى ؛ فيسبق غيره إلى الجنة ، وهو الفوز العظيم ، تأمل ذلك فيما زاده الطبراني « يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام والذي يبدأ بالسلام يسبق إلى الجنة ، فما أروع بلاغة سيد البشر ﷺ .

ويؤكد النبي ﷺ هذه القيم في قوله : عن أبي هريرة رضي الله عنه : « لا تحاسدوا ولا تناجوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله التقوى ههنا بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام « دمه وماله وعرضه » ، وكذلك قوله عن أبي هريرة أيضا قال : إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - يحث الحديث الشريف على نشر المحبة ونشر الأمن والسلام بين الناس جميعا .

٢ - حرم الإسلام القطيعة والخصومة مما يعكر صفو القلب .

٣ - وحرم التدابر والتفرق ؛ فإنه يمزق الأمة ، وتقطع التواصل بينها .

٤ - وحرم التباغض الذى يشبع البغضاء بين الناس ؛ فيقضى على التعاون على البر والتقوى .

٥ - وحرم التحاسد ، الذى يحمل الحاسد على الحقد ، وتمنى زوال النعيم والخير عن الغير ، وإيثار نفسه به أنانية وتفانيا فى حب ذاته .

٦ - لا يجوز أن يهجر المسلم أخاه أكثر من ثلاثة أيام ، فإن الخصومة تمزق وحدة الأخوة الإسلامية .

٧ - يعتمد الحديث الشريف على الوحدة الفنية فى تناسب للألفاظ والأساليب والصور مع المعانى ، فتقوم على الوحدة العضوية بين القيم الخلقية والفنية فى الحديث الشريف .

٨ - بالإضافة إلى ما ذكر من القيم فى التصوير النبوى للحديث الشريف .

بين البخل والإنفاق

أخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قوله : «مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد ، من ثديّهما إلى تراقيهما ، فأما المنفق فلا ينفق الاسبغت ، أو وفرت على جلده ، حتى تخفى بنانه وتعفو أثره ، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها ، فهو يوسعها ولا تتسع » .

حب المال والتملك غريزة إنسانية تزاد وتنمو كلما تعلق الإنسان

بالحياة وهام بها فالمال من ميل القلب إليه وحبه حبا جما : ﴿ وتأكلون التراث أكلا لمّا وتحبون المال حبا جما ﴾ ، ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ ، ﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا ﴾ ، ﴿ أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا ﴾ وفى الحديث الشريف : « منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال » . « ولو أعطى ابن آدم واديا من مال لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن إلا التراب ويتوب الله على من تاب » وغير ذلك كثير مما يجعل الإنسان حريصا على إنفاقه كما حث على اكتسابه من حلال قال تعالى : ﴿ وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ ، ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ .

التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير عن الإنفاق والبخل فى هذا الحديث الشريف :

أولا : شبه الإنفاق والبخل وهما من المعانى المجردة بصورة مادية محسوسة بالثوب أو الدرع من الحديد ، قد يحمى صاحبه من الهلاك إذا كان منفقا ، أو يكون سببا فى هلاكه والقضاء عليه إذا كان بخيلا ، وفى هذه الصورة الأدبية القائمة على التمثيل المعنوى بالمحسوس ، وتشبيه المتخيل بالمادى المحس ، يضفى على المعانى الكثيرة فيه جمال المبالغة مع الإيجاز ، وروعة البيان وسحره مع التركيز والإيحاء ؛ لأن النفس تتعلق بالمادى والمحسوس ، وتفتتن به أكثر من المعنى المجرد لغموضه وإبهامه ، فالمادى يدرك بجميع الحواس ، وهى كثيرة مع العقل والعاطفة والوجدان ، والمعنوى لا يدرك إلا بالعقل فقط ، لذلك كان التجسيم للإنفاق والبخل فى هذا الحديث الشريف أبلغ تصويرا وأقوى بيانا .

ثانيا : عبر الحديث عن الإنفاق فى صورة أدبية بليغة ، تتكون من رجل لبس درعا من الفولاذ أو الحديد ، يحيط بصدره ، كلما حرك نفسه بالجهاد وكثرة الإنفاق طال الدرع ، حتى كان سابغا على جميع بدنه . يشتمل عليه كله ليحفظه ؛ وينجيه من الهلاك ، ويزداد فى حجمه كما وكيفا ؛ فيزداد خيرا ووفرة وبركة ؛ وطهرا وعمرا ونسلا وأولادا : مصداقا لقوله تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ﴾ . ﴿ وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾ ، ﴿ وما تنفقوا من شئ يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾ ، ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير ﴾ ، قال النبى ﷺ « ما من يوم يصبح فيه العباد إلا وينزل ملكان ، يقول أحدهما اللهم أعط منفعا خلفا ويقول الثانى اللهم أعط ممسكا تلفا » ويقول أيضا : «حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع» « ومن أراد أن ينسأ له فى أجله ؛ ويبارك له فى عمره وولده وماله ؛ فليصل رحمه » أى بالمال وغيره من القربات والهدايا .

ثالثا : عبر عن البخل والشح فى صورة أدبية محسة بليغة ؛ تتكون من رجل لبس درعا من الفولاذ أو الحديد يحيط بصدره ، فكلما أمسك عن الإنفاق شحا وبخلا ؛ أطبق بحلقاته وتلابيبه على صدره ممزقة ؛ وعلى أنفاسه فأزهقها ، وعلى روحه فخنقها ، حتى يكاد أن يموت ، فيحاول أن يوسعها فتزداد ضيقا واختناقا ، حتى تزهق روحه ، فيترتب على ذلك اكتناز المال وجموده ، وهلاك النفس وتعذيبها ، وحرمان الأولاد والناس ، وقصر العمر والفقر فى المال وقلة النسل والولد ؛ والعزلة والبغض

والكراهية ، ومثله كمثل من فقأ إحدى عينيه ، وقال بأن النظر بهما فى وقت واحد إسراف ، ومثل قول ابن الرومى فى وصف البخيل :

يقتر عيسى على نفسه وليس بباق ولا خالد
فلو يستطيع لتقتيره تنفس من منخر واحد

ومصداقا لقول الله تعالى : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ وقوله : ﴿ ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ﴾ ، ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما أتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ ، ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد ﴾ ، وفى الحديث الشريف : « خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن : البخل وسوء الخلق » ، وقوله : « اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » ، وقوله فى مال البخيل ، يمثل له يوم القيامة بشجاع أقرع يأخذ بلهزمتيه ويقول « أنا مالك أنا كنزل » ، «وتصفح له صفائح من نار تصب فوق رأسه » ، ﴿ يصهر ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد ﴾ .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - حث الإسلام على الجود وأثنى على الجواد الكريم لأن الكرم والصدقة تعود على المنفق بالخير فى الدنيا والثواب الجزيل فى الآخرة .

٢ - حذر الإسلام من الشح والبخل وذم الشحيح والبخيل فإن الشح يهلك صاحبه ، والبخل يقضى على البخيل فى الدنيا ، أما فى الآخرة فهما محرومان من الثواب والرضوان ، فلا يغنى فى الدنيا ولا ينفع فى الآخرة .

٣ - الصدقة تمحو الذنوب ، والكرم يذهب بالخطايا ، وتنقى المنفق من الدنس والحقارة والعار والخزى والعقاب .

٤ - أن الله عز وجل سزيد المنفق خيرا وحسنا فى الدنيا والآخرة ، ويمقت البخيل ، ويفضح الشحيح ، ويعذمهما فى الدنيا بالذل والضعة والهوان والضيق والقلق ، وفى الآخرة بالعقاب والعذاب والحرمان من رحمة الله تعالى ورضوانه .

٥ - يحث الحديث الشريف على جواز ضرب الأمثال ، وتجسيم المجردات وتشخيص المعانى ، لتوضيحها ونفاذها إلى القلب والعقل والبصيرة .

منابع الخير والحب فى الإنسان

أخرج ابن حبان والبيهقى عن أبى ذرّ رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة فى كل يوم طلعت فيه الشمس ، قيل : يا رسول الله من أين لنا صدقة نتصدق بها ؟ فقال إن أبواب الخير لكثيرة : التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتميط الأذى عن الطريق ، ويسمع الأصم ، ويهدى الأعمى ، وتدل المستدل عن حاجته، وتسعى بشدة ساقيك مع المستغيث ، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف ، فهذا كله صدقة منك على نفسك ، وتبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم من طريق الناس صدقة ، وهديك الرجل فى أرض الضالة لك صدقة » .

الصدقة الحسية والنفسية : بلاغة الرسول ﷺ أخرجت الصدقة من إطارها المادى التقليدى إلى آفاق رحبة فسيحة ، لتتسع إلى معان كثيرة وقيم إنسانية سامية ، تتنوع فيها منابع الخير والحب ، والمودة والإخاء فى النفس البشرية ، فلو اقتصرت الصدقة على الجانب المادى وحده ؛ للتطهير من الشح وإعانة الفقراء والمحتاجين ؛ لتعطلت وتوقف مدها خلال الاكتفاء الذاتى فى بعض العصور ، كما أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ ، حين تبحث عن الفقير ، لتعطيه الصدقة فلا تجد ، كما حدث فى زمن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، فلم يجد واليه فى أفريقيا فقيرا ، يعطيه الزكاة بعد

أن جمعها ؛ فالصدقة بالمفهوم المادى ، صرح اقتصادى ما دام الفقر موجودا ، ويتوارى دورها خلال الاكتفاء الذاتى ، لكن بلاغة هذا الحديث الشريف ، جعل الصدقة لا تتوارى مطلقا ، بل تظل حية شاخصة فى كل حين لما تقتضيه الضرورة من التصدق عن النفس كل يوم ؛ شكرا لله عز وجل على نعمائه الكثيرة ، فخرجت عن إطارها المادى إلى قيم نفسية وإنسانية سامية ، جاءت بالتفصيل فى هذا الحديث ، لأن أبواب الخير كثيرة ، لا يدخل تحت حصر ، جاءت فى تصوير بلاغى عجيب ، يصل إلى أعماق النفس وأصداء الوجدان ، لتوقيع ألحان صافية ، يحرك بها العواطف والمشاعر ، فيأخذ بالعقول والألباب ، ذلك فى صور بليغة منها :

التصوير البلاغى للنفس الإنسانية وهى تحرك مشاعرها بالعرفان بالجميل ، وبالشكر على النعيم والنعم الإلهية ، فيلهج اللسان والقلب بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل : ﴿ لإن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد ﴾ ، ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ .

التصوير البلاغى للنفس الإنسانية وهى تحرك مشاعرها بالخير والحب والإخاء ، وهى صدقة معنوية فترفع البلاء والمحنة والعذاب عن أخيه الإنسان ، وعن المجتمع المسلم ؛ فيلهج لسانه بالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴾ ، ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ .

التصوير الأدبى للنفس الإنسانية وهى تحرك مشاعرها بالخير والحب والإخاء والتعاون ؛ وهى صدقة معنوية فتميط الأذى عن الطريق ، فترفع

الحجر والعظم والشوكة ، حتى لا يتعثر بها إنسان ، فيدمى قدمه وجسده ، أو حيوان أعجم فتؤذيه ، لأنه كان سيحزن لإيذاء أخيه ، ويفرح لنعمائه ، فذلك هو الإيمان الصادق ، لقوله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، وهل هناك رابطة أقوى من المودة والألفة والحب ، قال تعالى : ﴿ وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ﴾ ، ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ .

التصوير البلاغى للنفس الإنسانية وهى تحرك مشاعرها بالخير والحب والإخاء ، وهى صدقة معنوية ، فيسمع الأصم ، ويهدى الأعمى ، ويدل المستدل على حاجته ، ويسعى فى حاجة اللهفان المستغيث ، ويتعاون بذراعيه مع الضعيف ، ويهدى الضال ، فهى صدقة نفسية ، ومبادئ إنسانية سامية ، تربط المجتمع بالحب والتعاون والإخاء والمودة ، والوحدة والترابط ، فلا فرق بين الضعيف والقوى ، ولا بين السليم السوى والعاجز المعان ، ولا بين البصير والأعمى ، ولا بين السميع والأصم ، ولا بين الخبير المحنك والضال ، ولا بين المستغنى واللهفان المستغيث ، مثلهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

التصوير الأدبى البيلغ للنفس الإنسانية وهى تحرك مشاعرها بالخير والحب والمودة ، وهى صدقة شعورية ووجدانية وعاطفية ، فى قوله ﷺ «وتبسمك فى وجه أخيك صدقة » ، فيدخل البهجة والسرور فى نفس أخيه فربما قد حزبه أمرا ، ويغشاه هم أو غم ، فتشاركه فيه لتخرجه منه بتلك الابتسامة الرقيقة ، فتنزعه مما هو فيه من حزن أو غضب أو هم ، فرق كبير

فى ذلك بين النفوس المريضة بالتأزيم والتزمت ، والعابسة المقطبة المكشرة وبين غيرها ، فإنها تترك الأسى والكبت والحزن والجفوة والجفاء والأذى ، قال تعالى : ﴿ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ، والله غنى حليم ﴾ .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - حرص النبى ﷺ على تعليم أمته ، فحثهم على شكر الله عز وجل على نعمه الظاهرة والباطنة بالصدقة كل يوم ؛ لتغشاهم رحمته ورضوانه .

٢ - إن الصدقة فى الإسلام نوعان : مادية كالأموال والأعيان والعقارات والمأكولات والمشروبات وغيرها من الغنى الميسور ، ومعنوية وتجمعها أبواب الخير وهى كثيرة جاء بعضها فى هذا الحديث ، للدلالة على نظائره ممن لا يملك صدقة مادية ، تزيد عن حاجته ، ومن تلزمه نفقتهم .

٣ - أعظم الصدقات المعنوية من أبواب الخير هى : التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٤ - من الصدقات المعنوية والخلقية إماطة الأذى عن الطريق ، مثل إقالة العثرات عن الطريق ، وتمهيده ونظافته من القاذورات والمهملات ، ومنع الدخان والأصوات المزعجة والعالية ، وعدم تلويث الهواء بما يؤذى الإنسان من العوادم والغازات المضررة .

٥ - ومنها أيضا تعليم الأصم ، وتمكينه من ممارسة حياته المألوفة ، فيتعلم ويقرأ ويشارك المجتمع من حوله ، فلا يعيش معزولا عنه بالعزلة والغربة .

٦ - ومنها أيضا إرشاد الأعمى والضال إلى الطريق الصحيح وتوجيهما إلى مقصدها ، وملاطفتها فى الحديث ، وتعليمها وفتح أبواب المشاركة مع المجتمع من حولهما ، حتى لا يشعر بالغربة والعزلة .

٧ - ومنها أيضا إعانة المستغيث والضعيف ، فتسعى معهما ، حتى ترد عنه الأذى ، وتدفع عنهما الشر ، الذى يحيط بهما ، ما دمت قادرا على ذلك بلا ضرو ولا ضرار .

٨ - ومنها أيضا حسن المعاملة للآخرين ، بطلاقة الوجه وحسن الاستقبال وإشراق الوجه بالابتسامة، بلا عبوس ولا تكشير ، ولا اشمئزار ولا إعراض .

حسن المعاملة فى الإسلام

روى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « يرحم الله رجلا سمحا إذا باع ، وإذا اشترى ، وإذا اقتضى ، وإذا قضى » .

السماحة فى حسن المعاملة : فى هذا الحديث الشريف تظهر سماحة الإسلام ، فالرسول الكريم ﷺ يدعو ربه مبتهلا إليه ، أن يرحم المؤمن السمح فى كل معاملاته فيحسن المعاملة فى البيع والشراء ، كما يحسن المعاملة فى قضاء الدين ، الذى عليه بالحسنى ، واقتضاء الدين الذى يكون له عند الآخرين ، فيمهله حتى يستطيع رده ، أو يتنازل عنه ؛ فيتصدق عليه لإعساره ، بل هذا خير له ، قال تعالى : ﴿ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ وفى الحديث الشريف : « من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله فى ظل عرشه ، ومن سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة ، فلينفس عن معسرا ، أو يضع له » وأخذ يصور مواطن السماحة فى حسن المعاملة تصويرا أدبيا فى تعبير بلاغى نبوى شريف .

التصوير الأدبى فى بلاغة الرسول للتعامل بالحسنى مع الناس :

أولا : عبر عن السماحة فى صورة بلاغية تتضمن الدعاء منه ﷺ لمن يتعامل بها ، ودعاؤه مستجاب فى كل الأحوال ، فيرحمه الله تعالى فى

الدنيا والآخرة ، لأن السماحة سخاء في النفس وكرم فى الخلق ، ولين فى الطبع ، تربى المسلم على حسن المعاملة .

ثانيا : صور النبى ﷺ من يستحق الرحمة من الله عز وجل فى تعبير بلاغي فريد ، حين جعل السماحة هى الرجل نفسه ، والرجل هو السماحة نفسها ، لا فرق بينهما فقال : يرحم الله رجلا سمحا ، كما نقول للقاضى العدل أى أنه العدل نفسه ، فكلاهما سواء .

ثالثا : عرض النبى ﷺ السماحة في البيع فى صورة أدبية بلاغية عميقة ، تتناول الأخلاق السامية فى المعاملة ، وتعتمد على القيم النبيلة فى التجارة ، وفى رعايتها صلاح حال الأفراد والمجتمع لضرورة تبادل المنافع بين الناس بالبيع والشراء ، والأخذ والعطاء ، فلا يبالغ البائع فى الربح ، بل يقنع باليسير منه ، فيكثر الإقبال عليه ، وتروج تجارته ، ويتحقق له الغنى والثراء أما الذين يبالغون فى الربح من أهل الفظاظة لا السماحة ، ينفرون الناس من التعامل معهم ، فتبور تجارتهم ، وتكسد ساحتهم ، وينتهون إلى الإفلاس فيحل عليهم الغضب لا الرحمة .

ومن السماحة فى البيع أن يحدد ثمن بضاعته ، حتى لا يتعرض لكثرة المساومة والحلف لترويج سلعته ، وقد ذم القرآن الكريم الذين يروجون سلعتهم بالإيمان الغموس ، ويشترونها بالحلف الكاذب ، قال تعالى : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وبأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾ وقد امتدح النبى ﷺ التاجر الصادق فقال : التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء ، وتقتضى السماحة من البائع عدم الغش أو البخس فى الكيل والميزان ، مما يتنافى مع المروءة فذلك عين الكذب ، قال النبى ﷺ « من غشنا فليس منا » .

رابعا : عرض النبى ﷺ السماحة فى الشراء بصورة أدبية بليغة على سبيل التحقيق ، حين عبر بإذا ، التى تفيد الحقيقة لا الشك أو التردد أو الكذب ، كما تفيد السماحة فى الشراء على سبيل الحقيقة فى وقوع فعل الشراء فى الماضى ، الذى يدل على تحقق الوقوع ، أى لابد منه ، فقال : « سمحا إذا اشترى » ، فيكون سهل المساومة فى شرائه ، سمحا فى تقويم البضاعة والسلعة فلا يبخس قيمتها ، ولا يعمل على تطفيف الميزان والكيل وزيادته ، فإن ذلك سحت ، وأكل الأموال بالباطل قال تعالى : ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ﴾ ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ﴾ .

خامسا : عبر النبى ﷺ عن السماحة فى اقتضاء الدين وقضائه ؛ فى صورة أدبية بليغة فى قوله « سمحا إذا اقتضى وإذا قضى » فعبر أيضا بإذا وبالفعل الماضى على سبيل التحقيق فى الوقوع والتنفيذ ، فيكون الدائن « سمحا » فى قضاء حقه ، يطلب دينه فى لين لا فى فظاظة وغلظة ، ولا خصوبة وشدة ، بل دعاه أن يتخلى عن المدين ، لا عسار الدين وجعل ذلك من زكاة ماله من سهم الغارمين مصداقا لقوله تعالى : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله ﴾ وأما السماحة فى قضاء الدين ؛ فعلى المدين أن يبرّ بوعده فى رده فى الموعد المحدد ، إذا كان قادرا وحيث لا يضطر إلى أسلوب المماطلة فهى ظلم يخل بالمروءة والسماحة قال ﷺ : « مطل الغنى ظلم » وقال أيضا أعطوه دينه أعطوه إن خيركم أحسنكم قضاء » ورفع من منزلة السخى فقال : السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد عن النار» .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - من خصائص الإسلام السماحة والتسامح ، والرقة واللطف واللين ، فليس فظا ولا غليظا ولا عنيفا ولا إرهابيا ، ولا متشددا ولا عسيرا ، ولا معقدا ولا متعنتا .

٢ - يحث الإسلام على السماحة فى البيع والشراء بلا جدال ولا قسم ولا حلف ولا غبن ولا غش ، ولا تضعيف فى الكيل والميزان ، ولا مبالغة فى الثمن ولا فى الربح .

٣ - بحث الإسلام على السماحة لاقتضاء الدين أو الحصول عليه من المدين فلا تكلفه ما لا يطيق ، بل يمهله ، حتى يستطيع قضائه ، أو يتصدق عليه به من سهم الغارمين ، دون أن يشعره بالإهانة أو الإذلال ؛ لأن هذا حق للسائل والمحروم على الغنى .

٤ - يحث الإسلام على السماحة فى قضاء الدين لصاحبه ؛ فيعطيه إياه فى موعده ، ولا يماطل فيه إذا كان قادرا على أدائه ، بل يتبعه بالشكر والتقدير والعرفان بالجميل ، حتى يشجعه على أن يتعاون مع غيره بسد حاجته ، وقرضه ما يحتاج إليه « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

٥ - من اتصف بالسماحة فى هذه الأمور ، استحق الدعاء له من الرسول ﷺ ، ودعاؤه مستجاب ، فلا يصح أن يحرم الإنسان نفسه من رحمة الله تعالى ورضوانه .

التمتع بالطيبات

بلا رياء .. ولا كبر .. ولا إسراف

أخرج البخارى عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال : أن النبى ﷺ قال : « كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير إسراف ولا مخيلة » .

روعة التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير بالأمر فى هذا الحديث الشريف ، حين عبر النبى ﷺ عن الأكل والشرب واللبس والتصدق بفعل الأمر على سبيل الوجوب : أى لابد منه للإنسان ، ولا يستطيع أن يستغنى عنها كلها ؛ لأن الامتناع عنها يؤدى إلى الهلاك ، فحرم الله عليه التهلكة ، قال تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ﴾ وقال أيضا : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ ، كما يجب أن يكون قوى الجسد ليقوى على طاعة الله فيما أمر ونهى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ ، كما يجب أن يكون قويا عزيزا : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ ، ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ وكما يجب على المؤمن أن يتصدق مما زاد عن ذلك لتحقيق غايتين شريفتين الأولى استحقاقه الجنة فى الآخرة ، والثانية فى الدنيا وهى أن يحفظ نفسه من فتنة المال من اللهو واللعب والزينة والإسراف والتفاخر ، وترد عنه شرَّ المال من الحسد والحقد والبغضاء من المحروم والحاسد ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ وفى الحديث الشريف : «ليس لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت » .

روعة التصوير الفنى فى بلاغة التعبير بعدم الإسراف ليحث على التوسط والاعتدال فى الأوامر السابقة من المأكل والمشرب والملبس والتصدق ، وقيدها بذلك ، وانتقى لها من بين الأساليب العربية « عدم الإسراف » لتتلاءم مع التصرفات البشرية مُستمدا بلاغته النبوية الشريفة من بلاغة القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا

يحب المسرفين ﴾ ، وتظهر روعة البلاغة النبوية فى هذه الكلمة الموجزة لتصور حرص الإسلام على القيم الخلقية السامية ، التى يحافظ بها المؤمن على قوة جسده ، وعزة نفسه بعد الإسراف فى المأكل والمشرب ، فلا يتعرض للتخمة والكسل والمرض ، كما فى الحديث الشريف : « حسب ابن آدم لقيمات يعمن صلبه ، فإن كان ولا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » وفى آخر « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع » ، وكذلك عدم الإسراف فى الملبس لصيانة جسده وحفظه ، فيظهر فى أجمل صورة ، قال تعالى : ﴿ يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ ، وفى الحديث الشريف : « إن الله جميل يحب الجمال » ، وفى إسراف الملبس ما يعين على تدمير الاقتصاد وحرمان الغير ، وإثارة الحقد والبغضاء عند المحرومين ، وكذلك لا يسرف فى الصدقة ، بل يتوسط حتى يذر أولاده أغنياء من بعده لا يتكففون الناس ، لقوله تعالى : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ وخير الصدقة التى ينفقها الإنسان على نفسه وأهله وولده ومن تلزمه نفقتهم ، قال تعالى : ﴿ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا .. إلى قوله تعالى : ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ﴾ .

روعة التصوير الأدبى لبلاغة الحديث فى التعبير بقوله : « ولا مخيلة » أى بدون كبر وخيلاء ومفاخرة ، فالبلاغة فى هذه العبارة مع إيجازها ؛ تتضمن قيما خلقية كثيرة أولا : أن المخيلة فى المأكل والمشرب والملبس والتصدق ؛ تعود على الإنسان فى الدنيا والآخرة بالغرور والفساد ، والضور وإثارة الحقد والبغضاء والحسد ، فتدمره وتهلكه كما ورد فى الحديث القدسى : « العظمة ردائى والكبرياء إزارى فمن نازعنى أحدهما

أخـذته ولا أبالى » ، وقـال تعـالى : ﴿ ولا تـصـعـر خـدك للنـاس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ وفى الحديث الشريف : « لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ ثوبه خيلاء » وفى حديث آخر : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا ، قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس » .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - حافظ الإسلام على النفس البشرية وحذر من تعريضها للهلاك ، ومن أسبابه من الامتناع عن أكل الطيبات ، وعن تناول المشروبات المشروعة والتزين بالثوب الجميل .

٢ - لذلك حث الإسلام على أن يحافظ على النفس والجسد القوى ؛ فأمرهم على سبيل الوجوب بالطعام والشراب واللباس ، بلا إسراف ولا تظاهر أو كبرياء ، وبلا مبالغة أو تطاول .

٣ - كما حث الإسلام على الصدقة أيضا على سبيل الوجوب ، وذلك فيما زاد عن حاجته وحاجة من تلزمه نفقتهم ، سواء أكانت هذه الصدقة فرضا ؟ كالزكاة المفروضة بأركانها وشروطها ، أم كانت نفقة فى سبيل الله ، فلا يكنزها فى بيته ، بل يقيم بها مشروعات زراعية أو صناعية أو اقتصادية عامة ، يعود نتائجها على أمته الإسلامية والمجتمع من حوله فتعتز بها عن حاجتها لغير المسلمين ، وتقوى بها الإنفاق والاستثمار والإنتاج فى سبيل الله ، على سبيل ؛ الوجوب أيضا لأن الله حرم كنز المال كما فى قوله تعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ .

٤ - حرم الإسلام الإسراف فى كل شئ ، فى المال والطعام والشراب واللباس لأنه السبب فى تدمير الأسر والأمم وهلاكها .

٥ - تحريم الكبر والعجب ، والتظاهر والرياء والمباهاة والتطاول ؛ فهى أفة التقدم والثراء ، ومعاول الهلاك والتدمير .

لا تغضب

أخرج أبو داود عن عطية السعدى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ الغضب من الشيطان ، وإنّ الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » .

التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير عن الغضب فى هذا الحديث الشريف يستمد روافده من فصاحة الكلمات فى جزالتها وفخامتها وعنف الدلالات الصوتية لحروفها ، وبلاغة الألفاظ فى خصوبة معانيها وعمق أبعادها وما توحى به من المقاومة والشدة والصراع ؛ لكى تعبر عما يهدف إليه الحديث الشريف من العنف والتمرد ، والقوة والصراع والمقاومة والدفاع .

تجد ذلك هنا فى كلمات كثيرة منها : « إنّ » وتكررت ثلاث مرات لزيادة التأكد وعنف المقاومة والصراع ، وكذلك « كلمة الغضب » وما يتضمن معناها من الغليان والهيجان والثورة والشدة والعنف ، وكذلك كلمة الشيطان ، وتكررت مرتين للزيادة والتأكيد فى معانيها ، وما توحى به من التمرد والغواية والإفساد والعداوة والحقد والفتنة ، وكذلك كلمة النار وما تدل عليه من الاشتعال واللهيب المحرق ، والماء وطغيانه المدمر .

تلك الكلمات تصور الصراع العنيف بين هوى النفس وغواية الشيطان ، وما يدور بينهما من المقاومة العنيفة والدفاع العنيد فى ثورة وغليان حتى ينتصر أحدهما على الآخر .

التصوير الأدبى لبلاغة الأسلوب والنظم فى تشخيص الغضب وآثاره المدمرة ، تجد ذلك فى بنية الأسلوب النبوى الشريف ، ودقة النظم البليغ ،

حين عبر بهذه الصور البليغة على النحو التالى جاءت العبارة الأولى : « إن الغضب من الشيطان » ، تحمل شحنات من التحذير والتخويف والترهيب والتعبئة النفسية والروحية لمقاومة الانفعال ، وهوى النفس ومصارعة الشيطان ، وذلك عن طريق روافد التصوير الأدبى المختلفة ، التى تتفجر من معانى الغضب وعداوة الشيطان للإنسان بمؤكدات ثلاث هى : إنّ ، واسمية الجملة وتعريف الغضب والشيطان ، لكى ترد كل إنكار تتفتح له كل منافد الإدراك ، وتسد عليه كل الأبواب ، ثم تأتى العبارة الثانية : « وإن الشيطان خلق من نار » ؛ لتؤكد المعانى والقيم الخلقية فى العبارة الأولى بمؤكدات ، هى «إنّ» وإسمية الجملة وتعريف الشيطان والنار ، وتكرار كلمة الشيطان مرة صريحة ، وأخرى بضميره الذى يعود عليه فى عبارة «خلق من النار» ، ثم الوعيد والفزع الشديد من ذكر النار ، وما تحمل من قيم التخويف والإنذار والعذاب ، وجاءت العبارة الثالثة لتؤكد السابقتين ، وهى « إنما تطفأ النار بالماء » لكن التأكيد هنا بأسلوب بلاغى آخر ومتنوع ، وهو أسلوب القصر « بإنما » ؛ ليحسم أمر الغضب والشيطان ؛ فيسدُ عليه كل منافذ الغواية والتأثير ، فأكد جازما وقاصرا كفاية الماء على إخماد النار وتدميرها ، فلا تترك لها أثرا مطلقا على سبيل اليقين والتحقيق ، ثم تؤكده « بإذا » فى العبارة الأخيرة وهى : « فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » ، فقد أفادت وأكدت اليقين والتحقيق لما تفيده « إذا » من التحقيق لا الشك ، وما يفيده أسلوب الشرط والجزاء من الجزم واليقين ، بعد إذا ، لأن الوضوء مترتب على الغضب بإزالته لا محالة ، ترتب الجزاء على الشرط قطعا بلا تخلف أو تأخير .

روعة التصوير الفنى فى جمال الإيقاع وتدفق الموسيقى وعنفها : من الروافد الجمالية فى بلاغة هذا الحديث الشريف جمال الإيقاع ، وتدفق الموسيقى وعنفها مما يتلاءم مع قيمه الخلقية ، تجد ذلك فى الإيقاع الثقيل

للأصوات الثقيلة فى الحروف التى تكونت منها الكلمات ، وهى حروف الغين والضاد فى الغضب ، والشين والياء والطاء فى الشيطان ، والخاء واللام والقاف والنون والطاء والهمزة والمين والغين والضاد وغيرها فى بقية العبارات ، وكذلك الوقع الشديد من تكرار الشدات على بعض الحروف فى معظم الكلمات ، مما يتلاءم مع معانى الغضب والشيطان والنار الثقيلة على النفس والمخيفة للإنسان .

كما تجد التدفق الهادر المخيف فى موسيقى العبارات ، وتراكم الأبعاد والمسافات الزمنية والمكانية فى توازن هذه العبارات وتتابعها فى الضغط والعنف على النفس حتى ينقطع « إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار من الماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ ، فكل عبارة من هذه تنوء بكثرة من الشحنات الموسيقية الثقيلة والبطيئة ، الصادرة من كثرة الشدات والمدات فى حروف اللين ، وبطء الكلمات وثقل الحركات عما يتناسب مع سماجة الغضب ورذالة الشيطان وخبثه وكيده ، لذلك كله أكد النبى ﷺ محذرا من الغضب ، فى أحاديث كثيرة منها : أن رجلا قال له أوصنى فقال لا تغضب فردد مرارا « لا تغضب » وقال أيضا : «اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد فى قلب ابن آدم ألم تروا حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه » ، وقال أيضا ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » ، وقال تعالى : ﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾ .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - يحافظ الإسلام على النفس والجسد فى الإنسان ، فيجب على الإنسان أن يكون لطيفا راضيا لا عنيفا متمردا ، وأن يكون هادئا متأنيا ، لا ثائرا عجولا وغير ذلك مما يحفظ عليه روحه ونفسه الصافية ، وجسده القوى « فالمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . . » .

٢ - لذلك جعل الله الغضب من الشيطان ، لأنه شر وحقد وضغينة يحيكها الشيطان للإنسان فهو عدو له مبين ، يتصدى له بالإيقاع والتصدى والذلة والهوان والكيد ، فهو يجرى من النفس كمجرى الدم فى العروق .

٣ - يحدد الرسول ﷺ ملامح الغضب وصفاته ، فهو يحول جسد الإنسان ووجهه إلى جمرة من اللهب والنار ، فكأنه يستمد ذلك من طبيعة خلق الشيطان ، فهو من النار لا من الطين .

٤ - لذلك حث الرسول ﷺ على أن يطفئ المؤمن هذه الجمرة المتقدة من النار بالماء ، فيقوم ليتوضأ به ؛ فإن ذلك هو السبيل فى تدمير الغضب وإطفائه ، حتى تنصرف النفس عنه .

٥ - ليس التحول عن الغضب بالماء فحسب ، بل بتغيير الحال والوضع الذى عليه الغاضب ، فيصل إذا كان متوضئا ، أو يقوم إذا كان جالسا ، أو يجلس إذا كان قائما ، أو يخرج من البيب ، أو يدخل فى مكان آخر ، وبصفة عامة يغير الوضع الذى هو عليه ، كما فى أحاديث أخرى فى مقامات أخرى .

حرية الرأى

قال النبى ﷺ : « لا يكن أحدكم إمَّعَةٌ ، يقول : أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطِّنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » .

قضايا الحديث الشريف :

الإسلام يحذر من التقليد الأعمى والتبعية المطلقة : ينفر الإسلام من التقليد الأعمى ، والتبعية المطلقة بدون وعى أو تقويم ، بل يحث الإسلام على حرية الفكر فى شئون الحياة المختلفة ، يدرسها دراسة واعية ودقيقة ،

ويبحث جوانبها المختلفة ، ولا يكتفى بتقليد الآخرين فى آرائهم ، ولا يكون تابعا لغيره فى فكره ورأيه على إطلاقه ، بل يكون له موقف من هذا ، يهتدى إليه بعقله بإثبات الدليل ، واستشارة الغير والموازين بين الآراء المختلفة حتى ينتهى إلى الرأى الصحيح ، الذى يتجرد فيه من التقليد والتبعية المطلقة ، لذلك حذر الحديث الشريف من الإمعة ، الذى يقلد الناس بدون وعى فى إحسانهم وإساءتهم ، مستمدا هذا التحذير من القرآن الكريم ، الذى يذم ذلك قال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ، ومثل الذين كفروا كمل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون ﴾ .

فالمقلد والتابع بلا شخصية ولا رأى ، لا يقوم على التصديق والاعتقاد ، بل هو كالناعق يهيم بكل صيحة ، ويسمع كل ناعق ، ويطيروا وراء كل هيعة .

الاعتداد بالرأى وحرية التفكير : يحث الإسلام فى هذا الحديث الشريف على الاستقلال بالرأى والاعتداد بالنفس ، ويدعو إلى حرية التفكير السديد ، ويرغب فى التأمل الصائب والروية والتثبت ، بل لا يعتد إلا بالتصديق والاعتقاد الكامل ، حتى تتحول الفكرة والآراء إلى عقيدة تقوم على التصديق والاعتقاد ، وهذا هو معنى وطنوا أنفسكم ، فيمعن الإنسان الفكر ويقلب الآراء ، ويتثبت من الصحيح والخطاء والدليل الواضح ، وباستشارة الآخرين وتفنيد آرائهم ، فيتتبع ما يحسنه الناس ، ويطرح ما يخطئون فيه فلا يتبعهم فى مساوئهم وفسادهم وغيهم وضلالهم وهذا ما يتفق مع منهج القرآن الكريم فى الحث على التأمل والنظر والترغيب فى البحث والدراسة فى الحياة والكون وقضايا الإنسان ،

ومقتضيات حياته ، ليتعرف على الحق والحقيقة ، ويكشف الباطل والزيف والضلال ، ويقف على دلائل قدرة الله عز وجل وإبداعه فى خلقه ومخلوقاته ليزداد إيمانا وتصديقا ، ويعمل على الإصلاح والبناء القوى ، ويرتقى بالمجتمع إلى مدارج الرقى والتقدم والحضارة ، قال تعالى : ﴿ إن فى اختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ وقال أيضا : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت .. ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ﴾ .

الشورى وحرية الرأى : لا تتعارض الشورى مع الحرية فى الفكر والاعتداد بالرأى ، لأن استشارة الآخرين ، وتفنيد آرائهم ، ودراستها وبحث فكرهم ، والموازنة بين الآراء المختلفة ، كل ذلك يعين على حرية التفكير الواعى المدروس ، ويسدد الرأى الصائب ، ويهدى إلى الفكرة الصحيحة ، ويصل بكل ذلك إلى جوهر الحقيقة المدعومة بالأدلة ، ووجهات النظر المختلفة ، لأنها نبعت من خلال تجارب متنوعة ، ومناظرة بين الآراء المختلفة ، وتمييز بين الفكر الصالح والطالح ، لذلك سميت سورة فى القرآن الكريم بالشورى تحث عليها وترغب فيها ، قال تعالى : ﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - يحرم الإسلام التقليد الأعمى بدون وعى أو إدراك ، بل لابد من التصديق والاعتقاد والقناعة والفهم .

٢ - كما يحرم التبعية للغير ، القائم على إعادة ما يجرى على ألسنة الناس من العبارات المعتادة ، وهى التبعية المطلقة ، بأن يقول أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، من غير اعتقاد واقتناع ، أو تأمل ومشورة .

٣ - لذلك يحث الإسلام على الاقتناع والاعتقاد ، والروية والتأمل والتثبت والتمكين من الصحة أو الخطأ ، المدعم بالدليل والحجة والقناعة ، ومستمدا من المشورة ، وتبادل الرأى ووجهة النظر « من اجتهد فأصاب فله أجران فأخطأ فله أجر » .

٤ - إذا اعتمد المؤمن على ما رغب فيه الإسلام من الوسائل السابقة فإنها تؤدى بالتالى إلى أنه يتبع الناس فى إحسانهم ، ويتجنبهم فى إساءتهم لذلك تستقيم حياته ، وتكون له شخصيته المتميزة بالرأى والقناعة والتصديق .

بين الغبطة والحسد

أخرج البخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل أتاه الله مالا ؛ فسلط على هلكته فى الحق ، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها » .

التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير عن الحسد المحمود وهو الغبطة فى قوله ﷺ : « لا حسد إلا فى اثنتين » فالصورة البلاغية الأولى تقوم على أسلوب التأكيد « بلا » النافية ، والاستثناء « بإلاً » لإثبات الحكم وتقريره مدعوما بالدليل ، وتقوم على أسلوب القصر ، حين قصر الإثنين فقط على هذا النوع من الحسد وهو الغبطة ، وما عداها يقع فيه الحسد المحرم ، الذى نهى الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ ، بل أمرنا أن نستعيذ منه فى كل وقت وحين فى سورة الفلق ، والصورة الفنية الثانية تقوم على الأسلوب المجازى وهو الكنانة ، فليس المراد منه الحسد فى قوله : « لا حسد إلا فى اثنتين » ، وهو المعنى القريب وهو محرم ، بل كنى بذلك عن حسد محمود ، وهو الغبطة وهى أن يتمنى المغتبط مالاً يهلكه فى الحق مثل غيره ، وأن يكون مثل غيره من العلماء والحكام ؛ ليعلم الحكمة ؛

وينفع الناس بعلمه ، وهذه الغبطة محمودة ، وأما الحسد المذموم ، وهو أن الحاسد يتمنى زوال النعمة عن غيره ، لتكون له وحده فقط ، وأما المنافسة فهي أشرف من الغبطة والحسد ، لأنها ضرب من التفوق في ساحة العمل والعلم الجاد ؛ ليبذل كل واحد أقصى طاقاته ، ليتفوق على غيره ، وهو ما يحث عليه الإسلام في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ .

التصوير البلاغي في قوله ﷺ : « رجل أتاه الله مالاً » ، تدل على التعظيم للرجل الموصوف بهذه الصفة ، أي رجل عظيم ، ولأن المال ليس ماله ، وإنما هو مال الله يؤتيه من يشاء : ﴿ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ وكذلك التنكير في قوله « مالاً » أي كثيرا ، يزيد عن حاجته ؛ فتجب فيه الزكاة والنفقة في سبيل الله ، والصورة الفنية الثانية في قوله «فسلط على هلكته في الحق» فالتعبير بالفاء للتعقيب السريع ؛ للتصرف في المال بالإنفاق والصدقة والاستثمار لمصلحته ولمصلحة المسلمين ، حتى لا يتورط في كنزه المحرم ، ثم عبّر ببناء الفعل للمجهول حتى تتنوع الفواعل ليكون أعم من فاعل واحد ، فدوافع البذل والعطاء عنده كثيرة ، منها نفسه الطيبة، وحب عمل الخير ، وتوفيق الله له بالبذل والنفقة ، وحث أهل الخير له على النفقة والعطاء والكرم ، ومقتضيات المجتمع الإسلامي وحاجاته الملحة إلى التعاون ؛ والتكامل لبناء الاقتصاد الإسلامي بناء قويا وعزيزا ، وغيرها من الدوافع الكثيرة ؛ التي تدخل في دلالات عموم الفاعل ، والصورة الفنية الثالثة في « هلكته في الحق » ؛ فلا يقتر في ماله شحا وبخلا أو حرصا ، ولا يسرف فيه وفي الحرام البين المذموم ، متناقضا مع الحلال البين المحمود المشروع لقوله تعالى : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ وقوله تعالى أيضا : ﴿ وآت ذا

القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ .

التصوير الأدبى في بلاغة التعبير الرائع في قوله : « ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها » فالتنكير في « رجل » ، لتعظيم منزلته عند الله وعند الناس ، فليس هناك أفضل من عالم حكيم بهذه الصفات ، وعبّر عن الحكمة معرفة بالألف واللام ، لإفادة أنها حكمة معهودة وشاملة تابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، تقوم على منهجهما من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر في كل جوانب الحياة ، فليس المراد بالحكمة والعلم أن يكون مقصوراً على العلوم الشرعية فحسب ، بل الشرع يحث على العلوم الأخرى في شتى المجالات الزراعية والصناعية والهندسية والطبية والرياضية والتكنولوچية والاقتصادية والاجتماعية والفلكية وغيرها من العلوم التى يحتاجها المسلمون في مختلف العصور ، ليكونوا أقوى الأمم وأعزها ؛ لتبلغ في تنافسها الدولى القمة في التفوق العلمى والأخلاقى والاقتصادى والمادى النابع من القيم الأخلاقية والمثالية السامية ، وهذا هو مجال التنافس العالمى والعولمى اليوم ، وقد حث عليه هذا الحديث الشريف منذ أربعة عشر قرنا في جوامع كلمه ﷺ ، قال تعالى : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ .

القيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف :

١ - تحريم الحسد في الإسلام وهو الذى يقوم على الإيثار والأنانية والإضرار بالمحسود ، وذلك في جميع وجوهه ما عدا وجهين فقط لا حسد فيهما مذموم ؛ بل هما من باب الغبطة أو الحسد الممدوح ، ألا وهما الغنى الذى جمع ماله من حلال ومصدر طيب ، وأنفقه في حقه كما أمر الله تعالى ، والعالم الحكيم الذى يعمل بعلمه .

٢ - أن الثراء والغنى من الله عز وجل ، يضعه الله تعالى فتنة واختباراً لعبده ليشكر أو يكفر ، فمن شكر الله تعالى جمعه من المصادر الطيبة الحلال ، وأنفقه فيما أمر الله عز وجل ، مبتعدا عما نهى عنه ، فلا يقع فيه الحسد ، ومن كفر جمعه من المصادر الخبيثة الحرام ، وأنفقه فيما يغضب الله عز وجل أمرا ونهبا أو حبسا واكتنازا ، وهذا يقع فيه الحسد المذموم والبغض والكراهية والعياذ بالله تعالى .

٣ - العلم والحكمة من فضل الله عز وجل على عبده ، فمن اصطفاه الله عز وجل لها ، فتعلم وعلم الناس ، وتعلم وعمل بما تعلم ؛ فكان قدوة حسنة لغيره ، فهذا الوجه لا يقع فيه الحسد المذموم ؛ بل تغبطه الناس على هذه النعمة الجميلة ، أما من تعلم الحكمة بلا سلوك أو عمل ليتظاهر بها كبرا وترفعا وغنى ؛ فهذا الوجه يقع عليه الحسد المذموم، وكراهية الناس لصاحبه وبغضهم له .

مجلس العلم

أخرج البخارى عن أبى واقد الليثى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس فى المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد ، قال : فوقفا على رسول الله ﷺ ؛ فأما أحدهما فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : « ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه » .

التصوير الأدبى فى بلاغة التعبير عن جماعة كبيرة تنوعت إلى ثلاثة جماعات ، حسب تصرفاتها من مجلس العلم ، فى قوله : « ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ، أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله » تدل هذه الصورة الفنية

على قيم أخلاقية سامية ، منها صورة أداة العرض والإثارة لأمر هام يحمل قيما تعليمية للناس ، وذلك فى قوله ألا أخبركم » عما أوحى الله إلىَّ من أمر هؤلاء النفر : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى ﴾ ، ومنها صورة النفر الثلاثة تدل على أنهم ليسوا ثلاثة رجال فقط، بل هم ثلاثة نفر ، والنفر هم جماعة دون العشرة ، وهذا يدل على أنهم ثلاث جماعات ، تنوعت حسب تصرفاتهم من مجلس العلم ؛ فمنهم جماعة أوت ، وثانية استحيت ، وثالثة أدبرت ، والصورة الفنية فى قوله : « أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله » فكلمة أحدهم أى أحد الجماعات الثلاثة أوت إلى الله ، فبلاغة « أوى » تدل على السرعة والحرص على القرب من الرسول ﷺ ، وفى سرعة الإقبال عليه وعلى العلم ، دلالة على سرعة الإقبال على الله ومحبته ؛ لأن « أوى » تجمع بين معانى الإسراع إلى الجلوس والإقبال والتلقى أكثر من التعبير بغيره مثل : لجأ وقعد وجلس وغيرها ، والصورة الفنية فى قوله : « فأواه الله » بمعنى أن الله كان أسرع فى الاستجابة فى تفضله بالرحمة والرضوان ؛ لدلالة فاء التعقيب السريع على ذلك ، ثم انظر إلى الأسلوب البديع فى المشاكلة والمجانسة بين الفعلين « أوى » ، مع اختلاف الفاعل والمعنى ، ليثير الانتباه ويوقظ الذهن والوجدان عن طريق التناسق بين اللفظين مع اختلاف المعنى ؛ فأوى الأولى بمعنى الجلوس ، والثانية بمعنى الرحمة من الله تعالى بالجالس ورضوانه عليه .

التصوير البلاغى فى قوله ﷺ « وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه» يدل على قيم أخلاقية سامية ، حين عبر عن النفر الثانى بأن اتخذوا موقفا آخر ، فآثروا الحياء وترك المزاحمة حياء من النبى ﷺ ، وممن حضروا قبلهم ، أو حياء من ترك الجلسة العلمية كما فعل النفر الثالث ، فجلسوا حيث انتهت بهم حلقة العلم ، وفيه دلالة أيضا على استحباب المزاحمة فى

طلب العلم ، حثا عليه وترغيبا فيه ، بشرط عدم الضرر والإيذاء ، وعدم الفوضى والجلبة ، وعدم التعدى على حقوق السابقين بعد أخذ مواقعهم من الجلسة العلمية لقوله ﷺ « لا ضرر ولا ضرار » ، وقوله « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وما أروع المجانسة فى هذه الصورة الفنية بين الفعلين « استحيا » مما يثير الانتباه ويوقظ العقل والوجدان ، ليكون أكثر إيمانا واقتناعا مع اختلاف المعنى فيهما ، فالأول بمعنى انكسار يعترى الإنسان خوفا من الذم ، والثانى وهو « استحيا الله منه » ومعناه ليس كذلك ، بل المراد منه لازمه ، وهو الرحمة والقبول ورفع العقاب عنه .

التصوير الفنى فى بلاغة قوله : « وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه » ؛ فى صور فنية تعبر عن قيم تشريعية ، تحذر فيها المسلم من الجهل والإعراض عن العلم ، والنفور من الجماعة ، وتفرقها ؛ لترغيبه فى العلم والإقبال عليه ، والوحدة والترابط والحرص على الطاعة أمراً ونهياً ، وذلك فى تصويره الفنى الرائع « فأعرض فأعرض الله عنه » بمعنى فأدبر عن المجلس وترك العلم والرحمة والرضوان ، وآثر الجهل والسخط والعقاب ، فاستحق ذلك ، لأنه منافق أخبر النبى ﷺ بذلك عن الله تعالى ، لحديث أنس رضى الله عنه : « فاستغنى فاستغنى الله عنه » ، وفى ذلك جواز الإخبار عن أهل المعاصى زجراً لغيرهم ، وليس هذا من باب الغيبة المحرمة ، ولا يخفى ما فى هذه الصورة الفنية البديعة من التجانس بين الفعلين ، فأعرض الأولى بمعنى أدبر وولى وترك المجلس ، وأعرض الثانية بمعنى مختلف تماما ، وهو الغضب والسخط والعقاب الشديد من الله تعالى ، فالمعانى مختلفة والألفاظ متجانسة فى الحروف والحركات ؛ لتكون الصورة الفنية أجمل إيقاعا وأقوى تأثيرا واقتناعا ، إنها بلاغة من اختص بجوامع الكلم ﷺ .

القيم الخلقية والتشريعية فى الحديث الشريف :

١ - المساجد بيوت الله عز وجل فى الأرض وموطن الصفاء الروحى والحكمة والعلم والعبادة فهى مصدر الإشعاع والتعليم والعبادة والتهذيب .

٢ - حرص الصحابة على التعليم والأخذ عن النبى ﷺ ، فكانوا خير الناس وخير القرون والسلف الصالح رضى الله عنهم أجمعين .

٣ - موقف الناس من تلقى العلم والجلوس فى مجالسه ثلاثة أفضلهم جميعا هو الذى يزاحم إلى مجلس العلماء ، ويسرع إلى الاغتراف من علمهم ، ويحرص على المتابعة والتلقى والفهم ، والمنافسة والتقدم على غيره فى تحصيله وأوسطهم هو الذى يقبل على مجالسه حيثما كان هو ، وفى أى موقع من مجالسة ، بلا مزاحمة أو تدافع أو منافسة ؛ فهو يجلس حين ينتهى به المجلس ، دون بحث عن فرجة قريبة أو مكان ملاصق للعالم ؛ فالأول منهما أوى إلى الله فأواه الله ، وتغشاهم بفضله ورحمته ، ورفع منزلته عنده الله لأنه اختار الأفضل والأولى ، وأما الثانى فلم يحرمه الله عز وجل من رحمته ؛ لأن استحيا فاستحيا الله منه. وأما الثالث الذى ترك المجلس وأعرض عنه فأعرض الله تعالى عنه وغضب عليه .

٤ - فى هذا الحديث الشريف يحث الإسلام على التفوق العلمى ، وعلى المنافسة فيه ، لأنه دين العلم والتفوق البشرى والعلمى ؛ فبه يعتز المسلمون وينتشر الإسلام ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، لذلك فضل الله تعالى رسوله بالعلم والحكمة على سائر البشر : ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ .

ثبت الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	تقديم	٣
	الفصل الأول	
	الإسـلام والإيمـان	
٢	الأعمال بالنيات	٦
٣	حلاوة الإيمان	١٠
٤	كمال الإيمان	١٣
٥	الإيمان الكامل	١٦
٦	النخلة كالمسلم	١٩
٧	بين المسلم والمهاجر	٢٢
٨	بين المؤمن والفاجر	٢٦
٩	من أخطر صور النفاق : ذلاقة اللسان وحلاوة الحديث	٢٩
	الفصل الثانى	
	الوضوء والصلاة	
١٠	الوضوء يمحو الخطايا	٣٣
١١	الغر المحجلون	٣٦
١٢	بعثتم ميسرين لا معسرين	٣٩
١٣	التيمم	٤٢
١٤	المؤمن لا ينجس	٤٧
١٥	الجمعة عيد المسلمين	٥٠
١٦	من بنى مسجدا	٥٣
١٧	الصلاة أحب الأعمال إلى الله تعالى	٥٦
١٨	وجبت شفاعتى	٥٩

تابع ثبت الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١٩	الركوع قبل الصف	٦٢
٢٠	لا تخفروا الله فى ذمته	٦٥
٢١	السكينة والوقار عند الصلاة	٦٨
٢٢	إذا نعس أحدكم	٧١
٢٣	التجوز فى الصلاة شفقة	٧٣
	الفصل الثالث	
	الصوم والحج	
٢٤	شهر عظيم مبارك	٧٧
٢٥	شهر الصبر والمواساة	٨٠
٢٦	الصيام جنة	٨٣
٢٧	من لم يدع قول الزور	٨٩
٢٨	من صام رمضان	٩٤
٢٩	القرآن والصيام يشفعان	٩٦
٣٠	النهى عن الوصال	٩٩
٣١	فمن رغب عن سنتى فليس منى	١٠٢
٣٢	الصيام كالجهاد	١٠٥
٣٣	الصيام والقيام كالحج	١٠٩
٣٤	اليد العليا	١١٢
٣٥	الحج وفطرة الله تعالى	١١٥
٣٦	العمرة إلى العمرة والحج المبرور	١١٨
٣٧	الحج مرة واحدة	١٢١
٣٨	الوقوف بعرفة	١٢٤

تابع ثبت الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
٣٩	قضاء الحج	١٢٧
٤٠	من خطبة الوداع	١٣٠
٤١	أربع أعجبننى	١٣٣
٤٢	الحج من المال الطيب لا الخبيث	١٣٦
	الفصل الرابع **حسن المعاملة**	
٤٣	الحلال والحرام والشبهات	١٤٠
٤٤	سفينة النجاة فى الدنيا والآخرة	١٤٣
٤٥	الإسلام يسر لا عسر	١٤٦
٤٦	إن الخير لا يأتى إلا بالخير	١٤٩
٤٧	واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا	١٥٣
٤٨	الأمن والسلام	١٥٦
٤٩	بين البخل والإنفاق	١٥٩
٥٠	منابع الخير والحب فى الإنسان	١٦٣
٥١	حسن المعاملة فى الإسلام	١٦٧
٥٢	التمتع بالطيبات بلا رياء ولا كبر ولا إسراف	١٧٠
٥٣	لا تغضب	١٧٤
٥٤	حرية الرأى	١٧٧
٥٥	بين الغبطة والحسد	١٨٠
٥٦	مجلس العلم	١٨٣
٥٧	ثبت الموضوعات	١٨٧